مواقف وذكريات مع كبار العلماء

الشيخ العلّامة عبدالعزيز بن باز - رحمه الله -
الشيخ العلّامة صالح بن غصون - رحمه الله -
الشيخ العلّامة محمد بن عثيمين - رحمه الله -

عبدالكريم بن صالح المقرن

دار طويق للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

ح دار طويق للنشر والتوزيع، ١٤٢٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
المقرن، عبدالكريم بن صالح
مواقف وذكريات مع كبار العلماء ابن باز ابن غصون ابن عثيمين، الرياض.
ص١٧ × ٢٤ سم
ردمك: ٧-٥٩-٨٧٨-٩٩٦٠
١- السعودية - تراجم أ. العنوان
ديوي ٠٣٠ ٢٣/٠٠٧٩

رقم الإيداع: ٢٣/٠٠٧٩
ردمك: ٧-٥٩-٨٧٨-٩٩٦٠

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م

دار طويق للنشر والتوزيع
ص.ب ١٠٢٤٤٨ الرياض ١١٦٧٥
ت/ ٢٤٩١٣٧٤ - ٢٤٨٦٦٧٧ -٢٤٨٦٦٨٨

بريد إلكتروني E-mail: dartwaiq@zajil.net
موقعنا على الإنترنت www.dartwaiq.com.

مكتب القاهرة
هاتف/ ٤٥٩٤٦٧٩ محمول: ٠١٢٢٩٦٤٨٣٦
مساكن كورنيش النيل مدخل (٥) شقة (١) روض الفرج

مكتب الخرطوم
الخرطوم - السوق العربي - هاتف/ ٧٩٠١٣٤

تم الصف الإلكتروني والإخراج والتصحيح بدار طويق للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد بن عبدالعزيز بن باز

Ahmed Bin Abdul-Aziz Bin Baz

التاريخ : ١٤٢١/٠٥/٢١هـ
الرقم : ٧٨/ ع
المشفوعات :

حضرة الأخ المكرم صاحب الفضيلة الشيخ عبد الكريم بن صالح المقرن
سلمه الله وأعانه على كل خير آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

فقد أطلعت على ما ألفتموه حول سماحة الوالد الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله والذي أسميتموه " اللآلئ السنية في أخبار مفتي عام المملكة العربية السعودية" والذي هو عبارة عن مواقف وذكريات لكم مع سماحته وإنني إذ أشكركم على هذا الكتاب الجميل والمهم والذي هو عبارة عن وزقة من سفر تاريخ ذلك الإمام ومشاركة في توثيق جزء من حياته رحمه الله وإنني إذ أشكركم على ذلك الجهد لأسأله سبحانه وتعالى أن يبارك في جهودكم ويسدد خطاكم ويجزل لكم الأجر والمثوبة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم

أحمد بن عبد العزيز بن باز

المملكة العربية السعودية – الرياض ١١٥٩٥ ص.ب ٦٢٨٦٩ فاكس ٤٦٤٤٥٤٣
Kingdom of Saudi Arabia – Riyadh 11595 P.O.Box 62869 Fax 4644543

اللآلئُ السَّنِيَّة في أخبار

مفتي عام المملكة العربية السعودية

أيام لا تُنسى مع العلاَّمة

ابن باز ـ رحمه الله

كتبه أبو خالد

عبد الكريم بن صالح المقرن

مُقَدِّمة الناشر

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله – صلى الله عليه وسلم – وبعد: فإنه مما يسرُّنا ويُبهجنا أن نساهم في نشر تراجم علمائنا الأفذاذ، رغبةً في معرفة سبيلهم وجهادهم في نشر العِلم بين الناس، وكان قد سبق لنا أنْ نشرنا هذه المؤلفات الثلاث التي بعنوان:

١ - الدرُّ المكنون في مواقف وذكريات الشيخ العلاَّمة صالح بن علي بن غصون.

٢ - اللآلىء السَّنِيَّةُ في أخبار مفتي عام المملكة العربية السعودية.

٣- ١٤ عاماً مع سماحة العلاَّمة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين.

ثلاثتهما لأخينا الفاضل أبي خالد عبد الكريم بن صالح المقرن – وفقه الله.

وقد رأينا نشرها مُجتمعة في كتابٍ واحدٍ، فتكون كحبَّات لؤلؤ انتظمت في عقد واحد.

علماً بأننا حصرنا أن تظلَّ مقدمةُ كُلِّ كتاب كما هي، لما فيها من فوائد جَمَّةٍ جمعها الأخ الكريم أبي خالد فها نحن نقدمها لإخواننا القراء في ثوبها الجديد.

راجين الله تعالى أن يرزقنا الأجر والثواب والله من وراء القصد.

الناشـــر

مُقَدِّمة

الحمد لله حمداً يليق بجلاله، وعظيم سلطانه، رفع شأن العلماء، وأشهدهم على ربوبيته وألوهيته، وجعلهم أهل خشيته، والصلاة والسلام على سيد الأنام، معلّم الناس الخير، وقدوة الخلق أجمعين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أئمة الهدى ومصابيح الدُّجى أما بعد:

فإنَّ مِنْ نعمة الله عليَّ أن منَّ عليَّ بالقرب من عالم الأمة في عصره، سماحة الشيخ العلامة الإمام، بقية السلف، عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن باز، قُدس الله روحه، ونوَّر ضريحه، ورفع درجاته في المهديين. فكان لقائي بسماحته مدرسةً لي، استفدت منها الكثير من الصفات، والجميل من الخصال، واستزدت من العلم والعمل، لقد كان الشيخ جبلاً من الجبال، من أين أتيته وجدته عالياً عظيماً. وكان بحراً من بحار العلم، لا تكدره كثرة الدِّلاء. وكان وعاءً من أوعية العلم لا ينضب مع كثرة الواردين، وكانت مجالسه - رحمه الله - بالخير عامرة، تزيد الإيمان، وتبهج النفس، وتشرح الصدر، وتلين القلب، وكنت أحرص على لقاء الشيخ، فأجده رحيماً رفيقاً بي، أحبَّني وأحبَبْتُه من كل قلبي،

محبةً في الله، أرجو ذُخْرَها وبرَّها يوم القيامة. كما قال الإمام الشافعي - رحمه الله - :

أحب الصالحين ولستُ منهم لعلّي أنْ أنال بهم شفاعة
وأكره من تجارتُه المعاصي وإن كنَّا سوياً في البضاعة

و كانت كل جلسة تزيد من محبتي له، وإجلالي وتقديري واحترامي له، ولم يكن لقائي بسماحته مجرَّد عملٍ أقوم به، وإنما زاداً أتزوَّد به، وروضةً من رياض الجنة أرتعُ فيها. أسأل الله ألا يحرمني أجرها، وأن يرزقني الإخلاص في القول والعمل.

كنت أذهب لموعد الشيخ الإمام وقلبي يكاد يطير فرحاً بلقائه، يجلس التلميذ الصغير أمام شيخ الإسلام في عصره لِيَستفتيه للمسلمين، أو لِيَقرأ عليه كتاباً من كتب السُّنة التي هي من أحب الكتب للشيخ بعد كتاب الله، فأغوصُ في بحر العلم فأرى اللؤلؤ والمرجان والياقوت، وكلَّ أصناف الجواهر والدُّرر، تظهر من كلمات الشيخ ومنطِقه. إذا سكت علته الهيبة والوقار، وإذا تكلم سمعت الحكمة والبيان. فكان لقائي مع الشيخ لا أكاد أصبر عنه، ولو سافر الشيخ للطائف تبعتُه على مواعيده لي، فأجد البِشْرَ، والطلاقة، والأخلاق السَّامية، والكرم، وحُسْنَ الضيافة، والعلم، والفائدة، والمتعة، والسرور، حتى آخر حياته. رحمه الله رحمة الأبرار، وجعله مع البررة الأطهار.

و بعد وفاة الشيخ بقيتُ كالطِّفل اليتيم الذي فقد والده، فلم يجد من يواسيه، كُلَّما سمعتُ صوته في المذياع دمع قلبي قبل عيني، وكُلَّما سمعتُ برنامج نور على الدرب، أو شرْحَ المنتقى، تذكرتُ تلك الأيام السالفة التي هي من أجمل أيام عمري، فأرفعُ يديَّ داعياً لشيخي، شيخ الأمة، بالمغفرة والرضوان. ولا تزال - ولن تزال - تلك الابتسامة الحانية، وذلك الرفق، واللين، والحلم، والمحبة التي لمسْتُها، وشعرتُ بها منه تجاهي، في قلبي تأريخاً مؤبداً ما حييت، أعترفُ بها، وأدعو له - رحمه الله - بالرَّحمة، والرضوان، والمغفرة، والغفران، والعتق من النيران.

و تلك المواقف التي رأيتُها وسمعت بها منه - رحمه الله -، مواقف وكلمات وقصص وحكايات، مدرسة للأجيال المسلمة عبر تاريخ الأمة المسلمة، كيف كانت حياتُه وأيَّامُه واهتماماته وبذله لنفسه للناس. فهو عالم الأمة، يحنو على الصغير والكبير. يُعَلِّمُ الجاهل، ويُرشد المسترشد، وينصر الضعيف، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، رفيقاً رحيماً متواضعاً كريماً، في ليله ونهاره، وسرِّه وجهاره. يعمل لخدمة الإسلام، يحزن لإخوانه، يألمُ بآلامهم، ويفرح بأفراحهم، مُحِبَّاً للسُّنة، محارباً للبدعة. وقد كُتب في حياة الشيخ وترجمته مجلدات عدة، أسأل الله أن ينفع بها، وهي غيض من فيض من حياة سماحته، وبقي في نفسي خلجات ودمعات ومواقف عايشتها مع سماحته. وأرى أنَّ من العرفان لِحَقِّ الشيخ عليَّ نشرها، مع إلحاح بعض الإخوة المحبين للشيخ بنشرها

وعرضها لتكون شاهداً من شواهد الحق، في جوانب من حياته - رحمه الله -. وليس مثلي من يكتب عن الشيخ، فأنا أعتبر أصغر تلاميذه، ومِنْ أقلّهم ملازمة له، لكن قد أكون سمعتُ جوانب، ورأيتُ من حياة الشيخ، وأسلوبه في التعامل والأخلاق، مما قد لا يراه من هو في مجلس الدَّرس، ولذلك أحببتُ كتابتها عبر هذه الأسطر (*)، وسائلاً المولى ﷻ أنْ يتغمد شيخنا بواسع مغفرته ورحمته وأن يجعل منازله في عليِّين. وأن يُخْلِفَ على أمَّة الإسلام خيراً..

سبحان ربك ربِّ العِزَّةِ عمَّا يَصِفُون، وسَلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلَّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه / أبو خالد

عبد الكريم بن صالح المقرن

حُرر في: ٢٠ / ٤ /١٤٢١هـ

الريـــاض

(*) بعيداً عن مدح الشيخ و إطرائه ، الذي كان لا يرضى به في حياته ، و لا يُقِرُّ مَنْ تكلّم به . فلم أفعل ذلك - و هو يستحق - احتراماً له ، و تقديراً له بعد مماته . فَطِبْتَ يا شيخنا حيّاً و مَيِّتاً .

دعوة الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - السلفية :

لقد كان الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز - رحمه الله تعالى - عَلماً من أعلام العصر علماً وعملاً، وهذا أقل ما يُقال في شأنه - رحمه الله تعالى -. ولقد بذل عمره وحياته عُقوداً طويلة في الانشغال بعلوم الشريعة، تعلُّماً، وتعليماً، ودعوة، ونشراً للسُّنة المُطهَّرة، ودفاعاً عن عقيدة أهل السُّنة والجماعة، وكان من آثار ذلك نتائج حميدة ملموسة، نذكر بعضاً من هذه الآثار على وجه الاختصار :

الأول :

نشرُ عقيدة أهل السنة والجماعة، والتمكينُ لها، والذبُّ عنها وإذاعتها بين الناس، وسواء كان ذلك داخل المملكة العربية السعودية أو خارجها.

فقد كان - رحمه الله تعالى - أشدَّ الناس ذبّاً عن العقيدة السَّلفية الصحيحة، واجتهاداً في نشرها، والدعوة إليها، والكتابة فيها، ومساعدة أهلها. فقد كتب - رحمه الله تعالى - عدداً من الكتب والمقالات، وهيأ عدداً كبيراً جداً من العلماء والدعاة هنا وهناك، لأجل نصرة هذه العقيدة، وإظهار محاسنها، والذبِّ عنها. وقد اهتم - رحمه الله - بدعوة التوحيد، ونبذ الشرك ووسائله، وذلك عبر الكتاب، والمحاضرة،

والكلمة. فهو إمام من أئمة الدعوة المباركة : دعوة التوحيد. فهو بِحَقٍّ : مُجَدِّدُ القرن الرابع عشر..

و كذلك فقد عمل - رحمه الله تعالى - على دعم المعاهد الإسلامية، والجامعات، والمؤسسات السليمة في عقيدتها، خارج المملكة، سواء في أفريقيا وآسيا، أو بين الأقليات المسلمة في أوروبا وأمريكا وغيرها. وعمل على التنسيق مع أهل الخير، والمؤسسات، والجهات الرسمية، والخيرية، وغيرها، لأجل دعم هذه الجهات والمعاهد ومدِّها بالمساعدات المالية، وكُتُب العقيدة السلفية، وغير ذلك. وأيضاً كان مُناصِحاً ومُوجِّهاً لمن حاد عن العقيدة الصحيحة، بالبيان والتوضيح.

كما أنه عمل على مساعدة الكثير من طلبة العلم للقدوم إلى المملكة، ودراسة العقيدة وعلوم الشريعة في جامعاتها، فكان هذا من أهم العوامل التي أدَّت إلى انتشار العقيدة السَّلفية في مناطق كثيرة خارج المملكة، واطلاع الكثير من عوام المسلمين على هذه العقيدة، بعد أن كانوا لا يعرفون إلا عقيدة الأشعرية، والماتريدية، وغيرها..

الثاني :

نشر مبدأ الاعتماد على الدليل في الفتاوى الفقهية، وعدم التعصُّب المذهبي. فبعد أن كان أكثر العلماء في عامة بلاد المسلمين لا يفتون إلا بما عليه أئمة مذهبهم، أصبح الشيخ - رحمه الله تعالى - عَلَماً من أعلام الاعتماد على الدليل الصحيح في الفتوى الشرعية، والاعتماد على كتاب

الله، وما صحَّ من حديث رسول الله ﷺ، وبعد ذلك الأخْذُ بفتاوى السابقين. فقد كان الشيخ - رحمه الله تعالى - متحرِّراً في الفقه. فرغم كونه حنبلياً، لكنه كان مجتهداً، لا يتقيد بالمذهب، وإنما يأخذ بما قام عليه الدليل الصحيح. وكان يحثُّ على ذلك، ويُحارب التعصب المذهبي. وهذا ما كان يدعو إليه دائماً، ويَحُثُّ عليه، ويُنَبِّهُ عليه، ويعمل على نشره بين العلماء، هنا، وهناك.

الثالث :

الاهتمام بالسنة ونشرها، والذبِّ عن سنة المصطفى ﷺ، وتمييز سقيمها من صحيحها. فقد كان - رحمه الله - سبباً في نشر كثير من كتب السنة، وقد قام بتدريسها في دروسه، كالصحيحين، والسُّنن، ومسند الإمام أحمد، وموطأ الإمام مالك، وسُنَن الدَّارمي. فقد كان - رحمه الله - من أعلام الحديث، والأئمة الحُفَّاظ، في عصره.

الرابع :

الإعانة على تخريج مجموعة من طلبة العلم الشرعي، ومساعدتهم. وذلك منذ أن كان قاضياً في الدَّلم، حيثُ أتاه طلاب العلم من هنا وهناك، ودرسوا عليه، وتوسط لهم لدى الجهات المسؤولة، حيثُ أُقيمت لهم المساكن، وأُجريت لهم الرواتب. وكان هذا من أسباب تخريج عدد من المشايخ، أصحاب الاتجاه السليم، والعقيدة الصحيحة.

الخامس :

تخريج مجموعة كبيرة من العلماء، والمشايخ، والدعاة، وطلبة العلم، الذين درسوا على يد الشيخ. وقد نفع الله بهم خلقٌ عظيمٌ من الناس، وقد انتشر تلاميذه في كل مكان، وعملوا على نشر دعوته السلفية، ودعوته إلى عقيدة أهل السنة والجماعة، ونشرها بين الناس. وهذا كلُّه من بركات الشيخ - رحمه الله تعالى وعفا عنه.

السادس:

المساعدة في كفالة الدعاة هنا وهناك، وكفالة الأيتام، والفقراء، والأرامل، في مختلف بلاد المسلمين، وسواء كان ذلك من ماله الخاص، أو بالتنسيق مع أهل الخير، والمؤسسات الخيرية. وكم أنفق من ماله - رحمه الله تعالى -، حتى كان يضطر أحياناً إلى الاستدانة لأجل القيام بهذه الأعباء.

السابع :

التراث العلمي الزاخر الذي تركه الشيخ - رحمه الله تعالى -، ومنه ذلك الكمُّ الهائل من الفتاوى في العقيدة، والفقه، وغير ذلك. وقد انتفع بها الخلقُ ،شرقاً، وغرباً. وقد جمع بعضها فضيلة الدكتور / محمد الشويعر، في حوالي ثلاثة عشر مجلداً. وفي الطريق المزيد منها.

كما أنه قد كتب في الكثير من الموضوعات التي تهم المسلمين، ومن أهمها : العقيدة، وله في ذلك مؤلفات كثيرة، هي من العلم النافع الذي تركه - رحمه الله - بعد وفاته.

و من هذه المصنفات :

١- **العقيدة الصحيحة ونواقض الإسلام**. وقد شرحه الأستاذ عبد العزيز بن فتحي السيد ندا، في كتاب كبير، سمَّاه : " الإتمام بشرح العقيدة الصحيحة ونواقض الإسلام ".

٢- **التحقيق والإيضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة والزيارة.**

٣- **الفوائد الجلية في المباحث الفرضية.**

٤- **التحذير من البدع**. ويشمل أربع مقالات مفيدة :

- حُكم الاحتفال بالمولد النبوي.
- ليلة الإسراء والمعراج.
- ليلة النصف من شعبان.
- تكذيب الرؤيا المزعومة من خادم الحجرة النبوية، المُسمَّى الشيخ أحمد.

٥- **رسالتان موجزتان في الزكاة والصيام.**

٦- **وجوب العمل بالسنة النبوية، وكُفْرُ مَنْ أنكرها.**

٧- **الدعوة إلى الله، وأخلاق الدعاة.**

٨- **وجوب تحكيم شرع الله، ونبذ ما خالفه.**

٩- حُكْمُ السُّفُور والحجاب ونكاح الشِّغار.

١٠- نَقْدُ القومية العربية.

١١- الجوابُ المفيد في حُكْم التصوير.

١٢- الشيخ محمد بن عبد الوهاب.. دعوتُه وسيرتُه.

١٣- ثلاث رسائل في الصلاة : (كيفية صلاة النبي ﷺ - وجوب أداء الصلاة في الجماعة - أين يضع المُصَلِّي يديه حين الرَّفع من الركوع).

١٤- حُكْمُ الإسلام فيمن طعن في القرآن، أو في رسول الله ﷺ.

١٥- حاشية مفيدة على فتح الباري. ولم تتم كلها.

١٦- رسالة الأدلة النَّقلية والحِسِّية على جريان الشمس، وسُكون الأرض، وإمكان الصُّعود إلى الكواكب.

١٧- إقامة البراهين على حُكْمِ مَنْ اِستغاث بغير الله، أو صدَّق الكهنة والعرَّافين.

١٨- الجهاد في سبيل الله.

١٩- الدروس المهمة لِعَامَّة الأمَّة.

٢٠- فتاوى تتعلق بأحكام الحج والعمرة والزيارة.

٢١- وجوب لزوم السُّنَّة والحذر مِنْ البدعة.

و غير ذلك مِنْ المؤلَّفات التي نفع اللهُ تعالى بها الأمَّة، وذاعت وانتشرتْ شرقاً وغرباً.

الثامن :

كان الشيخ - رحمه الله - مثالاً للعالِم الربَّاني، في العِلم، والهُدى، والدَّعوة، والبيان، والنُّصح، لله، ولِرَسُوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم.. مثالاً للآمِرِ بالمعروفِ والنَّاهي عن المنكر، بالحكمةِ والموعظةِ الحسنة.. كان مثالاً للعالِم البصير بأحوال الواقع وظروفه.. مثالاً لِلعالِم المطَّلِع على أحوال الأمة وجراحاتها.. مثالاً للعالِم الذي بذل وقته للناس ومصالحهم.. فهو النموذج الفريد في عصرٍ قلَّ فيه أمثالُه..

و مِنْ هذا يتضح جَلِيًّا أنَّ الشيخ ابن باز - رحمه الله تعالى - كان بَرَكَةً على الأمَّة في حياته وبعد مماته. وهكذا يكون العَالِم الرَّباني : تعمُّ بركته، حتى يستغفرَ لَهُ أهلُ السماء والأرض. فاللّهم اغفر لِشَيخنا، وارفعْ درجته في علّيين، وأعْلِ منْزِلَته في المهديين، ولا تحرمنا أجره، ولا تَفْتِنَّا بعده، واغفرْ لنا وله يا ربَّ العالمين.

إنَّ الحديث عن سماحة العلامة ابن باز - رحمه الله - حديثٌ ذُو شُجُون، يُحَلِّقُ بكَ على أجنحة من الخير، وينقلك إلى حياة السلف الصالح، الذين مضوا. فحياة عالمنا سماحة الشيخ ابن باز - رحمه الله - مَدْرَسَةٌ للأجيال المسلمة، يتعلّمون فيها الجِدَّ في طلب العلم وتحصيله، والصبر والمُثابرة في تعليم الأمَّة الخير. حيثُ كان سماحتهُ - رحمه الله -

طوال حياته مِشْعَلَ هدايةٍ، ومنبر توجيهٍ. فقد قضيتُ مع سماحته مدة قصيرة، تُقدر بخمس سنوات، ولكنها كانت أياماً مُباركةً، حافلةً بالدروس والعبر، مع رجلٍ اشترى الآخرة، اشترى الجنة. نسأل الله ﷻ أنْ يجمعنا به مع النَّبِيِّين والصِّدِّيقين، ووالدينا والمسلمين في جناتٍ ونَهَر، في مقعدِ صِدْقٍ عند مليكٍ مُقْتَدِر.

فقد كُلِّفْتُ بالتسجيل مع عالم الأمة وشيخ المشايخ في عام١٤١٥هـ، حيثُ كان اللقاء الأول مع سماحته بعد صلاة العشاء في يوم الجمعة، حيثُ التقيتُ سماحته في مكتبة منْزِله، وكان بصحبتي آنذاك الزميل فهد العثمان، مهندس الصوت، وأخبرتُ سماحتهُ بأنني كُلفت بالتسجيل معه في برنامج " نورٌ على الدرب "، مِنْ قِبل الإخوة المسؤولين في إذاعة القرآن الكريم، فرحَّب بي الشيخ، وبزميلي فهد، وبارك لنا، ودعا للجميع - كعادته - بالتوفيق والسَّداد. واستمرَّ التسجيل مع سماحته متواصلاً دون انقطاع بعد كل صلاة عشاء، من يوم الجمعة، حيثُ كنا ننهل من معينه العذب، وحديثه الرَّباني، الذي لا يُمَلُّ. فقد كان - رحمه الله - ينهل من مشكاة النبوة. ومرَّت سَنَةٌ - كأنَّها أسبوع - على ذلك التسجيل المتواصل، لم يعتذر سماحتهُ عن أيِّ تسجيل فيها. فكُنَّا ننتظر يوم الجمعة - موعد التسجيل - بِشَوقٍ وشَغَفٍ، نظراً لانشغال الشيخ على مدار الأسبوع في شُؤونه الدَّعوية، وارتباطاته العملية. فَلَقَدْ وضع اللهُ القبول لِسَماحته عند الناس جميعاً، فلا تجد مسلماً في هذه البلاد أو خارجها، إلا ويدعو

للشيخ، سواءً أكان شاهده أو لم يشاهده، حيث فاقتْ شُهْرَتُه العالم الإسلامي، وأحبَّه العامِّي والمتعلِّم، والصغير والكبير، والمرأة والرجل.. فيا سعادة هذا العالم - إن شاء الله -. وهذا ما لَمَسْتُه من خلال الرسائل التي كانت تصل البرنامج، حيث يطلبون مِنَّا نقل سلامهم ودعواتهم إلى سماحة الشيخ، أو من الإخوة الذين التقوا بالشيخ، أو مِنْ مُحِبِّي الشيخ في هذه البلاد المباركة أو خارجها..

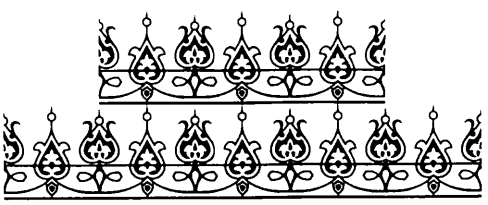

نورٌ على الدرب.. وشرح كتاب المنتقى..

برنامجان انتفع بهما – بإذن الله – خلقٌ عظيم، وكان سماحة العلامة ابن باز - رحمه الله - ضيفهما، وكان حريصاً على نفع الأمَّة بالعلم الشرعي الموثوق، وكان يُولي هذين البرنامجين جُلَّ اهتمامه وحرصه، رغم كثرة مشاغله وارتباطاته الدعوية. وكان موعد التسجيل بعد صلاة العشاء من يوم الجمعة من كل أسبوع، بعد أن نكون قد صلَّينا العشاء في مسجد الشيخ - رحمه الله -، أو في أقرب مسجد إليه، حيث كان الموعد في مكتبة الشيخ، في بيته العامر بذكر الله ﷻ، ويرافقني في التسجيل الأخ الزميل / فهد العثمان، الذي كان له محبةٌ في قلب الشيخ. فيستعد المهندس فهد بتحضير جهاز التسجيل، وهو جهاز " الناقرة "، ونجلس ننتظر سماحته حتى يُطِلَّ علينا بوجهه المشرق بنور الله، ثم يُسلم علينا، فنردُّ التحية، ثم يجلس على كرسيه، ويسأل عن حالنا وأهلنا وأولادنا. وكثيراً ما كان يسأل الأخ فهد عن والدته الكبيرة في السنِّ، فيُبَلِّغه الأخ فهد دعاء والدته وسلامها، ثم يخلع شماغه ويقول : مَنْ يأخذ الأمانة ؟ - يقصد الشماغ، للاحتفاظ به حتى انتهاء التسجيل - فيكونُ ذلك من نصيب الأخ / فهد العثمان، الذي يقوم بعد انتهاء التسجيل بإعادته إلى الشيخ.

لقد كان سماحة الشيخ ابن باز - رحمه الله - مُحِبًّا للخير، وعطوفاً على الجميع، ابتسامته مشرقة، وجبهته مضيئة، من أثر الطاعة والعمل الصالح..

يبدأ التسجيل، وأنفاس سماحته - رحمه الله - ودقّات قلبه كلُّها ذكرٌ وتسبيحٌ وتحميدٌ لله ﷻ، فأقوم بترتيب الأسئلة لبرنامج : " نور على الدرب "، فيقول سماحته : توكّلوا على الله. فَنُسَجِّلُ حلقة من برنامج : " نور على الدرب "، نعرض فيها جملة من الأسئلة، في العقيدة، والحديث، والفقه، وهذه الأسئلة تكون قد وُجِّهَتْ بِاسْمِ الشيخ، وكان يجيب عليها بِعِلْمِه الواسع، وسعة صدره، مستحضراً الأدلةَ، مِنْ الكتاب والسُّنة، وكان في كل جواب، استشهادٌ بآيةٍ كريمةٍ، أو حديثٍ شريفٍ، أو حكمةٍ خالدةٍ. فكان - رحمه الله - لا يَكَلُّ ولا يَمَلُّ مِنْ أجل الدعوة، ومن أجل تبصير الناس بأمور دينهم، ونشر عقيدة التوحيد، والدعوة إلى الله بِحِكْمَةٍ وبصيرةٍ. فَرَحِمَهُ اللهُ رحمةَ الأبرار.

❖ كان ممن يحضرون معنا قبل التسجيل الزميل / فهد البكران. مندوب مجلة الدعوة، ومسؤول الفتاوى، والمحرِّر فيها، حيث كان له موعدٌ مع سماحته لِعَرض الأسئلة التي تصل إلى مجلة الدعوة، فكان سماحته يسأل ويقول : بِمَنْ نبدأ أولاً ؟ فكان الأخ فهد يُسَابِقُنَا حتى يحظى بالتسجيل وعرضِ فتاوى مجلة الدعوة عليه أولاً، فكان يسبقنا مرَّةً، ونَسْبِقُه مرَّةً. وكنا ننتظر حتى ينتهي، فيبدأ برنامج نور على الدرب.

كان الشيخ / صلاح الدين عثمان، أمين مكتبة الشيخ، حَلَقَةَ وَصْلٍ بيننا وبين سماحته، وذلك في ترتيب اللقاءات للبرنامج، وكان مِمَّنْ يحضرون التسجيل للبرنامجين: "نورٌ على الدرب" و "شرح كتاب المنتقى". إلى جانب أنَّ الشيخ صلاح يقوم بتسجيل البرنامجين في مُسَجِّلٍ خاصٍ لمكتبة الشيخ على أشرطة كاسيت.

أيضاً كان ممَّن يحرصون على تسجيلات الشيخ - رحمه الله - الأخ/ أبو مشعل، محمد اليوسف، صاحب تسجيلات البَرْدَيْنِ، فكان لا يتخلَّف عن أيِّ موعدٍ للتسجيل مع الشيخ.

❖ لقد كان سماحة الإمام ابن باز أنموذجاً فريداً في حرصه على نفع الأمة، وقضاء حوائجهم، والإجابة على إشكالاتهم ومسائلهم. ففي إحدى الليالي المباركة يوم الجمعة، وبينما كنا نستعد للتسجيل مع الشيخ داخل مكتبته، إذا بباب المكتبة يُقْرَعُ، وإذا بأحد المشايخ يدخل، وهو فضيلة الشيخ / محمد المُوسى - حفظه الله - يهمس في أذُن الشيخ قائلاً: إنَّ هناك امرأةً كبيرةً في السنِّ، جاءت من مكان بعيد في شمال المملكة، وتريد أن تسأل سماحتكم عن موضوع رضاع، لأنها ستسافر في هذه الليلة، فاستأذن سماحة الشيخ - رحمه الله - قائلاً: أرجو أن تأذنوا لنا دقائق. ثُمَّ قام سماحة الشيخ، وقضى حاجتهم، ثم رجع إلينا قائلاً: هذه امرأة جاءت من مكان بعيد فأفتيناها وأجبناها على أسئلتها. رَحِمَكَ الله يا عالم الأمة على هذا التواضع الجمِّ، والخُلُقِ الرفيع.

إن هذه الأعمال تُذَكِّرُنَا بمواقف السَّلف الصالح. وسماحة الشيخ / ابن باز، هو بَقِيَّة السلف في زماننا هذا. ثم بدأنا التسجيل في تلك الليلة، حيث سجَّلنا حلقتين.

❖ من المواقف المباركة مع سماحة الشيخ - رحمه الله - وفي موعد آخر مع سماحته، أصرَّ ابني خالد على الذهاب معي للتسجيل - وهو في الصف الثالث الابتدائي - فحضر معي، وأثناء سلامنا على الشيخ وتقبيلِ رأسه قلتُ : هذا ابني خالد، يريد السلام عليك، فسَلَّم خالدٌ على الشيخ، وقبَّل رأسه. وسأله الشيخ : مَنْ ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ فأجابه خالدٌ على الأسئلة، فدعا له الشيخ بالتوفيق والهداية. وهذه دروسٌ في التعامل مع الصغار، ومؤانستهم.

❖ عادة ما يطلب منِّي أحدُ الإخوة من طلاب العلم، حُضُور التسجيل عنْ قُرْبٍ، أو لِيَطْرَحُوا عليه موضوعاً مَا، فَأُحَقِّقُ رغبتهم، فيذهبون معي. وقَبْلَ التسجيل أُعَرِّفُه على سماحة الشيخ، فَيُسَلِّمُ على الشيخ، فيبدأ الشيخ بسؤاله عن اسمه، وعمله، ونشاطه الدَّعوي. فَكَان - رحمه الله - لطيفاً مع زائريه وكأَنَّه يعرفهم منذ سنوات. وهذه دروسٌ أخرى يتعلم منها المسلم كيف كان العلامة ابن باز - رحمه الله - على قدْرٍ رفيع من التواضع والُخلق مع طلاب العلم وأهل القرآن.

أذْكُر ممن حضر معي عند سماحة العلامة ابن باز - رحمه الله - للسلام عليه، أو لِطَرح موضوعٍ خاص به : فضيلة الشيخ / أحمد بن

صالح الطويان، وهو أحد طلاب العلم المعروفين، والشيخ / محمد بن علي الصَّعب، الأستاذ في مدرسة تحفيظ القرآن الكريم بِعُنَيْزَة.

و أيضاً الأخ / عبد الله بن عبد الكريم الشايع. الطالب في جامعة الملك سعود بالرياض.

و الأخ / ناصر بن محمد بن فريح. موظف عسكري في القوات الجوية.

❖ ولقد عُرِفَ عن سماحة الشيخ ابن باز - رحمه الله - الإكثار من الذكر، والتسبيح، والتهليل، والاستغفار. فَذَاتُ مرَّة حضرتُ مبكراً قبل التسجيل، فَوَجَدْتُه جالساً على كرسيِّه في مكتبةِ منْزِله، بِصُحْبَةِ الشيخ / صلاح الدين عثمان، الذي كان يُرَافقه دائماً، فسلَّمْتُ عليه، وردَّ بأحسن منها، وقبَّلتُ رأسه، وجلستُ أنتظر مهندس الصوت الزميل / فهد العثمان، فَكَانَ طُوال الوقت مُطَأطِئاً رأسه يذكر الله : سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر. حتى حضر مهندس الصوت، وبدأنا التسجيل لحلقات برنامج : " نورٌ على الدرب ".

❖ لقد ضرب سماحة الشيخ ابن باز - رحمه الله - أروع الأمثلة في صور التعامل مع الصغار والصبيان. فقد كان يصلي - رحمه الله - يوم الجمعة في جامع الإمام تركي بن عبد الله بمدينة الرياض، وكان يحضر مبكراً للصلاة، وكنتُ أتشرف مع زملائي بنقل صلاة الجمعة مِنْ هذا الجامع المبارك، بالتناوب مع الزملاء الكرام، وكُنَّا نحظى بشرف السلام

على سماحته بعد كل صلاة. وذات مرة جاء طفل في العاشرة من عمره، وكان الشيخ في مُصَلاَّه يردِّدُ الأذكار التي بعد الصلاة، فَقَبَّلَ رأس الشيخ، فأمسك الشيخُ بيده، وسأله عن اسمه، ومدرسته، وهل يحفظ شيئاً من القرآن ؟ وكان الشيخ طوال الوقت مبتسماً مع الطفل ! تواضعٌ جَمٌّ، وخُلُقٌ رفيعٌ.

❖ في جامع الإمام تركي بن عبد الله بمدينة الرياض، وبعد نقل صلاة الجمعة كعادتنا لإذاعة القرآن الكريم، وفي أوَّل جُمُعَةٍ تُصَلَّى بالجامع بعد إعادة بنائه، وبعد الصلاة ألقى سماحتُه - رحمه الله - كلمةً مؤثرةً حثَّ فيها المسلمين على تقوى الله ﷻ، والمحافظةِ على الصلوات الخمسِ، والتقربِ إلى اللهِ بالطَّاعات والأعمال الصالحات، مُسَتَدِلاً بكتاب الله وسُنَّةِ رسوله ﷺ.

❖ كان سماحة الشيخ - رحمه الله - يُوصِي ويَحُثُّ المسلمين على سماع إذاعة القرآن الكريم وبرامجها، وخُصُوصاً برنامج : " نورٌ على الدَّرب "، لِمَا فيه مِنْ الخير العظيم، والفتاوى القَيِّمَةَ لِكِبَار العلماء، والنَّصائح، والإرشادات، والتَّوجيهات.

❖ كان سماحته - رحمه الله - يبدأ كل حلقة بِحَمْدِ الله والثناء عليه، ثم الصلاةِ على النبي ﷺ، ثم يقول كلمته المشهورة : " أمَّا بعد.. ". وكانت رسائل برنامج : " نورٌ على الدَّرب "، تَصِلُنَا من جميع أقطار العالم الإسلامي، وكان معظمُها، أو ٩٠ ٪ منها، توجه باسم صاحب

السماحة الشيخ / عبد العزيز بن عبد الله بن باز - رحمه الله -. فقد كان سماحته - رحمه الله - يولي جميع الرسائل التي نعرضها عليه، العنايةَ الفائقةَ، بالتوجيه، والنُّصح، والإرشاد، وبيان الحكم الشرعي فيها، مُسْتَمِدًّا الأدلةَ مِنْ الكتاب والسُّنة. وكان يُولي رسائل العقيدة مزيداً من الاهتمام والعناية، لِكَوْنِهَا الأساس الذي ينطلق منه المسلم في عباداته لله ﷻ، وفي تعاملاته. وكان سماحته - رحمه الله – يحذِّر المسلمين من كثيرٍ من البدع والخرافات، التي عَلِقَتْ في عُقُولِ كثيرٍ من الناس. وكان - رحمه الله - يُبَيِّنُ الحكم الشرعي في المسائل الشركية : كَالتعلُّقِ بالقبور، وتعظيم الأولياء والصالحين، وطَلَبِ العونِ منهم. فقد كان - رحمه الله - يهتم ببيان الجانب العقدي للمسلم. وكان سماحته يحرص على اجتماع الكلمة، فكان في كلِّ لقاءٍ، أو مناسبة، أو محاضرة، يحثُّ المسلمين على أهمية اجتماع الكلمة، وتوحيدها، ونبذ الفُرقة، وبيان خطرها، ومضارِّها. وقد أجريتُ مع سماحته حديثاً مطوَّلاً عن ذلك.

❖ وكان سماحته - رحمه الله - يحرصُ في كلِّ مناسبةٍ، أو تسجيلٍ، أو لقاءٍ، أو محاضرةٍ، على الإكثارِ مِنْ الدُّعاء لِوُلاة الأمر، بأن يحفظهم الله، وأن يوفقهم، ويُسَدِّدَهُم لِمَا يُحِبُّه ويرضاه.

و كنا بعد تسجيل حلقتين من برنامج : " نورٌ على الدرب " وبعد الانتهاء يطلب سماحته - رحمه الله - أن نُسْمِعَهُ شيئاً مِنْ التسجيل، أو مقاطع مِنْ إحدى الحلقتين.

مواقف عامة

❖ عندما كنا نتناول طعام الغداء أو العشاء على مائدة سماحته، كان الجميع على مائدةٍ واحدةٍ : العَالِمُ والعامِّيُّ، الكبير والصغير، الغنيُّ والفقير، المسؤول وغير المسؤول. فقد كان الجميع سواسية عند سماحته. فقد التقيتُ بمجموعةٍ مِنْ طلاب العلم من خارج المملكة وداخلها، وكُلُّهم ضيوفٌ على سماحته - رحمه الله -، من الكويت، وقطر، وبلاد الخليج. وقد كان العلماء، والمشايخ، وطلاب العلم، يتوافدون بعد صلاة العشاء، وذلك للسَّلام على سماحته، وبعضُهم يدخل علينا في مكتبة منْزِله قبل التسجيل، لِلسَّلام والاطمئنان على صحته. فكان سماحته - كعادته - يُلِحُّ عليهم أنْ يُشَارِكُوه طعام العشاء بَعْدَ التسجيل. فقد كان - رحمه الله -كريماً جواداً، لم أرَ مثله في الكرم والجود.

وعندما كنَّا ننتهي من التسجيل مع سماحته، كان - كعادته - يدعونا إلى تناول طعام العَشاء، ولكنني في أكثر من مرة كنتُ أعتذرُ من سماحته، وذلك لأنني غالباً ما أكونُ مكلَّفاً بتنفيذ فترةٍ في إذاعة القرآن الكريم، أو بسبب ظُرُوفٍ عائليةٍ طارئةٍ، فاعتذرتُ مرتين أو أكثر، فقال سماحته - رحمه الله - بعد انتهاء التسجيل في إحدى المرات: " لا يا عبد

الكريم، بدأتَ تخاف منها !! - يقصدُ زوجتي -، الذي يخاف منها ترانا سامحين له ". وهذا من مُداعبات سماحته. فَضَحِكْنَا جميعاً. وبعد ذلك كنتُ لا أتخلَّفُ عن أيِّ دعوةِ عشاءٍ يدعونا لها سماحته. فَرَحِمَهُ الله رحمةً واسعةً.

❖ كان سماحته - رحمه الله - مُحِبًّاً للعلماء وطلاب العلم، يسأل عنهم وعن أخبارهم، ويهتم بالدعوة والدعاة. فذات مرة حملتُ خطاباً أرسله معي سماحة الشيخ / صالح بن غصون، إلى سماحة الشيخ ابن باز - رحمهما الله جميعاً -. وعندما سلَّمتُه الخطاب، سألَ سماحته عن الشيخ / ابن غصون، وعن صحَّته، وعن أخباره. مع أنه كان على اتصالٍ بهم. فَرَحِمَ اللهُ الجميع .

❖ طلب مني ذات مرة الأستاذ / فهد بن محمد المعثم - من زملائنا في إذاعة القرآن الكريم - أن يذهب معنا بِرِفْقَةِ أخيه / ناصر بن محمد المعثم - رحمه الله -، وكان يعاني من مرضٍ خطير، حيث طلبوا من سماحته أن يقرأ على الأخ / ناصر لِمُعَانَاتِه الصحية، وقَبْلَ أن يبدأ التسجيل، قرأ سماحة الشيخ - رحمه الله - على الأخ / ناصر، وأكثر له من الدعاء، ثم شكرُوا الشيخ، وقَبَّلُوا رأسه، ثم خرجوا، حيثُ استأنفنا التسجيل مع سماحته في ذلك اليوم.

❖ لقد كان طلابُ العلمِ، ومُحِبُّو الشيخ، كُلُّهم يتمنَّون لقاء سماحته على انفراد، لِلتَّشَرُّفِ بالسلام عليه، أو الجلوس معه،

والاستئناس بالحديث معه. وأعتقدُ أنَّ هذه كانت أمنيةَ كل طالب علم، ومُحِب للشيخ. فقد طلب الأخ المهندس / فهد العثمان، من سماحته أن يُشَرِّفَهُ بدخول منْزِله، فكان سماحته - رحمه الله - قِمَّةٌ في التواضع، وتلبيةِ الدعوة، ولبَّى سماحته هذه الدعوة، وحدَّد موعد الزيارة، ففرح الأخ / فهد، بِهَذا الشرف العظيم، واستعدَّ لهذه الزيارة الميمونة، وبعد فترة اتصل بي الأخ / فهد، لتأكيد الموعد.

و بعد صلاة العشاء في أحد أيام الشتاء مِنْ عام ١٤١٨هـ، لبَّى سماحته الدعوة، وحضر مع مجموعةٍ من العلماء والمشايخ، وقد كان في مقدمة الحضور في ذلك اليوم سماحة الشيخ / عبد الله بن جبرين، وجَمْعٌ غَفِيْرٌ من العلماء وطلاب العلم، قَدِمُوا إلى منْزِل الأخ / فهد العثمان، في حيٍّ "سلطانة"، وكان الجو جواً روحانياً، ومجلساً من مجالس الذِّكر، حيث جلس الجميع تحفُّهم الملائكة، وتغشاهم الرحمة. وقد تفضَّل بتقديم هذا اللقاء فضيلة الشيخ الدكتور / عمر العيد، الذي رحَّب بسماحة الشيخ، وبالعلماء، وبالحضور. ثم طلب سماحة الشيخ ابن باز - رحمه الله - أن يُستفتح هذا اللقاء بآياتٍ من القرآن قائلاً: "مَنْ يستفتحُ هذا اللقاء ؟ مَنْ يقرأ علينا ؟. فانصبَّ الاختيار على الشيخ / خالد الدَّمْجَان، إمام وخطيب جامع وزير العدل، في حي سلطانة، وأحد المدعوين في هذا اللقاء، فقرأ سورة القيامة. وبعد ذلك تفضَّل سماحته - رحمه الله - بتفسير آياتٍ مباركات مِنْ هذه السورة العظيمة. ثم فتح المجال لِطَرح

الأسئلة والاستفسارات، وكان الشيخ / عمر العيد، يطرح الأسئلة التي تصلُه من الحضور مكتوبة، على الشيخ، فكان سماحته يجيب عليها مستحضراً الأدلة مِنْ الكتاب، والسُّنَّة، ثم بعد الانتهاء من الإجابة على الأسئلة دعانا مضيفنا قائلاً تفضَّلوا يا سماحة الشيخ.. يا هلا والله ومرحباً.. وكان طوال الوقت يُرَحِّبُ ويدعو، ثم قام الجميع لتناول العشاء وكانت مائدة موفقةً، روعي فيها التنظيم والدقة، احتفاءً بسماحته. وبعد العشاء وُدِّعُ سماحته مِنْ قِبَلِ العلماء وطلاب العلم، حيث استأذن سماحتُه بالانصراف داعياً للمُضِيف بالتوفيق والسداد. وكانت ليلةً لا تُنْسَى مع سماحته، تُكْتَبُ بِمِدَادٍ مِنْ ذهب. وهذه كانت عادتُه في كل دعوةٍ يُدعى إليها.

❖ وأذكر أن سماحة الشيخ - رحمه الله -، لبَّى دعوةً أُخرى، وجِّهتْ له من أحد طلاب العلم، وهو الشيخ / خالد الرزوقي، حيث حضر إلى مكتبة منْزل الشيخ، وقبل التسجيل للبرنامج، طلب من سماحته موعداً لدخول منْزِله، فاستجاب سماحته - كعادته - لهذه الدعوة. وقد تشرَّفتُ بحضور هذه الدعوة، حيث دعاني الشيخ / خالد.

❖ لقد كان سماحته - رحمه الله - يقّدر ظروف الآخرين، ويقبل منهم الأعذار، فذات مرَّةٍ كان لنا موعد مع سماحته بعد صلاة العشاء - كما هي العادة - لتسجيل حلقة من برنامج : " نورٌ على الدرب"، وكان سماحته متهيئاً للتسجيل، فاتصلتُ بالزميل / فهد

العثمان، قبل الموعد لأُخبره بظرفٍ طرأ لي، وطلبتُ منه أن يعتذر لي عند سماحته، فأخبر الزميل / فهد العثمان سماحة الشيخ بظرفي الطارئ، فقال سماحته: " لا بأس، نعطيكم موعداً آخر ". وكان هذا في أيام الشتاء.

❖ كان سماحته - رحمه الله - يتلطف مع زائريه، ويحب الحديث معهم. وأذكر أنه في عام ١٤١٧هـ هطلت أمطارٌ غزيرةٌ، وقبل التسجيل - في إحدى المرات - كان سماحته يتحدث مع من جلس معنا في مكتبة منْزِله عن الأمطار، وأماكن هطولها، والأودية التي سالت على إثرها.. وكان يُكثر من الحمد والثناء على الله ﷻ، وأن يجعل في نزولها الخيرَ والبركة. وكان طوال حديثه مبتسماً. وعندما انتهى الحديث معه عن الأمطار، قال: توكلوا على الله.. - يعني: ابدؤوا التسجيل -.

❖ وفي أحد أيام الشتاء، حضرتُ متأخراً بضع دقائق عن التسجيل، فوجدتُ سماحته مع الزملاء في المكتبة، فسلَّمتُ على الجميع، ثم أقبلتُ على سماحته أقبِّلُ رأسه وأسلم عليه، فقال لي: يدك باردة يا عبد الكريم !! فقلتُ: الجو بارد يا سماحة الشيخ. فهدأت أعصابي، واستردَّيْتُ أنفاسي المتلاحقة، حيثُ كنتُ خجِلاً من التأخُّر على سماحته.. وقد كان الشيخ / صلاح الدين عثمان، أمين المكتبة، يقرأ على سماحته أحد الكتبُ، حِفاظاً على الوقت. وعندما انتهى الشيخ صلاح من القراءة، قال الشيخ: " توكلوا على الله "، فبدأنا التسجيل..

شرح كتاب المنتقى

بعد سنة من تقديمي لبرنامج : " نور على الدرب " مع سماحته ، وبعد احد التسجيلات للبرنامج بعد صلاة العشاء من يوم الجمعة ، وأثناء جلوسنا على مائدة سماحته لتناول العشاء ، طَلَبَ المسؤولون في إذاعة القرآن الكريم ، مِنْ سماحته أن يكون له درسٌ علميٌّ في إذاعة القرآن الكريم في كتاب : " **المُنْتَقَى** "، فَوَافَقَ سَمَاحَتُه على ذلك ، وقد أبدى رغبته أنْ يكونَ كاتِبُ هذه السطور معه في التسجيل وفي قراءة الكتاب ، فكان ذلك حافزاً لي في العطاء والنشاط. وهذا فخرٌ أعتزُّ به طول حياتي. فَرَحِمَهُ الله رحمةَ الأبرار ، وأسكنه الفردوس الأعلى مِن الجنَّة.

بدأتْ الدورة الثانية في إذاعة القرآن الكريم ، واعْتُمِدَ شرحُ كتاب المنتقى ، وكانت التسجيلات الأولى لهذا البرنامج في بيت سماحة الشيخ في الطائف ، فقدْ جاءتْ الموافقة من الإذاعة على انتدابنا إلى الطائف للتسجيل مع سماحته ، ومع أصحاب الفضيلة العلماء هناك. وأذكر أنه كان بصحبتي رفيق الدَّرب في هذه الرحلة المباركة ، رحلة التسجيلات مع العلماء ، الزميل المهندس / فهد بن محمد العثمان ، لِقُرْبِهِ مِنْ العلماء ، وصِلَتِهِ الوثيقة بهم ، ولتقديره لهم.

وصلْنَا الطائف، وكان هذا في عام ١٤١٧هـ، وسكنَّا في شقةٍ تُطِلُّ على محراب مسجد العباس. وفي فجر ذلك اليوم، وبعد وصولنا، ذهبنا للصلاة مع سماحته في مسجده، والمعروف بمسجد / ابن باز، في حي عودة بالطائف. وبعد الصلاة استقبلنا سماحتُه بالسَّلام والترحاب، وسألَنَا عن موعد وصولنا، فأخبرناه عن ذلك، فقال للشيخ صلاح الدين عثمان : " أخبرهم عن موعد الغداء معنا "، وطلب تهيئة مسكنٍ لنا، فأخبرناه أننا سكنَّا في شقة قريبة منه، وشكرناه، وقبَّلْنَا رأسه، ودعونا له. فقال : " اسمعوا إذاً، الغداء والعشاء عندي، ما دام أنَّكم في الطائف ". فقلنا : سمعاً وطاعةً. وطلبنا من سماحته أن يتكرَّم بإعطائنا مواعيد التسجيلات، وخصوصاً أنَّ هناك برنامجاً جديداً له، وهو كتاب : " المنتقى "، فرحَّب الشيخ بذلك، وأعطانا مواعيد، كنَّا نسجلها أنا وزميلي / فهد. وكانت المواعيد على النحو التالي :

- الأول : بعد صلاة الفجر، في منْزِلِه.
- و الثاني : في مكتبه، في دار الإفتاء.
- و الثالث : بعد صلاة العشاء، في منْزِله، إذا لم يكن لسماحته درسٌ، أو محاضرة، أو لقاء، أو غير ذلك.

سجَّلنا أولى حلقات برنامج شرح كتاب " المنتقى "، بعد فجر أحد الأيام في مكتبة منْزِله العامر بذكر الله، في الطائف، حيث خصصنا الحلقتين الأوليين للبرنامج الجديد شرح كتاب " المنتقى ". وفي بداية الحلقة

الأولى وبعد ترحيبي بمقدمة طويلة عن الشيخ وعلمه وجهوده المباركة في خدمة الإسلام والمسلمين، طلبتُ من سماحته قبل أن يبدأ بشرح الأحاديث، أن يتفضل مشكوراً بمقدمة تعريفية عن الكتاب، فاستهلَّ فضيلتُه الحلقةَ بِحَمْدِ الله والثناء عليه، والصلاة على رسولنا ﷺ، ثم حثَّ المسلمين على العناية بالأحاديث الصحيحة، وحثهم على اتباع السُّنة وتطبيقها قولاً وعملاً، في كلِّ عمل يقوم به المسلم.

و " المنتقى " : كتابٌ لِمَجْدِ الدين أبي البركات عبد السلام ابن تيمية الحرانِّي. وكانت أولى حلقات البرنامج من باب الطهارة. وكانت طريقتي في دروس " شرح المنتقى " أنني أقرأ عنوان الباب فأقول : باب الطهارة، ثم أقرأ المتن وما ذُكِرَ فيه من أحاديث، وبعد نهايتها يقوم سماحته بشرح هذه الأحاديث شرحاً إجمالياً ممتعاً كالسَّهل الممتنع، وفي نهاية الشرح أطرحُ جملة من الأسئلة على سماحته ،تتعلَّقُ بأحاديث الباب. وقد كان درس " شرح المنتقى " مِنْ أشهر الدروس العلمية التي قُدِّمَتْ في الإذاعة لِسَمَاحَتِهِ، حيث وُفِّقَ سماحته - رحمه الله - كعادته - في شرح هذا الكتاب، بأسلوبه الشيِّق، وعباراته الرصينة.

سجَّلنا مع سماحته في الرحلة الأولى في الطائف ثماني حلقات من شرح كتاب " المنتقى "، وثماني حلقات مِنْ برنامج : " نورٌ على الدَّرب".

و قد أولى سماحته - رحمه الله - هذا البرنامج عنايةً كبيرةً من وقته، حيث منَّ الله عليه بِحِفْظِ الأحاديث، وتمييز صحيحها من ضعيفها.

فهو عَلَمٌ مِنْ أعلام الحديث، ورجُل وهبه اللهُ قدرةً في الحفظ والإتقان. ففي إحدى الحلقات للبرنامج، كنتُ أقرأُ عليه في باب : " مَنْ تحيض ستاً وسبعاً، لِفَقْدِ العادة والتمييز "، وكان الحديثُ طويلاً جداً، وفيه عبارات صعبٌ عليَّ نطقُها، فكنتُ أقرأ من الكتاب ويُصَحِّحُ لي سماحته بعضَ الألفاظ الصَّعبة في الحديث. وعندما انتهيتُ من قراءة الحديث قال الشيخ : " الله أكبر ". وكان سماحته - رحمه الله - يحفظُ النَّص حفظاً تاماً.

و كان لِدَرس " شرح المنتقى " في الإذاعة، جمهوره العريض، في الداخل والخارج، وكنت أُسْأَلُ في كلِّ مجلسٍ عن حلقات البرنامج، وموعدِ إذاعته، وهل بإمكانهم الحصول على حلقاته ؟.

وعندما بدأ البرنامج في دورة عام ١٤١٧هـ، وفي حلقاته الأولى، لم يتوقف الهاتف عن الشكر والثناء على المسؤولين في الإذاعة، لإتاحتهم تقديم هذه الدروس المفيدة لكبار العلماء. فقد كانت تصلني رسائل عديدة باسم البرنامج، تشيد به، وتقترح زيادة حلقاته، فالبعض يطلب أن يكون يومياً، والبعض الآخر يطلب أن يكون مرتين في الأسبوع.

كان سماحة الشيخ - رحمه الله - دائماً وأبداً، حريصاً على تطبيق السُّنة في كل أقواله وأفعاله. فعندما كنَّا نسجل معه في الطائف، أو في الرياض، بعد الفجر، كان سماحتُه - رحمه الله - يتصبَّح بسبع تمرات - أخذاً بحديث الرسول ﷺ (مَنْ تَصَبَّحَ بِسَبْعِ تَمَرَاتٍ، لم يَضُرُّه سُمٌّ ولا

سِحْرٌ ذلك اليوم)[1] - فَكُنَّا نتناول مع سماحته التمر والقهوة قبل التسجيل.

و في أحد الأعوام كُلِّفْتُ بالتسجيل مع سماحته لبرنامج : " نورٌ على الدَّرب "، وكان هذا في عام ١٤١٦هـ، حيث لم يرافقني الزميل / فهد العثمان، بسبب ظروف طارئة، فَذَهَبْتُ إلى الطائف بمفردي، وهناك وجدتُ من سماحته كلَّ عنايةٍ وتقدير واهتمام. وقد سجلتُ مع سماحته ثماني حلقات للبرنامج. وأذكر أنَّ خالتي - وهي مقيمةٌ في الطائف، وكنت أتردد عليها - طلبتْ منِّي أنْ يقرأ لها سماحةُ الشيخ / عبد العزيز، على ماءٍ، نظراً لأنها كانت تعاني من ظروف صحية. وأثناء ذهابي إلى التسجيل مع سماحته في منْزِله، طلبتُ منه أن يقرأ لي على ماء أحضرتُه معي، فاستجاب سماحته - رحمه الله - وقرأ لي على الماء، وأخلص في الدعاء، فأعطيتُه خالتي، فدعتْ له على حُسْنِ صنيعه - رحمه الله -. وهذه عادته في بذل ما يستطيعه، لنفع الآخرين.

❖ لقد أعطى العلامة ابن باز - رحمه الله - الأُمَّة عِلْمَاً نافعاً، ومعرفة واسعةً، وقوة لا تعرف العجز أو الخور.

❖ لقد كان سماحته - رحمه الله - حريصاً كل الحرص على الشفاعة للنَّاس، فكان يكتُبُ لهم، ويسعى في قضاء حوائجهم،

---

(١) أخرجه البخاري (٥١٣٠ ، ٥٤٣٥ ، ٥٤٣٦) ، و مسلم (٢٠٤٧) ، و أبو داود (٣٨٧٦) ، و ابن ماجة (٤١٥٧) ، أحمد (١٥٣١ ، ١٥٧٥ ، ٧٩٠٥ ، ..) .

ويساعدهم، ويُفَرِّجُ كُرْبَتَهُم. وكان الزميل / فهد العثمان - جزاه الله خيراً - حريصاً على تفَقُّدِ المحتاجين، والشفاعةِ لهم عند سماحته. فأذكرُ أنه كان قبل كل تسجيل يتحدثُ مع سماحته : إمَّا عنْ أسرةٍ فقيرةٍ محتاجةٍ، أو طلبِ نقلٍ، أو شفاعةٍ في موضوع معيَّن.. فكان سماحته لا يتوانى في تحقيقه، ويقول اكتبوا لنا عن ذلك. فكان - رحمه الله - يثقُ بالزميل / فهد، وكثيراً ما كان يسأله عن والدته الكبيرة في السنِّ، وعن جيرانه، وبعض معارفِه، حيث إنَّ الأخ / فهد مِنْ أهل الرياض. وكان الأخ / فهد مَا بين الفينة والأخرى، يُحْضِرُ ماءَ زمزمَ أو غيره في إناء أو جالون، ويطلبُ من سماحته أن يقرأ له فيه، فيُبادر سماحته - رحمه الله - بالقراءة.

❖ وكان ممن يحضرون معنا للتسجيل في بعض الأحيان، الأخ/ عثمان العبد الكريم، وهو زميل وأخ عزيز للزميل / فهد.

❖ كان سماحته - رحمه الله - دائماً يسألنا قبل التسجيل : هل عندكم رصيد من الحلقات ؟ سواءٌ كان برنامج : " نورٌ على الدَّرب "، أو " شرح كتاب المنتقى "، فنُجِيبُهُ عن ذلك، حيث كان سماحته - رحمه الله - حريصاً على هذين البرنامجين اللذيْنِ نفع الله بهما خلقاً عظيماً.

❖ في مكتبة منْزِلِ سماحته في الرياض كُنَّا نُسَجِّلُ برنامج " نورٌ على الدَّرب ". وقد جاء مجموعةٌ من طلاب العلم مِنْ الخَرْجِ للسَّلام على سماحته، وبعد السَّلام كان سماحته يرحب بهم، ويدعوهم إلى تناول

طعام العَشَاء بعد التسجيل، فقال أحدهم : يا سماحة الشيخ.. بدأنا نسمع الحلقات الجديدة مع الأخ / عبد الكريم المقرن، بِوُضوح تام. فقال سماحته : وما السَّبب ؟ فقلت : يا سماحة الشيخ.. نحن نسَجِّلُ معكم بالمسجل الكبير، المعروف بـ " الناقرة "، وهو جهازٌ ذو صوتٍ جيدٍ، وكفاءةٍ عاليةٍ، ثُمَّ إنَّ مهندس الصوت الزميل / سعد بن عبد العزيز بن خميس، بدأ يُضِيْفُ إلى هذه الحلقات التي نسجلها معكم شيئاً مِنْ الصَّدى، وتنقيةِ الصوت، فأصبح الصوتُ واضحاً ومؤثراً. فَدَعَا الشيخُ للأخ / سعد بن عبد العزيز بن خميس، وقال : الله يسعده في الدنيا والآخرة. وذلك لأنني كنتُ في نهاية كل حلقة من الحلقات، أذكر أسماء المهندسين الذين ساهموا في تسجيل اللقاء، فأقول العبارة المشهورة : (ولكم التحية من مهندس الصوت في الإذاعة الخارجية / فهد العثمان، ومِنْ مهندس الصوت / سعد عبد العزيز خميس). وفي إحدى الحلقات عندما ذكرتُ هذه العبارة، قال سماحته : هالسَّعد.. اللهُ يُسْعِدُه في الدُّنيا والآخرة، جزاه الله خيراً هالسعد. فأخبرتُ الزميل / سعد خميس، بأنَّ الشيخ دعا له في نهاية الحلقة. فلمَّا سمعها الزميل / سعد خميس، نسخها على شريط كاسيت، ثم أسمعَ أهله هذه الدعوة المباركة المستجابة - إن شاء الله -، ففرِحوا بها. وهو محتفظٌ بهذا الشريط - الذي فيه دعوة الشيخ - حتى الآن.

❖ كان يشرف معي على تسجيلات الإذاعة لِسماحة الشيخ - رحمه الله -، الزميل / سعد بن عبد العزيز خميس، وهو من مواليد الدلم ١٣٧٥هـ. وله خبرة إذاعية في مجال هندسة الصوت والمونتاج، تقدَّر بـ ٢٦ سنة. وقد عُرف عنه حُسن الخُلق، والتَّفاني في العمل، وسعة الصدر، وجودة الأداء. فأحببتُه في الله، وعملنا سوياً في الإشراف على حلقات سماحة الشيخ، في الإذاعة. فكان يبذل جهوداً مباركة في مونتاج الحلقات، وأحياناً ينتهي وقت الدوام، وهو جالسٌ معي، صابراً محتسباً.

يحدثني الزميل سعد، ويقول : الحمد لله يا أبا خالد.. هذا البرنامج أكسبني محبة الناس، وثناءَهم ،و دعاءَهم، وتقديرهم، واحترامهم، حيث إن اسمي موجود في شارة البرنامج، فلا أحضر مناسبةً أو لقاءً، وأُسالُ عن اسمي، إلا ويُقال : أنت الأخ سعد خميس، الذي في إذاعة القرآن الكريم ؟ فأقول : نعم. فيقولون : جزاك الله خيراً.. وأسأل الله أن يجعل عملي هذا خالصاً صواباً مقبولاً.

❖ كنتُ أزور سماحة الشيخ – رحمه الله - في منْزِله بعض المناسبات والأعياد وغيرها. وأذكر أنه كان مِمِّنْ حضر معي للسَّلام على سماحته، فضيلة الشيخ / عبد العزيز بن محمد الحامد، وذلك في عام ١٤١٩هـ، حيث ذهبنا لتهنئة سماحته بعيد الفطر المبارك، وكان لِوَالدي شرف السلام على سماحته، حيث حضر هو وأخي علي بن صالح المقرن، للسَّلام على سماحته.

سجَّلتُ مع سماحته عدَّة لقاءات، ومنها إلى جانب برنامج : " نورٌ على الدَّرب "، ما يلي :

- ندوة الإذاعة : وكانت عن : التقوى وثمارها في الكتاب والسنة.
- برنامج : " أهل الذكر "، وهو عن : رمضان والحج.
- لقاء عن : فضل اجتماع الأُمَّة، وعدم التفرُّق.
- لقاء مُنَوَّع، اشتمل على عدَّة أسئلة.
- وفي الأيام الأخيرة من حياة سماحة الشيخ - رحمه الله -رغب أن يكون التسجيل لشرح كتاب المنتقى بعد صلاة الفجر في منْزله، فاستجبنا لسماحته، وكانت الحلقات ٤٥ — ٤٩ آخر ما سجلنا معه - رحمه الله -.

رَحِيلُ الشَّيْخِ..

بعد رمضان من عام ١٤١٩هـ، ابتدأ المرض بالشيخ - رحمه الله -، فكان صابراً محتسباً الأجر والمثوبة، راضياً بقضاء الله وقدره، صابراً على الآلام والتعب الذي لقيه من المرض، ولم ينقطع نشاطه العلمي والدعوي، يواصل عمله ليلاً ونهاراً، وكأنه لا يشكو شيئاً..

و لم يذهب سماحته لحج عام ١٤١٩ هـ، نظراً لظروفه الصحية، حيث التقيت بِسَمَاحَتِهِ، في مُصَلَّى العيد الكبير، في عيد الأضحى المبارك. وقد الْتفَّ حوله بعد الصلاة مجموعةٌ من العلماء وطلاب العلم، لِلسَّلام عليه، وتهنئته بعيد الأضحى المبارك.

❖ بعد موسم الحج، اعتمر - رحمه الله -، ثم ذهب - كعادته - إلى الطائف، وهناك تعب الشيخ من أثر المرض الذي ألمَّ به، فنُقل إلى مستشفى الهدا بالطائف، فاتصلتُ بسماحته في المستشفى للاطمئنان عليه، فردَّ عليَّ فضيلة الشيخ / أحمد ابن سماحة الشيخ، ثم أعطى سماعة الهاتف لسماحة الشيخ، فتحدث معي بصوت متهدج قد أعياه المرض، فلم يستمر معي في الحديث طويلاً، فودَّعته، ودعوت له.

❖ وفي يوم الخميس الموافق ٢٧/ ١ / ١٤٢٠ هـ، وبينما كنت أسَجِّلُ برنامج " سؤال على الهاتف "، أُبْلِغْتُ عن وفاة العلامة الزَّاهد الورع سماحة الشيخ / عبد العزيز بن باز - رحمه الله -، فَلَمْ أتمالكْ نفسي، ولم أدرِ ماذا أفعل، فرجعتُ إلى المَنْزِلِ حزيناً على عالم الأمَّة. فقد كان الخبر كالصَّاعقةِ على قلبي. نعم.. لقدْ مات الشيخُ، فردَّدتُ: لا حولَ ولا قوة إلا بالله. إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون..

إنَّ العلماءُ هم وَرَثَةُ الأنبياء، يحملون مِشْعَلَ الهداية والتوجيه، ومِنْ هنا ظهرتْ مكانتهم في الأُمَّة.. وفي بلادنا المباركة، لِلْعُلَمَاءِ تقديرٌ واحترامٌ وإجلالٌ ووقارٌ، انطلاقاً مِنْ منهج بلادنا المباركة في توقير العلماء واحترامهم، مِمَّا كان له الأثر البالغ في نفوس المسلمين عموماً، وفي نفوسِ أهلِ هذه البلاد خصوصاً.

وعلى رأس هؤلاء العُلَمَاءِ الأبْرارِ الذين كانت لهم الإمَامَةُ في الدِّيْنِ، والمحبةُ في قلوب العالمين، سماحة العلامة الشيخ / عبد العزيز بن عبد الله بن باز، قدَّس الله روحه، ونوَّر ضريحه. فقد كان ولاة الأمر - حفظهم الله ورعاهم - يُحِبُّونهُ ويقدِّرُونه، ويُجِلُّونه. وأكبر دليل على ذلك، حضور ولاة الأمر - حفظهم الله ورعاهم - للصَّلاة على جنازته في المسجد الحرام، مِمَّا كان له أثرٌ كبيرٌ على نفوس الآخرين. فَجَزَى اللهُ ولاةُ أمرنا خير الجزاء على ما يُقَدِّمُونه مِنْ نُصْرَةٍ للإسلام والمسلمين، ومن تقديرٍ لِلْعِلْمِ والعلماء، وجَعَلَ ذلك في موازين حسناتهم. فَرَحِمَكَ اللهُ يا

سماحة الشيخ، وجعلك محبوباً في الحياة وبعد الممات، وأسكنك الفردوس الأعلى مِنْ الجنة.

وفي يوم الجمعة ٢٨ / ١ / ١٤٢٠ هـ بكى المسلمون واحداً من حملة المنهج الإلهي على ظهر الأرض، بكى المسلمون شيخ المشايخ، وعالِمَ العلماء، وإمام الدَّعوة، وحامل نهجها، إمام الموحدين في عصرنا الحاضر، وبقية السَّلف. بكى المسلمون واحداً مِنْ الَّذين قال اللهُ فيهم: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴾[1]. والحزنُ على سماحة العلامة حزنٌ على ثروةٍ كبيرةٍ مِنْ الأخلاقِ الكريمةِ، وحُسْنِ المعاملة، وفِعْلِ الخير، ومَحَبَّةِ النَّاس، وقضاءِ حوائجهم. فكثيرون هم الذين يرحلون عن هذه الدنيا، في كلِّ يومٍ وليلةٍ، وقد لا يكون لِرَحِيْلِهم أثرٌ في قلوب الأحياء. وعندما نقول: " بكى المسلمون "، لأنَّ البكاء والحزن والدمع، شِعَارُ المحبين. وإنَّ القلب لَيَحْزَنُ، وإنَّ العين لَتَدْمَعُ، ولا نقول إلا ما يرضي الرَّب، "إنَّا لله وإنَّا إليه لَرَاجِعُون" أمَّا رحيلُ سَمَاحَةِ الإمام المجاهد الشيخ / عبد العزيز بن باز، فقد أصاب الأمَّة بالحزن العميق، والفَقْدِ الأليم، لِعَالِمٍ صابرٍ مُحْتَسِبٍ، مجالسُه بالعلم عامرة، وأوقاته لطاعة الله حافظة.

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٢٣.

مضى ولم تمضِ فضائلُه، ومحاسنُه، وأخلاقُه. بَقِيَ علمُه، وفضله، ودعوته. فقد كان - رحمه الله - هيِّناً، ليِّناً، عطوفاً، يُحِبُّه القلب مِنْ أوَّل وهلةٍ، متواضعاً للناس، لَيِّنَ الجانب معهم، رفيقاً بهم عند إجابته لأسئلتهم وقضاءِ حوائجهم، إلى جانب صَدْعِه بالحق، لا تأخذه في الله لومة لائم. فقد نفع اللهُ بعلمه وأخلاقه، فتأثَّر به الكثيرون، وأحبَّه العامَّةُ قبل المتعلِّمين. فلا نَمْلِكُ في هذه المصيبة العظيمة إلا أنْ نقول: "إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون"، وإنا لِفِرَاقِكَ يا شيخنا لَمَحْزونُون. إنَّ المصابَ جَلَلٌ، والخَطْبَ عظيمٌ، فَقَدْ فُقِدَ عالمُ الأمَّة وإمام دعوتها، فَقَدْ كان بيننا مِلء السَّمع والبصر. لذلك فإنَّنا قد جعلنا من الصبر والاحتساب سلاحاً نعتدُّ به في مصائبنا:

دَهَى الجزيرةَ خطْبٌ لَيْسَ يُحْتَمَلُ فَلْتَنْفَطِرْ مُهَجٌ ولْتَنْهَمِرْ مُقَلُ

و هكذا تَنْقُصُ الأرض مِنْ أطرافها، بِمَوْتِ عُلَماءِ الأُمَّةِ، فالعلماء هم ورثةُ الأنبياء، وقُرَّةُ عيون الأولياء، فالحيتانُ في البحار لهم تستغفر، والملائكةُ بأجنحتها لهم تخضع. فَهُمْ سِرَاجُ العباد، ومنارُ البلاد، وقوامُ الأُمَّةِ، وينابيعُ الحِكْمَةِ. بِهِمْ تحيا قُلوبُ أهْلِ الحقِّ، وتَمُوتُ قُلُوبُ أهلِ الزَّيْغِ. مَثَلُهُم في الأرض كَمَثَلِ النجوم في السماء، يُهْتَدَى بِهَا في ظلمات البَرِّ والبحر، فإذا انطمستْ النُّجوم، تحيَّرَ السَّالكون. نعم.. فَهُمْ زينة الأرضِ ونورها، فإذا فَقَدَتْ الأُمَّة علماءها، فقد خسرت روحها الحيَّة، وقلبها النَّابض.

و بعد وفاة الشيخ - رحمه الله - بأربعة أيام، رزقني اللهُ بطفلٍ، فلم أتردد في اختيار اسمه، حيث سمَّيتُه " عبد العزيز "، تطبيقاً للسنة، تيمُّناً بسماحة العلامة الزاهد الورع الشيخ / عبد العزيز بن باز - رحمه الله -، وكان هذا الطفل بركة عليَّ وعلى أهل بيتي.

بعد وفاة الشيخ هاتفني - في المنْزل - كثيرٌ من محبِّي الشيخ وطلاب العلم للتعزية في سماحة العلامة ابن باز، والدعاء له، والترحُّم عليه من القصيم، وحائل، وسدير، وحوطة بني تميم، وبعض مناطق المملكة،.

و قد قام المسؤولون في إذاعة القرآن الكريم - جزاهم الله خيراً - بعد وفاة سماحته، بإعادة إذاعة برنامجه الشهير : " شرح كتاب المنتقى "، من أول حلقة سُجِّلت مع سماحته، فازداد حبُّ الناس له، ودعائهم له، ونفع الله بهذا البرنامج خلقٌ عظيم.

نسأل الله أن يجعل ذلك في موازين حسناته، وأنْ يرحمه، وأنْ يرفع درجته، ويتقبل منَّا ومنه صالح الأعمال.. إنه سميعٌ مجيب.

أحد اللقاءات التي سُجِّلت

مع سماحته - رحمه الله -، عن :

التقوى . .

معناها - ثمارها -

الأمور التي تساعد عليها . .

أجـرى الحـوار :

أبو خالد، عبد الكريم بن صالح المقرن

المقدمة :

إنَّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونَتُوب إليه، ونعوذُ بالله مِنْ شُرورِ أنْفُسنا وسيِّئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِ الله فهو المهتد، ومن يُضلل فلن تجد له وليًّا مُرْشِداً، والصَّلاة والسَّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحابته ومَنْ تَبِعَ هُداه إلى يوم الدِّين.. أما بعد..

فهذا لقاء مبارك سجَّلْتُه مع سماحة الشيخ / عبد العزيز بن باز - رحمه الله - عن موضوعٍ مُهِمٍّ، وهو : " **التقوى** ". وقد تحدَّث فيه الشيخ - حفظه الله - مِنْ عِدَّةِ جوانب، فذكر **معنى التَّقوى، وثمارها في الدنيا والآخـــرة، وتحدَّث عن الأمور التي تساعد على التقوى.** فَإِلَى هذا اللقاء المبارك حفظكم الله..

الآيات الواردة في فضل التقوى، ومعنى التقوى :

س : بدايةً سماحة الشيخ، نودُّ أنْ تُلقُوا الضوء على الآيات الواردة في فضل التقوى ؟ وما معنى التقوى ؟.

ج : بسم الله الرحمن الرحيم. الحمدُ لله، وصلَّى الله وسلم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومَنْ اهتدى بهداه، أما بعد..

فإنَّ الله ﷻ خلق عباده لِيَعبدُوه : الجنَّ والإنْسُ. وأمَرَهُم

بِذَلِكَ، فقال سبحانه : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[١]، وقال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ﴾[٢]، وبعث الرُّسل بهذا، عليهم الصلاة والسلام، فقال ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ ﴾[٣]، وهذه العبادة هي : التَّقوى التي أمر اللهُ بها الناس، العبادة هي : التقوى، وهي الإيمان، وهي الهدى، وهي البرُّ. قال الله جلَّ وعلا : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ﴾[٤] مثلما قال : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ﴾[٥]، وقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾[٦]، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ ﴾[٧]، وقال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ ﴾[٨] فالتقوى هي عبادة الله، وتوحيده، وطاعة أوامره، وترك

---

(١) سورة الذاريات ، الآية : ٥٦ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢١ .

(٣) سورة النحل ، الآية : ٣٦ .

(٤) سورة النساء ، آية : ١ ، و سورة الحج ، آية : ١ ، و سورة لقمان ، آية : ٣٣ .

(٥) سورة البقرة ، الآية : ٢١ .

(٦) سورة النساء ، آية : ١ .

(٧) سورة الحج ، آية : ١ .

(٨) سورة لقمان ، آية : ٣٣ .

نواهيه. هذه هي العبادة، وهذه هي التقوى، وهذا هو الإيمان. الإيمان هو: توحيد الله، والإيمان بكل ما أخبر الله به ورسوله ﷺ، مع الاستقامة على دينه، وترك معصيته. ولهذا أمر الله بها جميع الناس، وأمر بها المؤمنين، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾[1]، مثلما قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[2]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[3]. فالتقوى هي طاعة الله، هي توحيد الله، هي عبادة الله، هي الإيمان بالله ورسوله. هذه هي التقوى. سمَّى اللهُ دينه تقوى، لأنَّ مَنْ التزم به واستقام عليه، وقاه الله غضبه، ووقاه الله عذابه، ووصل إلى الجنة والكرامة. وسَمَّى اللهُ دينه عبادة، لأنَّ جميع أوامره تُؤدَّى بالذُّل والخُضُوع. فهو سبحانه يُوحَّدُ ويُعْبَدُ بالذُّل والخضوع. يُطاعُ أمرُه بالذُّل والخضوع. يُنْتَهَى عنْ نَهْيه بالذُّل والخُضُوع. فَدِيْنُه عبادةٌ، لأنَّ العبد يؤدي حقَّ الله ذليلاً خاضعاً، مُنْكَسِراً لربِّه ﷻ، يرجو رحمته ويخشى عقابه. ولِهَذا سمَّى اللهُ دينه عبادة. وسَمَّى اللهُ دينه تقوى، لأنَّ العبد يتقي به غضب الله، يتقي به عقابه. وسمَّاه اللهُ إيماناً، لأنَّ العبد يؤمن بِرَبِّه، ويؤدي العبادة عن إيمانٍ، وعن تصديقٍ، لا

---

(١) سورة النساء، آية: ١، و سورة الحج، آية: ١، و سورة لقمان، آية: ٣٣.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٠٢.

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠ - ٧١.

عن تساهلٍ، ولا عنْ مُجَرِّدِ عادةٍ. بل يعبد ربَّه ويتَّقيه، عن إيمانٍ، وعن تصديقٍ لله ولرسوله ﷺ، وعن رغبةٍ فيما عند الله. ولهذا قيل له إيمان، لأنَّه يؤدَّى بتصديقٍ بالقولِ والعمل. وسمَّاهُ الله برًّا، لأنه رُشْدٌ وخَيْرٌ، لأنَّهُ صلاحٌ وإصلاح. ولِهَذا سمَّاه الله بِراً. قال تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ﴾ (١)، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴾ (٢). فالإيمانُ بالله: بِرٌّ وهُدى، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ (٣). فَدِيْنُ اللهِ بِرٌّ وهُدى وتَقْوَى وعِبَادَةٌ وإيْمَانٌ وتَصْدِيْقٌ. كُلُّ ذلك يُطْلَقُ على ما شرع اللهُ لِعِبَادِهِ مِنْ دين الإسلام. يُسَمَّى إسلاماً، لأنه ذُلٌّ وخضوع لله وانقيادٌ له.

و يُسَمَّى عبادة، لأنه ذلٌّ وخضوع لله. ويُسَمَّى إيماناً، لأنَّه تصديقٌ لله ولِرُسُلِه. ويُسَمَّى تقوىً، لأنَّه يُتَّقَى به غضبُ الله وعقابُه. ويُسَمَّى براً، لِمَا فيه مِنْ الخير والصَّلاح.. كُلُّها معانٍ دالة على المعنى العظيم الذي يقتضيه الشرع المطهَّر.

(١) سورة البقرة، آية: ١٨٩.

(٢) سورة الانفطار، آية: ١٣، و سورة المطففين، آية: ٢٢.

(٣) سورة النجم، آية: ٢٣.

حدودُ التَّقوى ومجالاتها :

س : جزاكم الله خيراً سماحة الشيخ، بعد أن عرفنا معنى التقوى، وأوردتم الآيات الدالة على فضل التقوى. ما حدودُ التَّقوى، وما مجالاتُها - حفظكم الله - ؟

ج : التقوى عامَّة في كل شيء : في طاعة الله ورسوله، فيما يأكل ويشرب ويلبس، في معاملته للناس، في سفره وإقامته، في جميع أحواله عليه أن يتقي الله، في جميع المجالات، في العبادات، وفي الأمور العادية، وفي المأكل، والمشرب، والملبس، وفي الاجتماع بالناس، وفي السفر والإقامة، عليه أن يتقي ربَّه في كلِّ شيء. في ملبسه : لا يلبسُ إلا مَا أحلَّ اللهُ. في مأكله : لا يأكل ولا يشرب إلا ما أحل الله. في صحبته لإخوانه : لا يصحبهم إلا بالتقوى، لا يصحبهم بالغش والخيانة، بل يصحبهم بالإيمان والتقوى وأداء الأمانة وغير ذلك. في السفر : ليس له أن يسافر إلى ما حرَّم الله، وعليه أنْ يتقي الله في سفره، كما عليه أن يتقي الله في إقامته. وفي معاملاته وتجارته : عليه أن يتقي الله، فليس له أنْ يُعَامِلَ بِالغِشِّ والخيانة، ولا بالرِّبا، ولكن يعامل بالبِرِّ والصِّلة، والصدق، والحذر مِنْ الرِّبَا. وهكذا في جميع الأمُور..

ثمار التقوى :

س : جزاكم الله خيراً سماحة الشيخ. هذا الموضوع العظيم، وهو تقوى الله، لا شكَّ أنَّ لِتَقْوى اللهِ ﷻ ثِمَاراً يانعة، يقطفها المسلم. فحدِّثونا عن هذه الثمار ؟

ج : التقوى لها ثمارٌ عظيمة في العاجل والآجل، فثمارها في الدنيا أنها مِنْ أسباب توفيق اللهِ للعبد، ومِنْ أسباب الرِّزق الحلال الطيِّب، ومن أسباب السلامة مِنْ كل سوء، ومن أسباب مزيد العلم. إلى غير ذلك من وجوه الخير. قال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ ﴾ (١) يعني : مِنْ المضايق، ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ (٢) يعني : عِنْدَ الشِّدَّةِ، تُفَرَّجُ الأمورُ بالتَّقوى. وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ۝٤ ﴾ (٣)، وقال تعالى : ﴿ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾ (٤) يعني : نُوراً وهُدَىً وعِلْماً، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴾ (٥).

فَالتقوى سببٌ لِسَعادة الدُّنيا والآخرة، والخيرِ في الدنيا والآخرة، وتفريجِ الكُروب في الدنيا والآخرة، والرِّزقِ الطيِّب في الدُّنيا والآخرة.

---

(١) سورة الطلاق ، آية : ٢ .

(٢) سورة الطلاق ، آية : ٣ .

(٣) سورة الطلاق ، آية : ٤ .

(٤) سورة الأنفال ، آية : ٢٩ .

(٥) سورة الطور ، آية : ١٧ .

هدي السلف الصالح في الوصية بتقوى الله :

س : سماحة الشيخ.. السَّلفُ الصالح - رضوان الله عليهم - لهم هَدْيٌ في الوصية بتقوى الله ولُزُومها. حدِّثونا كيف كان هديُ السَّلف الصالح - رضوان الله عليهم - ؟.

ج : هديُهم كَهَدْيِ النَّبي ﷺ، كان يوصي أصحابه بالتقوى، ويقول لِمُعَاذ : (إنِّي لأُحِبُّكَ. اتَّقِ اللهَ حيثُما كُنْتَ، وأتْبِعْ السَّيِّئَة الحسنة تمحُها، وخَالِق النَّاس بِخُلُقٍ حَسَنٍ) [1] وكان في خُطبه يقول : "أوصيكم بتقوى الله، والسَّمْع والطَّاعة "، في خُطَبِه ﷺ للنَّاس يوصيهم بتقوى الله، لأنَّها جِمَاعُ كُلِّ خير، ويُوصِي الأفراد بتقوى الله ﷻ، فَهِيَ وصيَّة الله، ووصية رسوله ﷺ، في جميع الأمور.. في أهله، وفي أقاربه، وفي جيرانه، وفي جلسائه، وفي جميع الأحوال.

المُرادُ بالمعيَّة :

س : جزاكم الله خيراً.. ما المراد بالمعيَّة في قوله تعالى : ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ [2] ؟.

ج : المعية : مَعِيَّتان : معية عامة : وهي أنَّ الله مع عباده بالعِلْمِ والاطلاع والقُدْرَة، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [3] وقال

---

(١) أخرجه الترمذي (١٩٨٧) ، و أحمد (٢١٤٨٢ ، ٢١٥٥٤) .

(٢) سورة البقرة ، آية : ١٩٤ ، و سورة التوبة ، آية : ٣٦ ، و سورة يونس ، آية : ١٢٣ .

(٣) سورة الحديد ، آية : ٤.

ﷻ: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سادسهم وَلَآ أَدنى مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ﴾[1]، فالله جلَّ وعلا مع عباده، بالعلم، والإحاطة، والقدرة، ﷻ، لا تخفى عليه خافية جلَّ وعلا. وهو مع أوليائه المتقين بالمعِيَّةِ الخاصَّة التي فيها نصرُهم وتأييدُهم وإعانتُهم على الخير وتوفيقِ الله لهم، وغير هذا مِنْ وُجُوه الخير، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾[2]، وقال النبي ﷺ لِمُعاذ: (اتَّقِ الله حيثما كُنْتَ)[3]، وقال الله في حقِّ نبيه ﷺ: ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ ﴾[4]، وهو قول النبي ﷺ لأبي بكر الصديق رضي الله عنه في الغار: ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ ﴾، ويقول سبحانه: ﴿ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[5]، هذه المعية الخاصة، ويقول ﷻ لِمُوسى وهارون: ﴿ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾[1] فيها إحاطتُه وتوفيقُه وإعانتُه وتسديدُه. هذه هي المعيَّةُ الخاصَّة. أمَّا المعية العامَّة

---

(١) سورة المجادلة، آية: ٧.

(٢) سورة النحل، آية: ١٢٨.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سورة التوبة، آية: ٤٠.

(٥) سورة الأنفال، آية: ٤٦.

(١) سورة طه، آية: ٤٦.

فهي علمُه بالجميع، وإحاطتُه، وهو فوق العرش، يعلم أحوال عباده جلَّ وعلا. كما يقول ﷻ: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سادسهم وَلَآ أدنى مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ [1]، فالله جل وعلا مع عباده بِعِلْمِه واطِّلاعه وإحاطتِه، وينصُرُ منْ يشاءُ، ويُؤيِّدُ مَنْ يشاء، بِقُدْرَتِه العظِيمة ﷻ، ولا تخفى عليه خافيةٌ، وهو فوق العرش، وليس معناه أنه مختلط بِخَلْقِه، لا. فهو فوق العرش، فوق جميع الخلق، ولكن علمه محيطٌ بهم، وهو معهم بِعِلْمِه وقُدْرَتِه ﷻ.

(١) سورة المجادلة، آية: ٧.

فهمٌ خاطئٌ لِمعنى التقوى :

س : سماحة الشيخ يعتقد البعض من الناس بأنَّ التقوى معناها : طأطأة الرؤوس، والظُّهور بمظهر الضَّعف والذِّلَّة والمسكنة.. ما تعليقكُم على هذا - حفظكم الله - ؟

ج : لا. هذا غلط. ليست التقوى هكذا. التقوى هي : توحيد الله وطاعتُه، واتِّباعُ شريعته، والصَّدعُ بالحق، والنَّصر لِلْحقِّ، والأمرُ بالمعروف، والنَّهيُ عن المنكر. هذه التقوى : أنْ يتَّقِي الله بِفِعْلِ مَا أمَر، وتَرْكِ ما نهى، وأنْ يصدعَ بالحقِّ ويُبَيِّنَهُ للنَّاس، وأنْ يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، حسب طاقته، وأن يُعِيْنَ على الخير، ويدعو إلى الله ﷻ. كلُّ هذا من التقوى. وأعْلاها توحيدُ الله، والإخلاصُ له، وتركُ الإشراكِ به. هذا أعظمُ التَّقوى وأساسها، ثُمَّ أداءُ الفرائضِ، وتَرْكِ المحارم، هذا كلُّه مِنْ التقوى. ومن ذلك - أيضاً - تَركُ الحَرَامِ، وتَرْكُ الشُّبْهَة، وتركُ الخيانة، وتَرْكُ الغِشِّ، وعدم التَّكَبُّر على النَّاس، وعَدَمُ الرِّيَاء. إلى غير ذلك..

تركُ المشتبهات، مِنْ كمَال التقوى :

س : سماحة الشيخ.. ونَحْنُ نَتَحَدَّثُ عن هذا الموضوع العظيم : تقوى الله ﷻ. نجد أن بعض الناس يتورَّعُ عنْ أكْلِ بعضِ الأطْعِمَةِ

المستوردة - مثلاً - ويرى أنَّ هذا مِنْ التَّقوى. فهل لِهَذا وجْه ؟

ج : نعم. فإنَّ النبي ﷺ لَمَّا أخبر أنَّ الحَلال بَيِّنٌ، والحرام بَيِّنٌ، قال: (وبينهما أمورٌ مشتبهات، لا يعلمهنَّ كثيرٌ من الناس، فمن اِتَّقى الشُّبهات، فَقَدْ استبرأَ لِدِيْنِه وعِرْضِه)[1]، وقال ﷺ : (دَعْ ما يَرِيْبُكَ إلى مَا لا يَرِيْبُكَ)[2] يعني : مِنْ كَمَالِ التَّقْوَى، تَرْكُ المشْتَبِهَات، مِنْ كمالها وتَمَامِهَا، تَرْكُ المشتبهات. لَكِنْ حقيقتُها : تَرْكُ مَا حرَّم الله، وفِعْلُ ما أوجب الله، وأصل ذلك توحيدُ الله، وطاعته، وتركُ الإشراك به، ثم يتبعُ ذلك فِعْلُ الواجبات، وتَرْكُ المحرمات. أمَّا تركُ المشتبهات، والورع عما يشك فيه، فهذا من كمال التقوى، وليس بواجبٍ.

الصيام والتقوى :

س : سماحة الشيخ.. ونَحْنُ نتحدثُ عن التقوى، ما مناسبة ذكر التقوى في الحديث عن فرض الصَّيام في قول الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

(١) أخرجه البخاري (٥٢) ، و مسلم (١٥٩٩) ، و الترمذي (١٢٠٥) ، و النسائي (٤٤٥٣ ، ٥٧١٠)، و أبو داود (٣٣٢٩) ، و ابن ماجة (٣٩٨٤) ، و أحمد (١٧٨٨٣ ، ١٧٩٠٣ ، ٢٧٦٣٨ ، ١٧٩١٧ ، ..) ، و الدارمي (٢٥٣١).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٥١٨) ، و النسائي (٥٣٩٧ ، ٥٧١١) ، و أحمد (٢٧٨١٩ ، ٢٧٩٣٩ ، ١١٦٨٩ ، ٢٧٩١٣ ، ..) ، و الدارمي (٢٥٣٢).

ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [1] ؟.

ج : معناه أنَّ الصِّيام مِنْ أسباب التَّقوى، فالله كتبَ الصِّيام على النَّاس، لِيَكُونَ سَبَباً لِتَقْوَاهُم للهِ، لأنَّهُ إذا ترك الطعام والشراب طاعةً لله وتعظيماً له، في أماكن لا يعلمُه إلا الله : في بيته، في حُجْرَتِهِ، كان هذا من أسباب تقوى الله في كلِّ شيء. لأنَّهُ يتذكَّرُ بهذا عظمةَ اللهِ، فيتَّقِيه في الصَّلاة، يتَّقِيه في الصِّيام، يتَّقِيه في الحَجِّ، يتَّقِيه في تَرْكِ المَحَارِم، يَتَّقِيْهِ في أداء حقِّ الزَّوْجَةِ، يَتَّقِيْهِ في طاعَةِ وليِّ الأمر.. إلى غير ذلك. يعني إنَّ الصَّوم يُعِيْنُه على التَّقوى، يُذَكِّرُه باللهِ، وبحَقِّه سبحانه، فَيَدَعُ ما حرَّم اللهُ عليه، ويُؤدِّي مَا أوجبَ اللهُ عليه.

التقوى تمنع صاحبها عن محارم الله تعالى :

س : سماحة الشيخ.. البعضُ قد يرتكبُ بعض المحرمات، وإذا نُصِحَ، يقول : التقوى هاهنا، التقوى هاهنا.. فما تَعْلِيْقُكُم - حفظكم الله - ؟.

(١) سورة البقرة، آية : ١٨٥ .

ج : هذا غلطٌ منه، أنْ يحتجَّ بحديث : " فالتَّقوى هاهنا "، على فِعْلِه القبيح. لو كانتْ التقوى في قلبه لَزَجَرَتْهُ عن المحارم. فـ " التقوى هاهنا.. " صحيح أنَّ التقوى في الصَّدْرِ والقلب، ولكن إذا كانت موجودة، مَنَعَتْهُ مِنْ محارم الله. فَمَعْنَى أنْ يَرُدَّ على الناس إذا أنكروا عليه المنكر، ويقول : التقوى في القلب، والباقي ما فيه بأس، ويعمل ما شاء.. فهذا غلطٌ ومنكر عظيم. " فالتقوى هاهنا "، معناها أنَّ التقوى في القلوب، وإذا كانت التقوى في القلب، زجرتْ العبد عن المعاصي. ولِهَذا قال عليه الصلاة والسلام : (التقوى هاهنا - وأشَارَ إلى صَدْرِه ثلاث مرات - بِحَسْبِ امرئٍ مِنْ الشَّرِّ أن يَحْقِرَ أخاه المسلم. كُلُّ المسلم على المسلم حرامٌ : دمُه ومالُه وعرضُه)[1]، فالمعنى أنَّ القَلْبَ إذا حلَّتْهُ التَّقْوَى، اسْتَقَامَ الجَسَدُ على طاعةِ اللهِ ورسوله، وإذا خلا القلبُ مِنْ التقوى، انقادت الجوارحُ إلى المعاصي. فالأساسُ، القلب : مَتَى صَلَحَ، صَلَحَ الجسد كلُّه، ومتى فَسَدَ، فَسَدَ الجسدُ كلُّه. لا كما يظنُّ الجاهلُ والعامِّيُّ، أنَّ تَقْوَاهُ تكفيه في قلبه، وقد كَذَبَ. لو كانَ في قَلْبِه تقوى، لزجره ذلك عن المعاصي. والله المستعان.

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٤) ، و أحمد (٧٦٧٠ ، ٨٥٠٥ ، ١١٩٧٣ ، ١٥٥٨٩ ، ١٦١٨٨ ، ١٦٢٠٨).

الأمور التي تساعد على التقوى :

س : نودُّ مِنْ سماحة الشيخ أنْ يُخْبِرَ القارئ الكريم عنْ الأمُورِ التي تُسَاعِدُ العبد، حتى يكون مِنْ المتقين - حفظكم الله - ؟.

ج : الأمورُ التي تساعدُه أنْ يتذكَّر عظمةَ اللهِ وحقَّه عليه، وأنَّ الله يطَّلِعُ عليه أينما كان، وأنَّهُ على مرأى مِنْ الله ومَسْمَعٍ، حتى يَحْذَرَ معاصيه، وحتى يُؤدِّي مَا أوجب اللهُ عليه. هذه هي التقوى : أنْ يتذكَّر أنه مَرْئِيٌّ ومسموعٌ، اللهُ يراهُ ويسمعُ كلامه، لا تخفى عليه خافيةٌ جلَّ وعلا : ﴿ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾[1]، ﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾[2]، ويقول ﷻ : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾[3]، يعني : إذ تشرعون فيه، ويقول جلَّ وعلا : ﴿ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾[4].

فالمؤمنُ يعتقدُ هذا الاعتقاد، ألا وهو أنَّ الله يراهُ ويطَّلِعُ عليه، فَيَنْزَجِرُ عنْ محارمِ الله، ويُؤَدِّي فرائضَ الله، ويسارعُ إلى ما أراد الله.

---

(١) سورة طه، آية : ٤٦.

(٢) سورة الشعراء، الآيتان : ٢١٨ - ٢١٩.

(٣) سورة يونس، آية : ٦١.

(٤) سورة الطلاق، آية : ١٢.

والجاهل لا ، يضعف اعتقادُه هذا ، وينسى هذا الأمر العظيم ، وينسى اطِّلاعَ الله عليه ، فَيَتَسَاهَلُ بالمعاصي ، لِضِعْفِ بَصيرته ، وقِلَّةِ إيمانه ، وضُعْفِ إيمانِهِ. أمَّا المؤمنُ الذي قد وهبهُ الله العلم والبصيرة ، فَلِتَقْوَاهُ ، ولإيْمَانِهِ باللهِ ، واستحضارِه عظمةَ الله ، يَدَعُ ما حرَّمَ اللهُ عليه ، وينتهي عمَّا حرَّم الله عليه ، ويُسَارِعُ إلى ما أوجبَ اللهُ عليه.

شرح حديث : (الحلال بيِّن ، والحرام بيِّن ..) :

س : سماحة الشيخ نود منكم أن تلقُوا الضوء على حديث النعمان ﷺ : (إنَّ الحلال بيِّنٌ ، وإنَّ الحرام بَيِّنٌ).

ج : هذا حديث النعمان بن بشير ، يقول النبي ﷺ : (الحلالُ بَيِّنٌ ، والحرام بَيِّنٌ ، وبينهما أمورٌ مشتبهات ، فمن اتقى الشبهات ، فقد استبرأ لِدِيْنِه وعِرْضِه. ومَنْ وَقَعَ في الشبهات ، وقعَ في الحرام ، كالرَّاعي يَرْعَى حول الحِمَى ، يُوشِكُ أنْ يَقَعَ فيه ألا وإنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَىً ، ألا وإنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمِه. ألا وإنَّ في الجسدِ مُضْغَةٌ ، إذا صَلَحَتْ ، صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّه ، وإذَا فَسَدَتْ ، فَسَدَ الجسدُ كُلُّه ، ألا وهي القلب) [1]. هذا حديثٌ عظيمٌ

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢) ، و مسلم (١٥٩٩) ، و الترمذي (١٢٠٥) ، و النسائي (٤٤٥٣ ، ٥٧١٠)، وأبو داود (٣٣٢٩) ، و ابن ماجة (٣٩٨٤) ، و أحمد (١٧٨٨٣ ، ١٧٩٠٣ ، ٢٧٦٣٨ ، ١٧٩٤٥)، و الدارمي (٢٥٣١).

رواه الشيخان في الصحيحين، ويدلُّ على أنَّ الحلال وضَّحهُ اللهُ : كَالبُرِّ، والشَّعير، والتمر، والتعامل بالنقود المباحة، وما أشبه ذلك، فهذا حَلالٌ بَيِّنٌ. التعامُلُ كمَا شرعَ اللهُ : حَلالٌ بَيِّنٌ. وبينهما مشتبهات في المعاملات، قد تخفى على بعض الناس، فإذا وقعتْ شبهةٌ ولم يتضح له أنَّ هذا العَقْدَ حلالٌ، أو أنَّ هذا الطعام حلالٌ، فالأفضلُ تَرْكُه، لِقَوْلِه ﷺ : (دَعْ ما يَرِيْبُكَ إلى مَا لا يَرِيْبُكَ)[1]، وقولُه في حديث النعمان - السابق - : (فمنْ اتَّقَى الشُّبهات، فقد اسْتَبْرَأَ لِدِيْنِهِ وعِرْضِه). فإذا كانتْ لُحُومٌ تباعُ في السُّوق، وعنده شكٌّ فيها، يكونُ تركها أوْلَى، حتى يشتري لحوماً واضحةً، أو يذبحَ لِنَفْسِه دجاجاً أو غيره، أو يشتري سَمَكَاً، لأنَّ مَيْتَتَهُ حَلالٌ، حتى لا تَقَعَ عِنْدَهُ شُبْهَةٌ، أمَّا إذا كانتْ شكوكٌ وأوهامٌ لا أساس لَهَا، فينبغي طَرْحُهَا، إذا كان اللحم الذي يباع ما فيه شكٌّ، بِأنْ ذَبَحَهُ المسلمون، فَيَنْبَغِي تركُ كثرة الوساوس. قالت عائشة : يا رسول الله.. إنَّ الناس يأتوننا باللحم، لا ندري أَذَكَرُوا اسْمَ اللهِ عليه أم لا ؟ قال : (سَمُّوا اللهَ عليه أنتم، وكُلُوا)[2]. فالأصْلُ في طعام المسلم : الإباحة. والأصل في اللحوم التي عند المسلم : الإباحة. فإذا شككْتَ : سَمِّ اللهَ،

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥١٨) ، و النسائي (٥٣٩٧ ، ٥٧١١) ، و أحمد (٢٧٨١٩ ، ٢٧٩٣٩ ، ١١٦٨٩ ، ٢٧٩١٣ ، ..) ، و الدارمي (٢٥٣٢) .

(٢) أخرجه البخاري (١٩٥٢ ، ٥١٨٨ ، ٦٩٦٣) ، و النسائي (٤٤٣٦) ، و أبو داود (٢٨٢٩) ، و ابن ماجة (٣١٧٤) ، و مالك (١٠٥٤) ، و الدارمي (١٩٧٦) .

وكُلْ. أمَّا إذا كان هناك أسبابٌ واضحةٌ لِلشَّكِّ، فَدَعْ ما يَرِيْبُكَ إلى ما لا يَرِيْبُك. والله المستعان.

وقفة مع آية :

س : لعلَّنا نختم هذا اللقاء سماحة الشيخ بِوَقْفَةٍ مع الآية الكريمة في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾[1].

ج : هذه آيَةٌ عظيمةٌ، أوصى الله بها المؤمنين، بأن يتقوا الله، وأنَّ التقوى من أسباب نُورِ القلب وبصيرته وهُدَاهُ، ولهذا قال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾، والفُرْقَانُ : النُّور والهُدَى والبصيرة. فإذا أطاعَ الله، ووَحَّدَهُ، واستقام على دينه، وَهَبَهُ اللهُ العلمَ النافعَ، والبصيرة، حتى يعرف ما يأتي وما يذر، حتى يعلم الحلال والحرام. فَطَلَبُ العِلْمِ والتَّفَقُّهُ في الدِّين، مِنْ التقوى. وإذا اتَّقَى العبدُ ربَّهُ بِطَلَبِ العلم والتَّفقُّه في الدين، رَزَقَهُ اللهُ العِلْمَ والبصيرة، وكفَّر سيئاته، وغَفَرَ ذنوبه، ﷻ.

(١) سورة الأنفال، آية : ٢٩.

وصية للقراء الكرام :

س : آخر فقرة في هذا اللقاء سماحة الشيخ : نَوَدُّ من سماحتكم كَلِمَةً للإخوة القُرَّاءُ :

ج : أُوْصِي جميع إخواني بتقوى الله، التي سمعوا معناها، أُوْصِيهم بتقوى الله، وهي : توحيدُه، وطاعتُه، واتِّبَاعُ شريعته، والتَّعاون على البِرِّ والتقوى، والتَّواصي بالحقِّ. هذه هي تقوى الله، وهذه عبادة اللهِ، وهذا هو الإسلام والإيمان. فأنا أُوْصِي الجميع في المشارق والمغارب، أوصيهم بتقوى الله، أوصيهم بتوحيد الله، وأنْ يعبُدوا الله وحده في دُعائهم، وصلاتهم، وصومهم، وجميع تصرفاتهم، يعبدوا الله وحده، ويخافوه وحده، ويسألوه حاجاتهم جلَّ وعلا، ويستغيثوا به وحده، لا يسألوا أصحاب القبور، ولا يسألوا الأنبياء، ولا الملائكة، ولا الجِنَّ. يسألوا الله وحده، يستغيثوا به وحده، يرجوه وحده، يخافوه وحده. هذا الذي يجب عليهم، وهذا هو دينُ الله، وهذا هو توحيد الله، قال تعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ (١)، وقال تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (٢)، وقال ﷻ : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ (٣)، وقال ﷻ :

---

(١) سورة الإسراء ، آية : ٢٣ .

(٢) سورة الفاتحة ، آية : ٥ .

(٣) سورة البينة ، آية : ٥ .

﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ [١]، وقال ﷻ : ﴿ ادعوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وادعوه خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [٢].

فأوصي جميع إخواني بتقوى الله، بتوحيد الله وطاعته، بالتَّفَقُّهِ في الدِّين، بِفِعْلِ الأوامر وتَرْكِ النَّواهي، والوقوف عند حدود الله، بالتواصي بالحق والصبر، عليهم بالسمع والطاعة لِوُلاة الأمور، في المعروف، والتعاون معهم في الخير. أُوْصِي جميع إخواني بِبرِّ الوالدين وصِلَةِ الرَّحِم، وأداءِ حقِّ الزوجة. وأوصي المرأة بأداء حقِّ زوجها، بعد أداء حقِّ الله وطاعةِ الله. أوصي الجميع بتقوى الله، وأداء حقّه، والتعاون على البرِّ والتقوى، والتَّفَقُّه في الدِّين، وأُوْصِي المرأةَ بِأَداءِ حقِّ زوجها - في طاعة الله - بالمعروف. وأُوْصِي الزوج بأداءِ حقِّ الزوجة في المعروف، وعَدَمِ ظُلْمِهَا. أوصي الجميع بتقوى الله في كلِّ شيء. وأوصي الجميع بِتَدَبُّرِ القرآن، لأنَّ القرآن فيه كلُّ شيء، قد وضَّحَ اللهُ فيه كلَّ شيء. فأُوْصِي الجميع بِتَدَبُّرِ القرآن، والعنايةِ بالقرآن، والإكثارِ مِنْ قراءته، مع التَّعَقُّلِ والتَّدَبُّرِ، كما قال سبحانه : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ

---

(١) سورة الجن، آية : ١٨ .

(٢) سورة الأعراف، الآيتان : ٥٥ - ٥٦ .

ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٢٩﴾﴾[١]، ويقول سبحانه : ﴿ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[٢]، ويقول النبي ﷺ : (**اقْرءُوا القرآنَ، فإنَّه يأتي شفيعاً لأصحابه يوم القيامة**)[٣]، ويقول الرسول ﷺ : (**مَنْ قرأ حرفاً من القرآن، فَلَهُ به حَسَنَةٌ، والحسنةُ بِعَشْرِ أمثالها**)[٤].

وأُوْصِيْكُم بِسُنَّةِ الرسولِ ﷺ وحِفْظِ مَا تَيَسَّر من الأحاديث، حتى تستفيدوا مِنْ كلامِه ﷺ، لأنَّهُ مُفَسِّرٌ لِكَلامِ اللهِ، ولأنه مُوَضِّحٌ لأمْرِ اللهِ ونَهْيه. قال الله ﷻ : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾[٥]، وقال الله ﷻ : ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾[٦]، وقال ﷻ : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾[٧]. فَأُوْصِي الجميع بالعناية بِسُنَّةِ الرسول ﷺ، وحِفْظِ ما تيسَّر منها، وسؤال أهل العلم عمَّا أشكل، مَعَ العنايةِ بالقرآن الكريم، والإكثارِ مِنْ القراءة، مع التدبُّر والتعقُّل. وأُوْصِي الجميع - أيضاً - بِسَمَاع إذاعةِ القرآن الكريم، ففيها خيْر كثير، وفيها برنامج : " نورٌ

---

(١) سورة ص ، آية : ٢٩ .

(٢) سورة الإسراء ، آية : ٩ .

(٣) أخرجه مسلم (٨٠٤) ، و أحمد (٢١٦٤٢ ، ٢١٦٨٩ ، ٢١٧١٠) .

(٤) أخرجه الترمذي (٢٩١٠) .

(٥) سورة النحل آية : ٤٤ .

(٦) سورة المائدة آية : ٦٧.

(٧) سورة الحشر ، آية : ٧ .

على الدَّرب "، وهو برنامجٌ عظيمٌ. فأوصي الجميع بالعناية بإذاعة القرآن في كل مكان، لأنَّ فيها خيراً عظيماً، فيها محاضرات للعلماء.. فيها ندوات للعلماء.. فيها قراءة القرآن العظيم بالترتيل.. فيها خيرٌ كثيرٌ. فأنا أوصي الجميع بهذه الإذاعة : إذاعة القرآن، لِيَسْتَفِيْدُوا منها مَا قالَهُ الله ورسولُه، ومَا شرعه اللهُ لِعِبَادِه. نسألُ اللهُ للجميع التوفيقَ والهدايةَ وصلاحَ النِّية والعمل.

الخاتمة

وفي الختام لا يسعني إلا أن أدعو لشيخنا بالرَّحمة والغُفران، والعتق من النِّيران، وجميع موتى المسلمين. وأسأله ﷻ وتَقَدَّسَتْ أسماؤه، أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم، راجياً من المولى ﷻ أن يغفر لي الخطأ والزَّلل، وأن يتجاوز عن التقصير والخلل، وأن يُثيب كُلَّ من كان سبباً في نشر هذا الكتاب، وأن يُوفقني وجميع إخواني المسلمين لِفِعْلِ الخيرات، وتَرْكِ المنكرات.

و لَعَلِّي في ختام كلماتي أنْ أشكر مَنْ له جُهُودٌ مُباركة في دَعْمِ الخير في وسائل الإعلام : مَعَالي وزير الإعلام د/فؤاد عبد السلام الفارسي، حفظه الله ورعاه، ووفَّقَهُ لِمَا يُحِبُّه ويرضاه. فقد لمسنا دعمه ومُسَاندته لِلْبرامج الإسلامية في وسائل الإعلام، وبالأخَصِّ في إذاعة القرآن الكريم، تلك الإذاعة المباركة التي تحظى بتوجيه معاليه، ودعمِه المستمر، واهتمامِه المتواصل. فَشَكَرَ اللهُ له، وجعل ذلك في ميزان حسناته يوم القيامة. والشكر موصول لكُلِّ مَنْ له إسهام في نجاح هذه الإذاعة المباركة، وكافة المسؤولين الذين كان لهم الأثر البالغ في تشجيع العاملين، وتذليل الصعوبات والعقبات التي في طريقهم، مِمَّا كان له دورٌ في النَّجاح

والعطاء المتميز. كما أشكر كافة الزملاء في إذاعة القرآن الكريم، على جهودهم وتفانيهم في خدمة هذه الإذاعة، وما يُقَّدم فيها من تلاوات مباركة، وأحاديث مفيدة، وبرامج نافعة. جعل الله ذلك في موازين حسناتهم، ووفقنا وإياهم لما يحبه ويرضاه..

و صلى الله وسلّم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه : أبو خالد

عبد الكريم بن صالح المقرن.

حُرِّر في : ١٤٢١/٤/٢٠هـ

الدر المكنون
في مواقف وذكريات

الشيخ العلاَّمة

صالح بن علي بن غصون

ـ رحمه الله ـ

كتبه أبو خالد

عبد الكريم بن صالح المقرن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

لقد اطلعنا على ما جمعه الأستاذ/ عبد الكريم بن صالح المقرن من مواقف وذكريات خالدة عن والدنا - رحمه الله- ، وأسماه (**الدر المكنون**) في مواقف وذكريات العلاّمة الشيخ/ **صالح بن علي بن غصون**. رحمه الله.

لذا فقد أذنا له بطباعة ونشر وتوزيع هذا الكتاب ، شاكرين ومقدرين له هذا العرفان لوالدنا ولجهوده المباركة فيما فيه نفع الإسلام والمسلمين ، جعل الله ذلك في ميزان حسناته ، ، ،

عن أبناء وورثة الشيخ

علي بن صالح الغصون **عبد الله بن صالح الغصون**

المقدمة

الحمد لله الذي رفع شأن العلماء، وأشهدهم على وحدانيته وألوهيته، وجعلهم أهل خشيته، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إمامُ العلماء، وقدوةُ الفقهاء، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، أئمةِ الهدى، ونورِ الدُّجَى، وسلَّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين، وبعد :

قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله : " الحكايات عن العلماء أحب إليَّ مِنْ كثيرٍ مِنْ الفقه، لأنَّها آدابُ القوم ". فحياة العلماء، مدرسة للأجيال المسلمة، نتعلمُّ من خلالها الحرصَ والجدَّ في طلب العلم، ونتعرف على أخلاق العلماء، وصفاتهم النبيلة، وأفعالهم الحميدة، وحقٌّ على كل مسلمٍ - يعلم ما تحتاجه الأمة مِنْ حياةِ علمائها - أن يُبَيِّنَهُ للأمَّة : نُصْحًا، وتوجيهًا.

وإنَّ مِنْ علماء الأمَّة، الذين كانوا مشعل هدايةٍ، ومنبر توجيهٍ، سماحةَ العلامة الشيخ / صالح بن علي بن غصون، قدَّس الله رُوحه، وأعْلى درجته في المهديِّين. فقدْ كانت حياته جهادًا، وعملاً، وتضحيةً، وتعليماً. عَرَفَهُ القاصي والدَّاني : مُفْتِياً وقاضياً، ومُعَلِّماً، ينصحُ لأُمَّة الإسلام، ويحملُ على عاتقه أمانةَ العلم. ولله درُّ القائل :

جَمَالُ ذِي الأَرْضِ كانُوا في الحَيَــاةِ، وهُمْ
بَعْدَ المَمَاتِ جَمَالُ الكُتْبِ والسِّيَرِ

ولقد عشتُ مع شيخنا - رحمه الله - لحظاتٍ عظيمةً وأوقاتٍ مليئةً بالدُّروسِ والعِبَرِ، تَحْمِلُ صوراً مُشْرِقَة، وذكرياتٍ مؤثِّرةً، أثَّرَتْ في نفسي، وأدْرَكْتُ فيها ما يحمله الشيخ - رحمه الله - مِنْ مكارمِ الأخلاق، وسجايا الخير.

وبعد وفاة شيخنا - رحمه الله -، بَقِيَتْ هذه المواقف حبيسةً في نفسي، كلَّما تذكَّرْتُهَا، ذكرتُ عَلَماً مِنْ أعلام الأمَّة المسلمة، فأحببتُ أنْ يشاركني في تلك المواقف مَنْ لم يحضرها، أو لم يسمع بها، مع رغبةٍ كثيرٍ مِنْ مُحبي الشيخ - رحمه الله - أن يسمعوا بِمِثْلِ هذه الأخبار و المواقف.

وأداءً لِحَقٍّ مِنْ حُقُوقِ الشيخ عَلَيَّ، فقدْ كَتَبْتُ تلك الأسطر وفاءً، وعرفاناً، وإظهاراً لِصِفَاتِ العُلَمَاءِ. وهذه المواقفُ رَوَيتُها كمَا عَايَشْتُهَا، دونَ زيادةٍ ولا نقصانٍ.

أسأل الله بِمَنِّهِ وكَرَمِهِ أنْ يَرْحَمَ شيخنا، ويرفعَ درجاته، وأنْ يُخْلِفَ على أمَّة الإسلام خيراً.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

أبو خالد: عبد الكريم بن صالح المقرن

الريـــاض

حُرِّر في: ١٤٢١/٢/٢٠هـ

سيرة العلامة: صالح بن غصون - رحمه الله -

هو الشيخ: **صالح بن علي بن غصون**، عضو هيئة كبار العلماء، وعضو مجلس القضاء الأعلى.

وُلِدَ في مدينة الرَّس، عام (١٣٤١ هـ)، في بيت علمٍ وفضلٍ، ونشأ نشأةً مباركةً في المساجد والكتاتيب، وحفظ القرآن الكريم في صغره. وبعد ثلاث عشرة سنة أُصيب بمرض في عينيه، في عام (١٣٥٤ هـ)، أفقده بصره. وقد عوَّضه الله بصيرةً في العلم، وأدرك مالم يدركه أقرانه.

أما عن صفاته الخَلْقِيَّة :

فقد كان متوسط القامة، مائلاً إلى الطول، أبيض البشرة، خفيف الشعر، قد علاه الشيب.

وقد طلبَ العلم في مدينة الرياض، على علماء الرياض آنذاك. ومن أشهرهم وأبرزهم :

١- سماحة مفتي الديار السعودية، الشيخ / محمد بن إبراهيم آل الشيخ - رحمه الله -. درس عليه في الأصول والفروع.

٢- سماحة الشيخ / عبد اللطيف بن إبراهيم آل الشيخ - رحمه الله -. درس عليه في الفرائض.

وقد ألَمَّ الشيخ بمختلف الفروع والأصول. وحينما أدرك مشايخه نبوغه وأهليته، رشَّحوه في عهد الملك عبد العزيز - رحمه الله - للقضاء، فعُيِّن قاضياً في حوطة سدير، عام (١٣٦٨هـ)، فتولَّى القضاء وسُدِّد في أقضيته، فأحبَّه الناس، ونفع اللهُ بِعِلْمِه.

وفي عام (١٣٧١ هـ) انتقل إلى قضاء شقراء ، فأحبَّه أهلها، وصار مرجعهم في الفُتيا. وتولَّى التدريس تطوُّعًا بمعهد شقراء العلمي، عند افتتاحه، إلى جانب عمله في القضاء.

وفي عام (١٣٨١هـ)، انتقل إلى قضاء الأحساء، رئيسًا لمحكمة الأحساء الكبرى، فنفع الله به. واستمر على ذلك قرابة عشر سنوات.

وفي عام (١٣٩٠ هـ)، انتقل إلى الرياض، قاضيًا في محكمة التمييز. ثم بعد تشكيل مجلس القضاء الأعلى، اُخْتِير عضواً في المجلس، إلى أن تقاعد في عام (١٤٠٩ هـ)، بطلبٍ منه — رحمه الله -.

ولـمَّا شُكِّلتْ هيئة كبار العلماء، اُختِير عضواً فيها، حتى عام (١٤١٣هـ)، حيث سافر للعلاج خارج المملكة، وتمت زراعة الكبد له - رحمه الله - بنجاحٍ تام. ولَّما تماثل للشفاء، واصل عمله الدَّعوي والإفتاء، إلى أن أُصيب آخر حياته - رحمه الله - بالمرض الذي ألزمه الفراش إلى أن وافاه أجله في يوم السبت ١٧ / ١٢ / ١٤١٩هـ. فَرَحِمَ اللهُ الشيخ رحمةً واسعةً، وأسكنه فسيح جنَّاته، وجعل قبره روضةً من رياض الجنَّة.

نشاط الشيخ الدعوي و العلمي :

عُرف عن الشيخ صالح بن غصون - رحمه الله - الاهتمام بالدعوة، ونفع الأمة - بفضل من الله -. فألقى الدروس العلمية، والمحاضرات، والكلمات، والمواعظ، والنصائح، في كلِّ بلدٍ يحلُّ فيه. وقد خلَّف من بعده علماء، ودعاةً، ومصلحين، وطلابَ عِلم.

وكان له أثرٌ واضحٌ على تلاميذه ومُحبِّيه، من أهل الصلاح والدعوة والخير، وتمثَّل ذلك في مشاركته الإذاعية، في البرنامج الشهير: " **نورٌ على الدَّرب** ". فكان يصل إلى الشيخ رسائلُ من جميع أقطار العالم، تحمل أسئلةً موجَّهةً إلى فضيلته، وباسمه.

وكان الشيخ - رحمه الله - يُولي البرنامج اهتماماً كبيراً، ويقدِّم تسجيل البرنامج على جميع ارتباطاته الأُسريَّة. فقد عالج الكثير من القضايا الأُسَرِيَّة والاجتماعية، وأوْلاها مزيداً من العناية، حيثُ انتفع به خلقٌ عظيمٌ. فكم من بيتٍ قد صَلحَ بفضل الله ثم بفضل أسلوب الشيخ وتوجيهاته!! وكم من أسرة كانت قد تفرقتْ، فاجتمعت بكلمةٍ صادقةٍ من الشيخ!!

وكان لأسلوب الشيخ الخاص، وصوتِهِ المميَّز، في البرنامج، الأثر البالغ على مستمعيه.

وكان - رحمه الله - يمتاز بِحُسن الخُلُق مع مُحبيه، وهدوء الطبع، والتواضع، ودماثة الخُلُق، يُحبه كلُّ مَنْ يراه ويجلس معه. لا يُحب الظهور ولا الشهرة.

وكان يُحبُّ البُعْدَ عن الأنظار، زاهداً في كلِّ مظاهر الدنيا، متَّصفاً بصفات الأتقياء الأخفياء. لم تصرفْه الدنيا وزهرتها عن دعوته، وعلمه، وَوَرَعِه، وعمله. فقد كان محبوباً لدى ولاة الأمر - حفظهم الله ورعاهم -، يُجِلُّونه، ويحترمونه، ويزورونه في بيته، في المناسبات. وكان ناصحًا، عاملاً، آمراً بالمعروف، ناهيًا عن المنكر، عاملاً بِعِلْمِه.

منهج الشيخ - رحمه الله - في الفتوى

كان - رحمه الله - يأخذ بالمشهور من مذهب الإمام أحمد - رحمه الله - فيما وافق الدليل، ويرجِّح ما يوافق الدليل ولو خالف المذهب، وله في ذلك مسائل مشهورة ذهب فيها إلى ما دلَّ عليه الدليل وخالف المذهب..

وكانت إجابتُه في برنامج " **نورٌ على الدرب** " مسددةً بأسلوبٍ مُبَسَّطٍ يفهمه السائل.

وكان - رحمه الله - بعيد النظر في الفُتْيَا، وعميق العلم، قوي الاستدلال.

وكان المستمعُ يلحظُ منه - رحمه الله - الاهتمامَ البالغَ في توجيه الأمَّة، وعلاجَ الظواهر الخطيرة في المجتمع، بأُسلوبٍ حكيمٍ رفيقٍ، مع الاهتمام بعلاج الأخطاء، وتعليم الجاهل، بأسلوب الرحمة والشفقة مع الجاهل والمخطئ.

فكانت إجاباته مُسدَّدة بِفضل من الله، فما أصدق الجواب، وما أنصح الإجابة منه - رحمه الله -.

مواقف وذكريات مع سماحة العلامة ابن غصون

أخي القارئ الكريم. . إنَّ مجالسة العلماء نعمةٌ عظيمةٌ على المسلم الذي وُفِّقَ إلى مرافقتهم، ونَهَلَ مِنْ معينهم العذب، ولا سيما أولئك العلماء الذين زهدوا في الدنيا، واتَّصفوا بصفات التقوى والورع، وكانوا ناصحين لأمتهم، مُشفقين عليها، آمرين بالمعروف، ناهين عن المُنكر.

وقد كان أولُّ مَنْ تشرَّفتُ بالتسجيل معه، صاحبَ السماحة فضيلة العلامة / **صالح بن علي بن غصون**. قدَّس الله روحه، ونوَّر ضريحه، وجَمَعَنَا وإياه مع النبيين، والصدِّيقين، والشهداء، والصالحين، وحَسُنَ أولئك رفيقاً. وكان ذلك في أواخر سنة ١٤٠٥ هـ، بداية ١٤٠٦ هـ، حيثُ كُلِّفتُ فور التحاقي بالإذاعة بتولي برنامج (**نورٌ على الدرب**). وقد كانت المهمةُ صعبةً عليَّ، نظراً لِعَالَمِيَّةِ البرنامج، وأهميته، ومكانته، وإمكانات الذين قدَّمُوه قبلي. فاستعنتُ بالله ﷻ، وطلبتُ منه التوفيق والسداد، والإعانة. فكان ـ سبحانه ـ نِعْمَ المُعِيْن، ونِعْمَ النَّصير.

وقد وجدتُ من المسؤولين في الإذاعة – جزاهم الله خيراً- التهنئة والمباركة بمناسبة تكليفي بالبرنامج، ووجدتُ منهم التوجيه والدعم

والمساندة في سبيل إنجاح هذا البرنامج، الذي ذاعت شهرته في بلاد الدنيا، فكان ذلك عوناً لي في مسيرتي الإذاعية على مدى خمسة عشر عاماً.

وبعد أسبوعين أو ثلاثة، اتصلتُ بفضيلة الشيخ / صالح بن غصون - رحمه الله - وأخبرته بأنني كُلِّفتُ بالتسجيل معه، نظراً لأن الزميل الذي كان يُسجل معه، قد انتقل إلى العمل في التلفزيون، وهو الأستاذ الفاضل / أحمد عبد العزيز الغامدي - حفظه الله -. وأنا الآن مُكلَّفٌ بالبرنامج. فرحَّبَ الشيخ / صالح - رحمه الله - بذلك، وطلب مقابلتي، وبعد عصر يوم جمعة، التقيتُ بفضيلته لأول مرة، وكان عندي شيءٌ من الرَّهبة والخوف. غير أنني عندما رأيتُ الشيخَ، وجلستُ معه، شعرتُ بطمأنينةٍ تسري في قلبي، وهدأتْ أنفاسي المتلاحقة نظراً لحساسية الموقف. وكان المكان غاصاً بالعلماء و طلبة العلم، الذين قدموا للسلام على فضيلته، كعادتهم بعد عصر كلِّ جمعة، حيثُ كان يوماً مفتوحاً للسلام على فضيلته. فرحَّبَ بي الشيخُ قائلاً: مرحباً بالأخ/ عبد الكريم. وبدأ يسألني عن بلدي، ودراستي، وعملي، وبعض الأسئلة عن الحياة العائلية، وعن والديّ، فأجبتهُ عن كل ذلك. وقد أبدى الشيخ - رحمه الله - سروره بانضمامي للبرنامج، وتعاونه معي، حيثُ إنَّ هذا البرنامج فيه نفعٌ للمسلمين بتثقيفهم في أمورهم الشرعية، وأنه لا بدَّ من الاحتساب، وطلب الأجر العظيم من الله ﷻ.

وفي نهاية اللقاء، ودَّعتُ الشيخ، وقبَّلتُ رأسه، وخرجتُ وكلماتُهُ الصَّادِقَةُ، ونصائِحُهُ تسري في قلبي، وتتردد في أذُني.

أخذتُ موعداً من الشيخ لبداية التسجيل، فواعدني بعد عصر أحد الأيام، وكنتُ أزود الشيخ بالأسئلة قبل التسجيل للاطِّلاعِ عليها.

وقد كان الشيخ - رحمه الله - أنموذجاً فريداً في محافظته على المواعيد، ودقته. وانفرد الشيخ بطريقته المحبوبة لدى كثير من مُستمعيه، حيثُ يبدأ إجابة كل سؤال بحمد الله. فكان الشيخ يتحدث للمتعلم وغير المُتعلم. وكان للشيخ وقارٌ وهيبةٌ: وقارٌ عندما يتحدث، وهيبةٌ عندما ينصح ويوجِّه. وكان عطوفاً على الفقراء، والمحتاجين، والمعوزين، وكان يوصي أحد أبنائه الصالحين، بتوزيع الأرزاق عليهم، وكان يشفع لمن طلب منه الشفاعة، وقد كتب معي أكثر من مرة – رحمه الله – رحمة الأبرار، ورفع درجاته في المهديين، وأسكنه منازل الصديقين والشهداء والصالحين، وجعل قبره روضة من رياض الجنة، وجمعنا به مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

عرفتُ الشيخ من خلال برنامج " **نورٌ على الدرب** " حريصاً على وقته. فَلَهُ دُرُوسٌ في المسجد، ويردُّ على أسئلة السائلين و المستفتين في الهاتف، ويُشارك في البرنامج بِجِدٍّ وعزمٍ و إخلاصٍ.

في أحد الأيام، و بعد صلاة المغرب، كان لي موعدٌ مع فضيلته، وعند منْزِلِه، وجدتُ أحد الشباب ينتظر الشيخ. وصل الشيخ، وسلم

علينا واستأذنته بالدخول، فدخلت، وأخبرت الشيخ بأن الشاب ينتظر عند الباب، فقلتُ له: هل لديك موعد معه يا شيخ؟ فقال: لا. ولكن طلب مني ورقة شفاعة في توظيفه، وخطابُه جاهز. فنادى أحدَ أبنائه لِيُعطيه الخطاب. فقال: ما أوصافه يا أبا خالد؟ قلت: عليه ولا سيما الصالحين. فقال: الحمد لله.

في أيام حرب الخليج و في ذروتها، كنا نُسجل البرنامج مع فضيلته ليلاً، وكان لسانه قبل التسجيل وبعده لا يفتر عن ذكر الله، والدعاء لهذه البلاد المُباركة بالنصر والتمكين، والعزة، والرفعة، وأن يحفظها الله من كيد الأشرار والأعداء. وقد سمعته يلحُّ بالدعاء كثيراً بأنْ يحفظ الله هذه البلاد، قِبْلَةَ المسلمين، ومأوى أفئدتهم، ومُنْطَلَق رسالة التوحيد.

لا أذكر أنَّ الشيخ - رحمه الله - اعتذر يوماً عن التسجيل، أو سوَّف، أو تراخى على مدى ١٤ سنة، إنما هي هِمَّةُ الرجال (دعوةٌ وعملٌ) في بذل الخير و نفع المسلمين، رجال عاهدوا الله على المضي في الطريق الصعب، فاشتروا الآخرة، وعملوا لها.

شارك معي الشيخ - رحمه الله - في برامج متعددة سواء في المناسبات أو غيرها، (**نورٌ على الدرب**)، (**أهل الذكر**)، (في الحج ورمضان)، أحاديث عامة - مقابلات وغيرها.

كان الشيخ - رحمه الله — مُحِبا لإذاعة القرآن الكريم، فكان قبل كل تسجيل يسألُ عن الجديد في إذاعة القرآن الكريم، وعن برامجها ومواعيدها.

وكان فضيلته - رحمه الله - يُخصص لي أسبوعين كاملين عدا الجمعة في بعض الأحيان، لأنه يجتمع بأولاده وأسرته، فكان يُسجلُ حلقات الدورة الإذاعية كاملة (٢٤ حلقة) دون كللٍ أو مَلَلٍ.

كان الشيخ - رحمه الله - كريماً، جواداً، لا يبخل على أحد بشيء من ماله أو جاهه.

وقد كان فضيلته - رحمه الله -، في كل لقاء يذكّر بالنعم العظيمة التي تنعم بها هذه البلاد المباركة، وأعظمها نعمة الأمنِ والاستقرار، فيُكثر من الثناء والحمد للمتفضِّل بها ويحثُّ على حفظها وشكرها دائماً.

وقد كان فضيلته - رحمه الله - قبل التسجيل، وبعده، يكثر من الدعاء لولاة الأمر - حفظهم الله — على ما يقدمونه من نصرةٍ للإسلام والمسلمين، في مشارق الأرض ومغاربها، وعلى ما يولونه من اهتمام بالعلماء، وطلاب العلم، وعلى عنايتهم بهذه الإذاعة المباركة، ورعايتهم للقرآنِ وأهلِه.

وفي أحد الأيام بثَّ التلفزيون السعودي على الهواء مباشرةً، حملة خادم الحرمين الشريفين، لِنُصرة المسلمين في البوسنة والهرسك، فشارك معي فضيلته على الهاتف بكلمة مؤثرة، حثَّ فيها المسلمين على التبرع

لإخوانهم المسلمين في البوسنة والهرسك، ونصرتهم بالمال والدعاء، وبكُلِّ ما يستطيعونه. ثم دعا لِوُلاة الأمر، وشكر لهم اهتمامهم بقضايا الأمة، ونصرة المسلمين في جميع أنحاء العالم.

وقد تعلمتُ من الشيخ - رحمه الله – كيف يكون المسلمُ حريصاً على الدعوة إلى الله، وعلى أهمية الوقت في حياة المسلم، واحترام المواعيد، والدقة فيها.

سافر الشيخ للعلاج عام (١٤١٣ هـ)، واستمرَّ عِدَّة أشهر، ثم رجع مِنْ رحلته العلاجية، وقد كُلِّلَتْ بالنَّجاح التام - والحمد لله -، فاستقبله محبُّوه وزُوَّارُه للسلام عليه، والتهنئة بالشفاء.

في ذلك الوقت كنتُ أسَجِّلُ البرنامج (**نورٌ على الدرب**) مع فضيلة العلامة الزاهد الورع / **صالح بن فوزان الفوزان**، - حفظه الله ورعاه-، عضو هيئة كبار العلماء، فأخبرته بأن فضيلة الشيخ / **صالح بن غصون** قد عاد من سفرته، فقال الشيخ الفوزان: لعلنا نزور الشيخ بعد غد العصر.

قُمْنَا بزيارة الشيخ/ **صالح بن غصون**، برفقة فضيلة الشيخ/ **صالح الفوزان** - حفظه الله - وكان المنزل غاصَّاً بالناس الذين قَدِمُوا للسَّلام على الشيخ / **ابن غصون** - رحمه الله - فتعانَقَ الشيخان، وهنَّأ الشيخُ / **الفوزان**، الشيخَ / **ابن غصون**، بتمام الشِّفاء والعودة.

و أثناء علاج الشيخ خارج المملكة، كان أولادُه -جزاهم الله خيراً - يتصدقون، وينفقون، ويتفقدون المحتاجين، ويُساعدونهم بِأمْرِ الشيخ - رحمه الله -، وما زال فعلهم مستمراً. أجزل الله لهم المثوبة والأجر.

وبعد شهر من عودة فضيلته - رحمه الله - استأذنتُه باستئناف حلقات جديدة من برنامج (**نورٌ على الدرب**)، فكان فضيلته كعادته شُعْلَةً في بَذْلِ الخير ونفعِ الأمَّةِ، فَوَافَقَ على الفور، وحدَّد موعداً للتسجيل، وبدأنا بتسجيلِ الحلقات الجديدة دونَ كلَلٍ أو مَلَلٍ.

وأثناء سفر الشيخ للعلاج خارج المملكة مدة طويلة، لَمْ يتوقفْ البرنامج خلال تلك الفترة، فكنا نعيد من حلقاته القديمة، وكأنها سُجِّلَتْ لِلتوِّ، فكُنَّا نعيدُ مِنْ قديمِهِ الجديد، نصائحَ و توجيهاتٍ، و دروسًا وعبرًا.

خلَّف الشيخ – رحمه الله – أبناء بررة لم أرَ مثلهم في البرِّ والصِّلة لوالدهم الشيخ، فَقَبْلَ الأذَانِ بِدَقَائِقَ، يُسارع أحدهم بإحضار حذائه، وعصاه، ويقف أمام باب المجلس الذي نُسجل فيه، فينهض الشيخ، ويُمسك ابنه بيده، ويُقرِّبُ الحذاء، ويُعطيه عصاه، ويذهبُ به إما إلى السيارة خارج المنزل، أو إلى المسجد، إذا كانت السيارة غير مُهيأة.

اتخذ الشيخ – رحمه الله – سائقاً له، وكان مُوَفَّقاً في اختياره لهؤلاء السائقين، مِنْ حيث دقة المواعيد والالتزام، ومعرفة أوقات الشيخ ومواعيده. فكان السائق يتأثر بحياة الشيخ. أذكر أنني في أحد الأيام جئتُ مبكراً، فوجدتُ السائق عند باب الشيخ، وأخذنا نتجاذب أطراف الحديث

– وكان السائق من جمهورية مصر العربية، من محافظة المنصورة، وهو رجل هادئ الطبع، طيِّب الحديث، ودود – فأخبرني هذا السائق بأنه مسرور بِخِدمة الشيخ، والعمل معه، نظراً للأخلاق العالية، والتعامل الرفيع من الشيخ معه.

كان للسائق حجرة يسكن فيها لها باب على الشارع، ومنفصلة عن البيت، فكان يخرج قبل الأذان بدقائق ويقف عند السيارة فاتحاً الباب الخلفي، استعداداً لركوب الشيخ، حيثُ كان - رحمه الله - يركب في الخلف، ويركب أحد مرافقيه من أبنائه في المقدمة.

كان الشيخ يحرص على إيقاف التسجيل قبل الأذان بدقائق، استعداداً للصلاة، ومِنْ ثَمَّ نُكمل التسجيل بعد الصلاة. وكان الشيخ يحرص على الذهاب إلى المسجد ماشياً على قدميه، يُرافقه أحد أبنائه، آخذاً بيده، إلا إذا أحس الشيخ بتعب، فإنه يستقلُّ السيارة.

خَصَّص الشيخُ عصر كل جمعة لاستقبال الناس للسلام عليه، والنظر في حوائجهم، والإجابة على أسئلتهم الشرعية.

رُزِقَ الشيخُ بأولادٍ وبنات، لهم مكانتهم في المجتمع. فمنهم الطيَّار، ومنهم رجلُ الأعمال، ومنهم الموظف بمرتبةٍ عالية، ومنهم المُدَرِّس، و أمَّا البنات، فهنَّ كذلك بناتٌ صالحات، يشغلن وظائف مرموقة في المجتمع. بارك الله في أولاده وبناته جميعاً.

كان لوالدي - حفظه الله - الشَّرفُ، حيثُ التَقَى بالشيخ في مسجده، شرقَ ملعبِ الملز، بعد صلاة الظهر في أحد الأيام، فقبَّل والدي رأس الشيخ، ودعا له. فكان الشيخ مبتسماً طوال فترة الحديث مع والدي.

وقد بالغ الشيخ في الثناء عليَّ عند والدي، وعلى جهودي في الإذاعة، وأصرَّ فضيلته - رحمه الله - أنْ نُرافقه إلى منزله. ولكن الوقت لم يكن مناسباً فاعتذرنا للشيخ وودعناه.

كان الشيخ - رحمه الله - قبل التسجيل، كثيراً ما يسأل عن والدي، ووالدتي، وإخواني، فأُجِيْبُه بأنَّهم بخير، ويُسَلِّمُونَ عليه.

وكان بعض الأقارب يطلبُ مِنِّي - بصفتي قريباً من أصحاب الفضيلة العلماء - أن أشفع لهم، أو يطلبوا شفاعة في موضوع ما، فأتحدث مع فضيلته، فكان الشيخ - رحمه الله - لا يتوانى في أيِّ طلبٍ أطلبه.

وكنتُ أعودُ الشيخ للسَّلام عليه في المناسبات، والأعياد، وغيرها. أما إذا كنت خارج الرياض، فكنت أُكلمه في الهاتف، فلا أسمع منه بعد الإجابة على السلام إلا: أهلاً بأبي خالد.

زرنا الشيخ في عام ١٤١٨هـ، أول أيام عيد الفطر المُبارك بعد صلاة المغرب، وكان بصحبتي فضيلة الشيخ / عبد العزيز بن محمد الحامد (مدير شؤون الموظفين في القوات البحرية). وكان المجلس غاصاً بأصحاب الفضيلة العلماء، وطلاب العلم، ممن قَدِمُوا لِمُعَايدةِ فضيلته - رحمه الله -

وكان يدعو بعد الإجابة على السلام: تقبلَّ اللهُ مِنَّا ومنكم.. جعلكم الله مِنْ عُوَّادِهِ..

كان للشيخ الفضل بعد الله ﷻ حيثُ إن أحد الأقارب حصل له انكسار في محلاته التجارية، ولَحِقَتْهُ ديونٌ عظيمة مِنْ جرَّاء سيولٍ داهمتْ مستودعاته التجارية، فتحدثْتُ مع الشيخ عنه، فكتب له توصيات، وكتب إلى أصحاب الفضيلة العلماء، للكتابة معه حتى فرّج الله عنه، وقضى دينهُ. ومازال هذا الشخص يدعو له، حتى يومنا هذا.

كان الشيخ - رحمه الله - مُقَدِّراً لظروف عملي في الإذاعة، فكنتُ في بعض الأيام أطلب من فضيلته أن يُغيِّر موعد التسجيل، لظرف طرأ، أو التزامٍ مُفاجئ. فلا أجدُ مِنْ الشيخ إلا الموافقة، بقوله: أبداً يا أبا خالد.. حدِّد الوقت الذي يُناسبك.

كان الشيخ - رحمه الله - يحرص على تهيئة الجو المُناسب للتسجيل. ففي الصيف تكون درجة الحرارة مرتفعة، ويكون المجلس حاراً، فيأمر الشيخ بتشغيل المُكيف قبل التسجيل فترةً لتبريد المكان، حتى يبدأ التسجيل. لأنَّ صوت المُكيف يؤثر على الصوت. وفي الشتاء يكون التسجيل في أحد المجالس الدافئة.

وكان - رحمه الله - يوصي أحد أبنائه عند كل تسجيل بإحضار الماء، والشاي، والقهوة، والتمر..

وكان الشيخ - رحمه الله - يولي جميع الرسائل العناية والاهتمام. وكانت بعض الرسائل تتضمن أحاديث، يسأل فيها أصحابها عن صحتها، فكان الشيخ يُرجئها حتى يبحث فيها، ويتأكد من صحتها، ثم يُجيب عليها.

كان الشيخ/ صالح - رحمه الله - شديد المَحَبَّةِ لسماحة العلامة الإمام/ عبد العزيز بن باز - رحمهما الله جميعاً -، فكان يسأل عن صحته عند كل تسجيل، وكان يحرص على سماع شرح الشيخ رحمه الله لكتاب "**المُنتقى**"، ويُولي موعده اهتماماً كبيراً.

وكان فضيلته يصحح لي بعض الملحوظات التي قد تخفى عليَّ في البرنامج. وكثيراً ما سمعتُ من فضيلته الإطراءَ، والتشجيع على نشاطي. حيثُ أبدى فضيلتهُ رغبته في الاستمرار معي في التسجيل، ما دمتُ في الإذاعة.

وفي إحدى الليالي المطرة، في أحد الأعوام، وأثناء التسجيل للبرنامج، استمرَّت الرُّعودُ متصلة، فتوقَّفنا عن التسجيل فترة ربع ساعة تقريباً، فأخذ الشيخ يدعو، ثم سألني: يا أبا خالد. المطرُ قوي؟ فقلتُ: نعم، يا شيخ. فقال: اللهم اجعله صيِّبًا نافعاً. ثم ابتسم الشيخ - رحمه الله -. ثم واصلنا التسجيل، بعد أن سكن الرَّعد.

لقد اتصف الشيخ صالح بن غصون – رحمه الله – بالزهد والورع والتقوى، فقد طلبتُ منه أن يشاركني في برنامج في التلفاز، كضيف

لبرنامج "سؤال على الهاتف"، فقال: يا أبا خالد.. لعلك تجد من العلماء من يقوم مقامي ويشاركك، ففيهم الخير والبركة والنفع؟ فقلتُ: وأنت فيك الخير ياشيخ صالح، فلا تحرم الناس من الخير والفضل والعلم. فابتسم الشيخ – رحمه الله، وكان هذا تواضعٌ منه - ثم وافق وشارك معي في دورة كاملة في برنامج سؤال على الهاتف، في التلفاز، صوتاً بدون صورة، حيث كنتُ أطرح على فضيلته الأسئلة من داخل الاستديو، وهو في منْزله، عبر الهاتف. فرحمه الله رحمة الأبرار.

كان الشيخ صالح – رحمه الله – محباً وحريصاً على إدخال السرور والفرح على من حوله، وهذه من صفات المؤمنين الأتقياء، فقد كان لطيفاً مع جلسائه، له ابتسامةٌ مشرقة، تضفي على المجلس راحة وانسجاماً. ففي أحد أيام عيد الفطر المبارك كنا في زيارة للشيخ، وكان بصحبتي فضيلة الشيخ / عبد العزيز بن محمد الحامد، مدير شؤون الموظفين في القوات البحرية، حيث كان الشيخ / عبد العزيز الحامد كثيراً ما يعينني على نفسي في زيارة العلماء وطلاب العلم في المناسبات وغيرها، فذهبنا إلى فضيلة الشيخ / صالح بن غصون – رحمه الله – وكان مجلسه غاصاً بمحبيه وطلاب العلم، فقال أحد المشايخ الموجودين في المجلس: يا أخ عبد الكريم.. لقد طلبتُ منك منذ فترة شريطاً لمحاضرة أُذيعتْ عندكم في يوم كذا وكذا، ولم أجد جواباً؟ فاعتذرتُ لهذا الشيخ بلباقة، لنسياني ولكثرة مشاغلي وارتباطاتي التسجيلية، فساعدني الشيخ / صالح بن غصون

معتذراً قائلاً: الله يعينه أبو خالد. . اعذروه.. ما يدري ويش يبدِّي.. أعماله كثيرة.. الله يوفقه. فتبسم الجميع، وشكرتُ الشيخ صالح على تلطفه واعتذاره عنِّي.

كان الشيخ صالح – رحمه الله – يحرص دائماً على حسن الاعتناء بمظهره، وهندامه، فملبسه أنيقٌ صيفاً وشتاءً، ساعده على ذلك تناسق جسمه النحيف.

كان الشيخ عند انتهائه من تسجيل حلقتين، يقوم فأساعده على القيام، وأثناء قيامه يدعو ويقول: يالله حُسن الخاتمة. فأُمسك بيده لِيخرُج من مجلس التسجيل، ويذهب إلى داخل الدار، فكان يضع عصاه عند باب المجلس الذي نُسجِّل فيه، وبعد الانتهاء من التسجيل وأثناء الخروج من المجلس كان – رحمه الله - يعرف مكان العصا والحذاء جيداً، حيثُ كانت عنده بصيرة في قلبه = رحمه الله -.

كان التسجيل مع فضيلته لبرنامج " **نور على الدرب**" يبدأ في الصيف بعد صلاة المغرب مباشرة، حيث كنتُ أصلي المغرب في مسجده المعروف باسمه – مسجد ابن غصون -، شرق ملعب الملز، ثم نبدأ التسجيل، أما في فصل الشتاء فقد كان التسجيل بعد صلاة العشاء مباشرة، وفي بعض الأيام كان فضيلته يبدي رغبته في أن يكون التسجيل عند الساعة الحادية عشرة صباحاً، حتى موعد صلاة الظهر، وهذا إذا لم يكن لديَّ تنفيذ فترات أو عمل في إذاعة القرآن الكريم.

في مزرعة الأخ / إبراهيم في عنيزة، كنتُ ألتقي بأحد الأخوة المصريين العاملين في المزرعة، ويعلم أنني أعمل في الإذاعة، فكان يحدثني عن برنامج " نور على الدرب " وأنه من المستمعين الجيدين، وكان معجباً بأسلوب الشيخ صالح – رحمه الله – وبطريقته. يقول هذا المزارع بأنه لا تفوته أي حلقة من حلقات الشيخ ابن غصون، وكان يتحين وقت البرنامج للاستماع إلى حلقة الشيخ والاستفادة منها، إذ كان يترك جميع أعماله لِيتفرَّغ لِسماع الحلقة، حيث كان لصوته المميز أثرٌ في اشتياق كثيرٍ من المستمعين له، ورغبتهم في عرض أسئلتهم عليه – رحمه الله -، لِما يجدونه من صدقٍ في المشاعر، وتفاعل الشيخ مع السائل في سؤاله.

كان الشيخ - رحمه الله - في معالجته لبعض القضايا الأسرية وبعض الرسائل، وخصوصاً رسائل الأخوات المستمعات اللاتي يشكين من أزواجهن بسبب السهر خارج المنْزل أو عندهم بعض المخالفات الشرعية، فكان الشيخ - رحمه الله - يُبدي مزيداً من الحرص والتوجيه والنصح لهؤلاء الأزواج، وكثيراً ما كان يبسط القول ويضرب الأمثلة للاعتبار والاتعاظ، فكان يحدثني الشيخ ويقول: يا أبا خالد أشدُّ شيء يحزُّ في نفسي أولئك الأزواج الذين يسيئون إلى زوجاتهم، أو يضربونهن، أو يظلمونهن، أو يأخذون من رواتبهنَّ زوراً وبهتاناً. لذلك فقد كان مستمعوه يشعرون بصدق الأحاسيس، ودفءِ المشاعر، من خلال إجابته على الرسائل التي تتعلق بالأسرة. يحدثني أحد طلاب العلم ويقول: يا أبا

خالد، أنا مستمع لبرنامج " **نورٌ على الدرب** " وأجدُ أن سماحة العلامة ابن غصون – رحمه الله– يتميَّز كثيراً عندما يجيب على أسئلة الأسرة، فأجد أن الشيخ يتفاعل مع الرسالة كونه **أولاً**: له تجربة طويلة في القضاء. **وثانياً**: سعة الأفق والفهم العميق، وسهولة الأسلوب الذي يتحدث به الشيخ، فهو لا يتكلف في الإجابة، فكلماته وتوجيهاته تجدُ مكانها في القلب، وما خرج من القلب وصل إلى القلب. فكان الصدق شعاره، والإخلاص رائده. فكان مدرسةً للأمة، يعلِّم الجاهل، ويُرشدُ الضال، ويجيب المستفتي، وينصح ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، حيثُ اشتُهر الشيخ - رحمه الله – في علاج قضايا الأسرة والزواج والمشاكل الاجتماعية، حيثُ يجدُ صاحبُ المشكلة عند الشيخ الحلَّ الناجع، والأسلوب الأمثل في علاجها.

كان الشيخ صالح - رحمه الله - بسيطاً في تعامله، يحبه القلب من أول وهلة، حريصاً على إدخال السرور على الصغار ومداعبتهم ومؤانستهم، فكثيراً ما كان يَدخل علينا الصغار من أبناء أبنائه أو أبناء بناته قبل التسجيل بدقائق، فيمازحهم ويداعبهم، اقتداءً بالرسول ﷺ في معاملته مع الصغار. وفي ذات مرة - وقبل التسجيل - دخل علينا طفلٌ صغيرٌ في الخامسة أو السادسة مِنْ عُمره، وهو حفيدُ الشيخ، وأثناء تركيبي لأجهزة التسجيل وترتيبي لِلاَقِطَاتِ الصوت، بدأ هذا الطفل يسأل: ما هذا؟ وما هذا؟ وماذا تعملون؟ كَعَادَةِ الصغار في حُبِّ الاطِّلاع على

الأشياء الغريبة، والشيخ طول الوقت في غاية السعادة والانسجام والاستماع لأسئلة هذا الطفل، فقلتُ له: بارك الله فيك يا شاطر. نريد أن نسجل مع الشيخ، فهل ستذهب مع الصغار داخل الدار أو تجلس وتسكت ولا تتكلم؟ فقال الطفل: يالله سجِّلْ صوتي. فقال الشيخ - رحمه الله -: يا أبا خالد الشكوى على الله.. سَجِّلْ له. فأعطيتُه الميكرفون ووضع السماعة قريبةً جداً من فمه، وقرأ بسرعة سورة الفاتحة والشيخ تبدو على ملامحه السعادة والرضا، فلمَّا انتهى الطفل من القراءة، أعدتُ له الشريط وقلتُ له: اسمع صوتك، بارك الله فيك. ففرح الطفل عندما سمع صوته، وتهلَّل وجهه، فقال الشيخ: ما شاء الله.. ما شاء الله.. وضمَّه الشيخ إلى صدره، ثم قبَّله وهو يبتسم. وتلطَّفنا مع الطفل حتى خرج، ثم بدأنا التسجيل لذلك اليوم.

انفرد الشيخ – رحمه الله – بأسلوب ممتع، وبطريقة محببة، إلى كثير من المستمعين، فكانت حلقة يوم الثلاثاء لفضيلته متميزة علماً وصوتاً ومعالجةً للقضايا، وكانت تُعاد نفس الحلقة مساء يوم الخميس في إذاعة نداء الإسلام من مكة المكرمة بعد الساعة السادسة مساءً.

كان للشيخ ـ رحمه الله ـ دروس متنوعة ومتعددة في مسجده المعروف باسمه، وذات مرة دخلتُ المسجد قبل صلاة العشاء، وكان إمام المسجد يقرأ عليه في أحد الكتب، والشيخ يشرح ويفسِّر للحضور ما قرأ الإمام مِنْ

آيات قرآنية، وأحاديث نبوية. فكان - رحمه الله – أنموذجاً للعالِم المحتسب، فنفع الله بعلمه الأمة، وانتفع به العامِّي والمتعلم.

كان الشيخ محبوباً لدى الكثير من العلماء وطلاب العلم والعامة والخاصة، وأذكر أنه بعد صلاة الظهر في مسجده في أول أيام عيد الفطر المبارك لأحد الأعوام، التفَّ حوله جمعٌ غفيرٌ من محبِّيه للسلام عليه وتهنئته بالعيد، فكان الشيخ طوال الوقت يسلم على هذا، ويدعو لهذا، ويقول: تقبَّل الله منَّا ومنكم.. جعلكم الله من عوَّاده..

في أحد اللقاءات التي أُجريت مع الشيخ لتسجيل حلقة من برنامج " **نورٌ على الدرب** "، كان الشيخ متعباً بعض الشيء، فقلتُ للشيخ: هل تريد أن تؤجل التسجيل؟ فقال الشيخ: لا، بل توكل على الله.. فبدأنا التسجيل، فكأن الشيخ ازدادَ نشاطه وحيويته، فسجَّلنا حلقتين، وعندما انتهينا قال الشيخ: يا أبا خالد.. كم سجَّلنا؟ فقلتُ: سجَّلنا حلقتين. فقال الشيخ – رحمه الله -: الحمدُ لله يا أبا خالد.. العزائم معها الغنائم. وكانت عبارة يرددها بين الفينةِ والأخرى، فقد كان حريصاً على نفع الأمة.

في إحدى المرات التي كنا نسجِّلُ فيها حلقات من برنامج " **نورٌ على الدرب** "، كان الشيخ صالح السدلان – حفظه الله ورعاه - قد بدأ في المشاركة في برامج الإذاعة والفتاوى، فقال لي الشيخ صالح بن غصون – رحمه الله – قبل التسجيل: يا أبا خالد.. بدأتَ التسجيل مع الشيخ / صالح السدلان؟ فقلتُ: نعم يا فضيلة الشيخ، وأسأل الله أن ينفع بعلمه.

فقال الشيخ – رحمه الله - : أسأل الله أن ينفع به. تُعجبني طريقةُ طرحِه للموضوعات. الله يوفقه.

كان الشيخ – رحمه الله – يهتم كثيراً بالجانب العقدي للمسلم، فعندما كنتُ أعرض عليه بعض الأسئلة التي تصلنا من بعض بلاد العالم الإسلامي، ويسأل فيها أصحابها عن بعض البدع والخرافات والشركيات، كالطواف بالقبور والأضرحة، وتقديم النذور لها، وتعظيم الأولياء والصالحين، كان الشيخ – رحمه الله – يحزن ويألم لهذا الحال، وما أوصل كثيراً من الناس إلى مثل هذه الاعتقادات الباطلة، فكان يبيِّن الحكم الشرعي فيها مستدلاً بالكتاب والسنة، وكان – يرحمه الله – يوليها مزيداً من الاهتمام والعناية، حتى إنني أذكر أنه تناول في حلقة واحدة سؤالين فقط، حيث بسط القول فيهما، نظراً لأهمية ترسيخ العقيدة وبيانها في قلوب كثيرٍ من الناس.

كان الشيء الذي يلفتُ انتباهي عند أجوبة الشيخ - رحمه الله - أنه كلما جاء سؤالٌ – أثناء تسجيل برنامج "**نورٌ على الدرب**"- عن برِّ الوالدين وحقوقهما، أجدُ الشيخ في حديثه يتكلم من أعماق قلبه، ففي إحدى الحلقات تكلم الشيخ عن عقوق بعض الأبناء، وأفاض في الحديث، وكاد يبكي نظراً لكثرة الرسائل التي يشكو فيها كثيرٌ من الآباء جحودَ أبنائهم. فكان الشيخ – رحمه الله – له تأثيرٌ عندما ينصح ويوجِّه. فقد تميَّز الشيخ صالح – رحمه الله - بالأسلوب المؤثر وصدق المشاعر،

فيجِدُ السائلُ في إجابات الشيخ الحنان، والعطف، ودفء المشاعر، والنصيحة الصادقة، والأسلوب المؤثر، الذي يأخذُ بِمَجَامِعِ القُلُوب، ويؤثِّرُ في النفوس.

كان الشيخ – رحمه الله – مربياً من الطراز الأول، استفاد من تجاربه في الحياة، قاضياً، وداعيةً، وناصحاً، ومشفقاً على أمته. فقد كنتُ أسجل مع الشيخ صالح على مدار الأسبوع عدا الجمعة، فقلتُ: يا شيخ صالح. . هل من الممكن أن نسجل يوم الجمعة أيضاً بعد صلاة المغرب؟ فقال الشيخ: لا يا أبا خالد، هذا اليوم مفتوحٌ للناس للسلام والإجابة على أسئلتهم، وأيضاً هذا اليوم يجتمع فيه الأولاد والأسرة. فقلتُ له: سمعاً وطاعة.

كان الشيخ – رحمه الله – يتأثر كثيراً من أولئك النفر الذين يُسرفون في الولائم، سواءً في الحفلات أو في المناسبات، فكان لا يحبُّ التفاخر ولا الإسراف في حفلات الزواج، وكان يحذِّر من هذه العادات السيئة، ويحثُّ على الاعتدال والاقتصاد، وأنَّ أساس الزواج هو المحبة بين الزوجين، والتفاهم فيما بينهما، وأداء العبادات والطاعات، وتقدير كل من الزوجين للآخر. فكان يحذِّر من الإسراف والمباهاة، وكان يدعو ويحثُّ على أن يكون الزواج معتدلاً دون إسراف ولا تبذير، وكان يؤكد أن أساس نجاح وسعادة الزوجين، طاعة الله وأداء العبادات، واحترام الزوجين لبعضهما.

وفي إحدى الليالي وبعد التسجيل، طلب منِّي فضيلته أن أتناول معه طعام العشاء قائلاً: يا أبا خالد.. جميع زملائك الذين سبقوك في تقديم البرنامج تناولنا معهم طعام العشاء وأنت من باب أَوْلى. فحدَّد فضيلته إحدى الليالي، وكان هذا في فصل الشتاء، حيثُ جلسنا مع أولاده على مائدةٍ متنوعة، رُوعي فيها التنوع وعدم الإسراف. فرحمه الله رحمة الأبرار.

كان الزميل / سعد بن عبد العزيز بن خميس، مهندس الصوت في الإذاعة، ورفيق الدرب معي في الإذاعة، كان له الشرف في مقابلة الشيخ – رحمه الله -، حيث أبدى رغبته في مقابلة الشيخ والسلام عليه، نظراً لأنه كان يشرف على إنتاج حلقات برنامج "**نورٌ على الدرب**" مع فضيلته، فقلتُ له: يا أخ سعد.. الشيخ يرحبُ بأيِّ شخص، وفي أيِّ وقت، ولكن اخترْ الوقت المناسب لزيارته. وفعلاً حدث ذلك، حيث حدَّد الأخ / سعد موعداً مع الشيخ والتقى به. يحدثني الأخ / سعد، عن هذا ويقول: يا أبا خالد.. أمنيةٌ وتحققت، ولله الحمد. حيثُ كنتُ أودُّ أن أنفرد بالشيخ، وتحقق هذا، حيث كان موعدي معه بعد صلاة الظهر في مسجده، ومعه أحد أولاده، فاستقبلني ورحَّب بي عندما علِم أنني من منسوبي الإذاعة، وأخذنا نتجاذب أطراف الحديث، فكان يسألني عن أهلي وأولادي وأموري. فكان - رحمه الله - لطيفاً بحديثه الأبوي معي، وتواضعه الجمِّ، وابتسامته المشرقة، حيثُ طرحتُ على فضيلته موضوعاً

يخصُّني، فساعدني فيه، فشكرتُه وقبَّلتُ رأسه، ثم دعا لي الشيخ بالتوفيق والسداد. وأذكرُ أنه كان ممن حضر معي للسلام على فضيلته في منزله الأخ الأستاذ / حمد بن عبد الله القاسم، الموظف في وزارة الإعلام، حيثُ استقبلنا فضيلته في منْزله، وقد طرح الأستاذ حمد موضوعاً خاصاً به.

كان الشيخ – رحمه الله – واسع الاطلاع، ليس في الأمور الشرعية فحسب، بل كان يتحدثُ عن المجالات العلمية والتاريخية وغيرها. . وكان يُبدي رأيه في المواضيع المطروحة، ويناقش، ويفسح المجال للآخرين للمناقشة. والشيخ مستمعٌ جيد لِمُحدِّثه، لا يقاطعه، بل يحترم رأي الآخرين. وله مشاركاتٌ في الساحاتِ الاجتماعية، حيث أجريتُ معه لقاءً مطولاً عن بعض القضايا الاجتماعية، وكان ذلك اللقاء لإحدى الصحف التي كنتُ أعمل بها متعاوناً.

كان الشيخ – رحمه الله – يتحامل على نفسه، من أجلِ نفع الأمة، وتقديم الخير لها، حتى آخر أيامه – رحمه الله –، حيثُ كانت ظروفه الصحية لا تساعده، ومع ذلك لا يعتذر عن التسجيل، ويقول: نريدُ أن ننفع المسلمين بهذا البرنامج – يعني برنامج " **نورٌ على الدرب** " – يا أبا خالد، فقد نفع الله به خلقاً عظيماً، وأريدُ أن أُقدِّم شيئاً لآخرتي. . فَرَحِمَهُ الله رحمة الأبرار، وجعله مع البررة الأطهار.

تواضع الشيخ - رحمه الله - :

كنتُ أضع عقالي وغترتي قبل التسجيل على الكنبة القريبة منِّي ومن الشيخ، وذات مرة، وبعد الانتهاء من التسجيل، وضع الشيخ يده على الكنبة فوجد العقال والغترة فأخذ العقال، ووضعه على رأسه، فتبسمتُ وقلتُ: ما شاء الله، ما شاء الله..

كان الشيخ - رحمه الله - يتناول معي - في الأعوام الأولى من التسجيل - شيئاً من القهوة والتمر، أو الشاي، ولكن بعد إجراء العملية، توقف عن ذلك تماماً.

وفي نهاية أحد التسجيلات سألتُ الشيخ: يا شيخ صالح: هل تتناول علاجاً كثيراً من جرَّاء عملية زراعة الكبد التي قُمتَ بها؟ فقال: نعم، يا أبا خالد. وكنا واقفين، فقال: هات يدك، فوضعها على بطنه، فقال: من هنا موضع العملية إلى هنا. رحِمَهُ الله رحمةً واسعةً.

****

الشيخ في آخر حياته :

زرتُ الشيخ في مستشفى الملك فهد بالحرس الوطني عدَّة مرات، فوجدتُه صابراً مُحتسباً الأجْرَ عند الله. لِسَانُهُ لا يفتُرُ عنْ ذِكْرِ الله، والحمد، و الشكر، و التهليل، و التكبير. و كان هذا في المرة الأولى.

أُدخل الشيخ إلى مستشفى الملك فهد بالحرس الوطني، حيثُ عاوده المرض، فلزم الفراش هناك فترة، وبدأ العلماء يزورونه ويترددون عليه. وكان أولاده البررة يتناوبون على مرافقته - جزاهم الله خيراً -. وقد زرتُ الشيخ عدَّة مرات، فكان الناس ومحبُّو الشيخ يسلِّمون على الشيخ في جناحه الخاص، ويدعون له، ثم ينصرفون وألسنتهم تلهج بالدعاء للشيخ، فقد كان للشيخ محبةٌ وقبولٌ عند المسلمين.

أذِنَ لي أحد أبنائه - حفظهم الله ورعاهم - في الزيارة الأخيرة، بالدخول على الشيخ، فدخلتُ عليه، وسلَّمتُ عليه، ودعوتُ له بأن يجمع الله له بين الأجر والعافية، حيثُ كان قد خرج لِتَوِّهِ من دورة المياه متوضئاً، يُريد أن يُصلِّي، وأثرُ الإيمان على وجهه المشرق. فردَّ عليَّ الشيخ - رحمه الله - قائلاً بصوتٍ متهدِّج قد بَدَا عليه الإعياءُ والتَّعب: مرحباً يا أبا خالد. ثم جلس الشيخ على كرسيه ذاكراً الله ﷻ، مُسبِّحاً ومُهلِّلاً. فدعوتُ له وخرجتُ من عنده وقد غلبني البكاء.

وفي فجر يوم الأحد، الموافق: ١٨/١٢/١٤١٩هـ، وبينما كنتُ في استديو إذاعة القرآن الكريم، لتنفيذ فترة العمل الصباحية، وبعد أن وصلتني صحف ذلك اليوم، وبينما كنتُ أتصفح الجريدة، وقعتْ عيناي على خبرٍ كُتب بخطٍ عريض، وهو نعي فضيلة الشيخ / صالح بن علي بن غصون. وكان الخبر مُحزناً لي، فلم أتمالك نفسي، ولكنه قضاءُ الله وقدرُه، ولا رادَّ لقضائه، فحزِنتُ لموت الشيخ، وتألَّمتُ لِفَقْدِهِ، ولم

أستطع أن أُكمل فترتي لِهَول الفجيعة، ثم اتصلتْ بي أمُّ خالد (زوجتي) في العمل مُخبرةً لي بأن أحد أبناء الشيخ اتصل مُخبراً عن وفاة الشيخ صالح، وأنَّهم سوف يُصَلُّون عليه في جامع الرَّاجحي. فَتَرَحَّمْتُ على الشيخ، ودعوتُ له بالمغفرة والرحمة.

وفي جوٍّ روحاني، وجوٍّ إيماني، وموقفٍ عظيم، وفي حشدٍ مبارك، مِنْ علماء مخلصين، وطلاب علمٍ وعامَّةٍ، صغاراً وكباراً، شُيعت جنازة سماحة العلامة الشيخ / صالح بن علي بن غصون - رحمه الله - بعد عصر ذلك اليوم الأحد ١٤١٩/١٢/١٨هـ، حيثُ وافاه الأجل المحتوم في مساء يوم السبت، الموافق: ١٤١٩/١٢/١٧هـ، بعد مُعاناة مع المرض. نسأل الله أن يجعلها رفعةً في درجاته، وتكفيراً لسيئاته.

وفي عصر ذلك اليوم، ودَّعنا علماً من أعلام الأمة المسلمة، علَماً أعطاها علماً نافعاً، ومعرفة واسعة، وقوةً لا تعرف العجز أو الخور. وعبَّرتْ الأمَّة عن حزنها الشديد، وألمها البالغ، بفقد عالمها الجليل - فَمَوْتُ العالم، نجمٌ طُمِسَ، وثُلْمَةٌ في الدِّين - بِمثل ذلك الجمع المُبارك الذي احتشد في جامع الراجحي بمدينة الرياض، قبل صلاة العصر بساعات، حيثُ امتلأ المسجد قبل ساعات من صلاة العصر، وازدحمت الطرقاتُ والمواقف المُحيطة به، والساحات المُجاورة، بمحبِّي الشيخ: علماءَ و طلبةَ علم، شيباً وشباباً، خاصةً و عامةً، ممن أحبُّوا الشيخ في الله، لِعِلْمِه و دعوته. فجاءوا من كل مكان، ومن كل بلد، لِيُشَيِّعُوا جنازة

عـالِمهم الجليل، ويَحملوهـا عـلى أعـناقهم وأكـتافهم. فلقـد كانـت هـذه الجمـوع وهـي تسير إلى المقبرة راجلةً وراكبةً، وهـي تودِّع الشيخ الجليل، صـورةً مؤثـرةً، صـورةً تُبَرْهِنُ لِلْعَالَمِ كلِّه كيف تُحبُّ هذه الأمةُ عُلماءَها، وتُوقِّرُهم، وتُجِلُّهم. فهُم مصابيح الدُّجى، وأعلام الهدى..

وهـناك مِـن طـلاب العـلم ومحبِّي الشـيخ، مَـنْ لم يسـعفهم الوقـتُ لحضـور جنازة الشيخ، فَدَعَـوا له، وترحَّموا عليه، وأسبلوا العبراتِ على الوجناتِ لفراق الشيخ..

وهكـذا فقـد فَقَـدَتْ الأمـة الإسـلامية عَلَمَـاً مـن أعلامهـا الربانـيين، فالعزاءُ لها.

نعـم.. لقـد رَحَـلَ الشيخ صـالح بـن غصـون، بِعَمَـلٍ صالحٍ - إن شاء الله -، بعـد أن قـدَّم عِلْمَـاً نافعـاً وطُلابـاً أحبُّوه لإخلاصه ودعوته، وجهاده وتفانيه في خدمة الإسلام والمسلمين، عَمِلُوا معه، و نَهَلُوا مِنْ معينِ عِلْمِه. وصَـدَقَ رسول الله ﷺ حيثُ قال: (إِنَّ اللَّهَ لا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنْ الْعِبَادِ، وَلَكِـنْ يَقْبِضُ الْعِلْـمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا، اِتَّخَـذَ النَّـاسُ رُءُوسًـا جُهَّـالاً، فَسُئِلُوا، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْـمٍ، فَضَـلُّوا وَ أَضَـلُّوا) [1]. وهاهي أمة الإسلام تودِّع علماءها واحداً تلو الآخر، فلنشمِّر عـن سـاعد الجـدِّ، ولْنـنفُضْ غـبار الكسـل، ولـنحرص عـلى أخـذ العـلم

---

(١) أخـرجه البخاري (٩٨)، و مسـلم (٤٨٢٨)، و الـترمذي (٢٥٧٦)، و ابن ماجة (٥١)، وأحمـد (٦٢٢٢، ٦٤٩٨، ٦٦٠٢)، و الدارمي (٢٤١).

الشرعي من البقية الباقية من علمائنا الأفاضل في هذه البلاد المباركة، وإنني أذكّر الإخوة والأخوات ألا ينسوا الدعاء لعلمائهم الذين رحلوا عن دنيانا الفانية، وأن يستغلوا الوقت، وينْتهزوا الفرصة لدراسة العلم الشرعي الموثوق، على يد العلماء الربانيين، وملازمتهم وتوقيرهم واحترامهم. نسأل الله أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وأن يجعل أعمالنا خالصةً لوجهه الكريم، رحم الله الشيخ صالح بن غصون رحمةً واسعة، وجعله في المهديين، وخلفه في عقبه في الغابرين، وجعله من ورثة جنة النعيم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

أحاديث
لسماحة الشيخ
صالح بن غصون
رحمه الله

الحديث الأول

النهي عن تشبُّه الرجال بالنساء

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين. . وبعد. .

فإن الله فطر الخلق على فطرة سليمة، وخصَّ الرجال بنوعٍ من هذه الفطرة، وخصَّ النساء أيضاً بنوعٍ وأسلوبٍ من الفطرة. بِمَعنى أنَّ لِلرِّجال صفاتٍ تُميِّزُهم عن النِّساء، ولِلنِّساء صفاتٍ يتميَّزنَ بها عن الرجال. وأنَّ مَنْ حاول مِنْ الجنسين أنْ يتناول، أو يتعدَّى على صفات الجنس الآخر، فإنه قد اعتدى، وحاول الخروج على فطرة الله التي فطر الخلق عليها. ولهذا جاء عن النبي ﷺ في الحديث الصحيح: (لعن الله المُتشبهين من الرجال بالنساء، ولعن الله المُتشبهات من النساء بالرجال)[1]. وهذا وعيد شديد، وتهديد أكيد في لعن مَنْ حاول مِنْ الرجال أن يَنْزِل إلى صفات النساء، وأنْ يتشبه بصفات النساء، التي هي من خصائصهن، ومِنْ لوازم أنوثتهن. ولَعَنَ أيضاً مَنْ حاولتْ مِنْ النِّساء أن تذهب إلى

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٤٦ ، ٦٤٤٥) ، و الترمذي (٢٧٨٤) ، و أبو داود (٤٠٩٧ ، ٤٩٣٠) ، و ابن ماجة (١٩٠٤) ، و أحمد (١٩٨٣ ، ٢٠٠٧ ، ٢١٢٤ ، ..) ، والدارمي (٢٦٤٩).

صفات الرِّجال التي هي من صفات الرُّجولة، وصفات الذكورة، وصفات الخشونة، وصفات القوة، وممارسة الأعمال الخاصة بالرجال. فكلٌ مِنْ الجنسين له صفاته - كما تقدم -، ومميِّزاتُهُ، التي تُميِّزُه عن الصنف الآخر. إلا أنَّه مِنْ الظواهر المدنية الحاضرة، ومن ظواهر التَّرف، ومن ظواهر التقليد الأعمى، أن ترى كثيراً من الشباب الآن، يُحاولون التَّشبُّهَ والاتِّصافَ بصفات المرأة. وهذا - بدون شك - شعورٌ بالنقص، وشعورٌ باللِّيُونَةِ، والنُّعومة، منْ نفوسهم، وإلا فإنَّ للذكر صفاتِه، وللأنثى صفاتها ومميزاتها، فإذا ما حاول الذَّكر أن يكون كالأنثى، وأن يكون كالفتاة، فإنَّ هذا منه خروجٌ على فطرته، وخروجٌ على طبيعته، التي فُطِرَ عليها، وطُبِعَ عليها، وبذلك يكون قد عرَّض نفسه لِلَعْنَةِ النَّبي ﷺ، وسخطِ الله، وأليم عقَابِه، وبذلك -أيضاً- يكون قد أخرج نفسه عن مُقَوِّمَاتِ ذُكُورِيَّتِه ورُجُولَتِه..

وقد رُوِيَ عن عمر ﷺ أنه حثَّنا جميعاً على أن نتمسك بمقومات الرجال، مِنْ الصلابة، والخشونة، وممارسة الأعمال التي تؤدي بنا إلى ذلك.. فقد قال ﷺ: " تمعددوا، واخشوشنوا، وامشوا حفاةً ومُنتعلين، وانزوا على الخيل نزوا "، وفي أثرٍ آخرَ أيضاً: " اخشوشنوا، فإنَّ النِّعم لا تدوم ".

ومِنْ هذا نعرف أن على الرجل أن يرغب عن صفات الجنس الآخر، وأن يُحاول المُحافظة على صفته هو، وعلى قوته، وعلى

خشونته، وعلى رجولته، في مشيه، وملبسه، ومظهره، وجميع أحواله وصفاته. ولا فضل للرجل في أن يكون كالفتاة، ولا فضل - أيضاً - ولا ميزة للمرأة في أن تكون كالرجل. فهي أُنثى، وهي امرأة، وهي سيدة، وهي ملكة بيت، ولها من المميزات، ولها من المكانة العظيمة في الإسلام، وعند ذوي العقول والألباب، ما يُغنيها عن محاولة أن تتَّصف بالرجل. فإن الأنثى هي الأنثى، وجمالها بأنوثتها ومُحافظتها، وسماتها الطيبة من العِفَّة، والنَّزاهة، والكرامة، والشيمة. وأنَّ الرجل هو الرجل، بقوته وجَلَدِه، وصلابته، ومناعته، وتَحَمُّلِه، وبأسه، وقدرته على الذهاب والإياب، والكدِّ والتَّعب، وما إلى ذلك من الأمور. لكن إذا رأينا بعض الناس لا يألو جهداً في أن يظهر بمظهر الرجل الناعم تماماً، مثلاً: يَحْلِقُ لحيته، ويحلق - أيضاً - بقية أشعاره، وربما يلبس لباساً ناعماً تماماً، وأيضاً ربما يكون عند بعضهم إطالة شعر الرأس، بحيث يكون مُشابهاً للفتاة. وبعضهم ربما يلبس شيئاً من الحُلي أو السلاسل، وهذا غاية الانحطاط، وغاية السَّفالة، أن يُفكِّر الرجل بهذا التفكير، وأن يصل به عقله وتفكيره، أو ثقافته - إن كان له ثقافة - إلى هذا المستوى.

ومن المؤسف - أيضاً - أن الأنثى - مثلاً - تُحاول أن تتشبه بالرجل، إما في لباس، أو في مشيه، أو في شيء من أحواله، فإنها لا ميزة لها في ذلك، ولا فضيلة لها، ولا كرامة لها. بل مُحاولة كلُّ واحدٍ

من الاثنين، الخروجَ إلى دائرة الثاني، لاشك أنه بدافع الشعور بالنقص، وبدافع الشعور بأن هناك شيئاً فقده، ويبحث عنه، فكيف يليق بالفتى - مثلاً - أن يبحث عن شيء فقده من صفات - الأنثى؟!!! لو تصور الفتى هذا الشيء، لَخَجِلَ، ولَمَا خرج، ولا قعد عند أهله، ولا في بيته، وهو على هيئة وصِفَةِ الفتاة.. ولو تصوَّرتْ الأنثى أنها في حال بحثها، وتَحلِّيها، أو ظهورها بمظهر التشبه بالذكر، لَخَجَلَتْ حتى مِنْ نفسها.. فالرجال رجال، والذكور ذكور، والأنثى أُنثى، والمرأة مرأة. والنبي ﷺ أعطى الكلمة الحاسمة حين قال: (لعن الله المُتشبهين من الرجال بالنساء، والمُتشبهات من النساء بالرجال)[1]، وهذا لكيلا يخرج واحدٌ من الاثنين عن طبيعته، ومقتضى مركبات بدنه، ومزاجه، وصفاته. فمن خرج على ذلك فقد خرج عن المألوف، وحاول ما ليس له، وتعدى على حدود الطرف الآخر.

ويؤسفني أن أُنَوِّهَ عن نقص عقول أولئك الشباب الذين لا نزال نسمع عنهم أنهم يُحاولون الظهور، أو البروز، أو أن يبدو بصفاتٍ كصفات الفتيات، ويُسمى هذا تحت أسماء مختلفة، إمَّا: " خنفسة "، وإمَّا أسماء أخرى.. فهذا مُخالفٌ لتعاليم الإسلام، وآدابه، وأخلاقه، ومُخالفٌ لطبيعة المسلم، وطبيعة الرجل، وحتى لو لم يكن الإنسان

---

(١) سبق تخريجه، ص: ٣٨.

مُسلماً، فإن عليه أن يحتفظ بطبيعته هو كرجل، وطبيعته كذكر، ولا يرضى لنفسه أن يُمَيِّعَ نفسه، ويتجمل أو يتحلَّى بِلُبْسِ السلاسل، أو يُطيل شعره، أو يفعل هذه الأشياء كلها، أو يلبس الناعم من الثياب، ويبدو كفتاةٍ ستُزفُ لزوجها - والعياذُ بالله -.

فهذا الشيء لا ينبغي ولا يجوز، وقد علمنا أنه مُخالفٌ للطبيعة والفطرة ولمركبات كلٍ من الجنسين. وأسأل الله جل وعلا لنا جميعاً التوفيق، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الحديث الثاني

الحث على التمسك بالدِّين، وكثرة الفتن في آخر الزمان

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.. وبعد..

من المعلوم أنَّ الله جلَّ وعلا أكمل لنا الدين، وأتم علينا النعمة، ورضي لنا الإسلام ديناً.

وهذا الدين الإسلامي، هو دين كامل، وشامل لجميع أحوال البشر، في معاشهم، ومعادهم، ولا يحتاج إلى تكملة، لا في أحكامه، ولا في آدابه، ولا في تشريعاته، ولا في جميع شؤونه. فهو صالحٌ لكل زمان، ولكل مكان، ولجميع العباد، ولا يؤثر على الدِّين ما طرأ من تغيرات ومن تبدلات، في مفاهيم البعض من الناس، أو الكثيرين منهم، أو مُحاولة الدَّسِّ، أو الطَّعن في شرع الله ودينه. فإنَّ هذا لا يُغير شيئاً مِنْ كمال دين الله ﷻ، ولا مِنْ صلاحيته وشموله لمصالح العباد والبلاد، في جميع الأزمنة، والأمكنة، والأحوال، والصفات. وإذا كان الناس الآن

اختلفت نظرتهم إلى هذا الدين الإسلامي، فإن هذا ليس بِبِدْعٍ. فقد أخبر النبي ﷺ في الحديث الثابت عنه، أنَّ أحوال الناس تتغير في آخر الزمان، وأنَّ هذا لا يثني المسلم، ولا يردُّ المؤمن عن التمسك بدينه، والعضِ عليه بالنواجذِ. ولِهَذا جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: (يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ الصَّابِرُ فِيهِمْ عَلَى دِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ)[1]. وهذا خبرٌ من النبي ﷺ، بأنَّ هذا سوف يحصل، وأنَّه بذلك يُصبح القابضُ على دينه كالقابضِ على الجمر: دائماً يتململ. لماذا؟ لِمَا يرى من كثرة الفتن، ولِمَا يُشاهده من الشُبهات، والشكوك، والرِّيَبِ، ولكثرة المُحاربين والمناوئين لهذا الدين، والقائمين على حربه، ولِكَثْرَةِ الأعداء، وقلة الأعوان. لِذَلِكَ أصبح المتمسكُ والقابضُ على دينه، بِمَثابة القابضِ على الجمر. فصلوات الله وسلامه على مَنْ لا ينطقُ عن الهوى: ﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى ﴾[2].

وكما أنَّ هذا الحديث عن النبي ﷺ فيه الخبر بما سيقع - وفعلاً وقع -، فإنَّ فيه - أيضاً - الإرشادَ لأمته، أنه متى وقع مثل هذا الأمر، فإنهم لا يستغربونه، ولا يستنكرونه، ولا يقلِّلُ ذلك مِنْ عزيمتهم، ولا من اهتمامهم، ولا من تمسُّكهم بهذا الدين، وعضِّهم عليه بالنواجذ. فإنَّ الحديث ضمناً يقول لنا: لا يُثنيكم ذلك، عن القبض على هذا

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٢٦٠).

(٢) سورة النجم، آية: ٤.

الدِّين، فَتَمَسَّكُوا بهذا الدين تماماً، واعتبروا مثل هذه الأوضاع، وإنْ كانت شاذة، إلا أنها أوضاعٌ محتملة الوقوع. فتمسَّكوا بِدِيْنِكم، وأعدُّوا لِتِلْكَ الظروف العُدَّة، وتعاونوا على البرِّ والتقوى، وعليكم بتوحيد الكلمة، وجمع الصفوف، والتَّآخي فيما بينكم، لكي تستطيعوا مقاومة الأعداء، والمناوئين، والمُشكِّكين، والدَّسَّاسين، والمُغرضين، أمَّا إذا انفرد أولئك الأشرار بالمسلم، وبالمؤمن، في حال غربته، وحالِ وحدته، وحالِ انفراده، فإنه في هذه الحال سوف تتجمع عليه المصائب، والكوارث، والمحن، وقد لا يستطيع الصُّمود، أو الوقوف، في وجوه التيارات المتوالية والمتلاحقة، إذا كان وحيداً، وينطبق عليه قول الرسول ﷺ: (يأتي على الناس زمان، الصابرُ على دينه كالقابض على الجمر).

هذا من جهة، ومِنْ جهةٍ أخرى - أيضاً -، أنَّ المتمسك بدينه، والمتمسك بعقيدته، والمتمسك بأمانته، والمتمسك بواجبات دينه، يُصبح غريباً حتى في بَلَدِهِ. . حتى بين إخوانه. . حتى بين أهل بلده ومواطنيه. . لماذا؟ لأنَّ الكثيرين منهم قد تنكَّروا لهذا، وتغيَّروا له، وأصبح التمسك بالدِّين، أوبالعقيدة، أو بالمبادئ والأخلاق، أو المُحافظة على الأمانة، أمراً مُستغرباً، وأمراً غير مألوف.

و مِنْ هذا الباب، يتحقَّق الحديث الآخر، وهو قوله ﷺ: (بَدَأَ الإِسْلامُ غَرِيبًا، وسيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ. فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ. قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ الْغُرَبَاءُ؟ قَالَ: الَّذِينَ يُصْلِحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ)[1] وفي

(١) أخرجه أحمد (١٦٢٤٩).

رواية: (فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ الَّذِينَ يُصْلِحُونَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ مِنْ بَعْدِي مِنْ سُنَّتِي)[١]، وفي رواية: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ وَنَحْنُ عِنْدَهُ: طُوبَى لِلْغُرَبَاءِ. فَقِيلَ: مَنْ الْغُرَبَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: أُنَاسٌ صَالِحُونَ فِي أُنَاسِ سُوءٍ كَثِيرٍ، مَنْ يَعْصِيهِمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ يُطِيعُهُمْ)[٢]، وفي رواية أخرى: (منْ الغُرباء: قال: هم النُّزَّاعُ من القبائل)[٣]. يعني: أنهم قِلَّةٌ. سواءٌ أَنَّهم يَصْلُحُون في حالِ الفساد، وأنَّ مرتبتهم أعلى وأجلَّ من ذلك، أو أَنَّهم أيضاً يُصْلِحُون الفساد، أو يُصْلِحُون ما أفسد الناس، أو أَنَّهم قِلَّةٌ مِنْ النَّاس. على أيِّ حال، إذا حدثتْ هذه الأمور، فينبغي للمسلم ألا يستغرب، وأن يكون متهيِّئاً متوقعاً لحدوث مثل هذا. لأنَّ المُصطفى ﷺ أخبر به، ولأنه لا يُخبر إلا بما يَقَعُ صِدْقَاً وحقَّاً مُطابقاً لِخَبَرِه ﷺ، وهذا لا يَزِيْدُ المُسلم إلا تَمَسُّكاً، وإصراراً على القيام بواجب دينه، وبِوَاجب أمانته.

مِنْ ذلك مثلاً: مَنْ كانَ أمِيْنَاً في مِثْلِ هذه الأوقات، وغَيْرَ قابلٍ لِلْمُسَاوَمَةِ على عمله، وغَيْرَ قابلٍ لِلأخذِ والرَّدِّ فيما هو مِنْ واجبِ أمانَتِهِ، أو مِنْ واجبِ أداءِ مَا كُلِّف به شرعاً وعقلاً، فهذا رُبَّما يكون منبوذاً، رُبَّمَا تُوَجَّهُ له ألوانٌ مِنْ التُّهم، وألوانٌ مِنْ التَّعَسُّفاتِ والتَّعَنُّتَاتِ، ورُبَما يُحْرَمُ الكثير مِمَّا يستحقه مِنْ الميزات، أو من غيرها. وهذا ما يوحي به أو يُعطيه

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٣٠).

(٢) أخرجه أحمد (٦٦١٢ ، ٧٠٣٢).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٦٢٩) ، و ابن ماجة (٣٩٨٨) ، و أحمد (٣٧٧٥) ، و الدارمي (٢٧٥٥).

قول النبي ﷺ - في الحديث السابق -: (القابضُ على دينه كالقابض على الجمر). فإن هذا الشخص إذا استمر في القبض على دينه، فإنه لا بدَّ أن يناله ما يناله مِنْ ضررٍ ومِنْ أذى، كحال الذي يقبض على الجمر. فإنَّ حال من قَبَضَ على الجمر لا يخفى، فإنه لا يزال يتململ، ويُقاسي متاعب، مِنْ القبض على الجمر. فإنَّ مَنْ قبض على دينه وتمسك بدينه، رغم ما يواجهه من المتاعب والصعوبات، ويُحاول أن يؤدي واجبه، ويُحاول أن يقوم بواجب أمانته، وواجب دينه، وإخلاصه لأمَّته، ولإخوانه المسلمين، يجب عليه ألا يعبأ بما قد يُوجَّه إليه، أو بما قد يناله مِنْ مصاعب، أو من متاعب. ولِكُلِّ شيء ضريبةٌ، كما أن لِلْخيانة، والغشِّ، والتدليسِ، والكذبِ والفجورِ، ضرائبَ في الدنيا والآخرة. فَمِنْ ضرائبِ مَنْ فَعَلَ أياً مِنْ هذه الأمور في الدنيا، أن يؤنِّبَهُ ضميرُه، وألا يشعر بسعادةٍ أبداً، وألا يتلذَّذ بعيشٍ بالمعنى الصحيح. . لماذا؟ لأنه لا يأكل إلا حراماً لا يأكلُ إلا سُحتاً. . لماذا؟ لأنه ملعونٌ على لسان محمد بن عبد الله ﷺ، حين قال: (لعنَ اللهُ الرَّاشي، والمرتشي)[1]، وفي رواية: (لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الرَّاشِيَ وَالْمُرْتَشِيَ وَالرَّائِشَ[2]. يَعْنِي الَّذِي يَمْشِي بَيْنَهُمَا، والرائش: الوسيط بينهما) وأيضاً هو لا يشعر بسعادة في بيته، لا

---

(١) أخرجه الترمذي (١٣٣٧)، و أبو داود (٣٥٨٠)، و ابن ماجة (٢٣١٣)، و أحمد (٦٤٩٦، ٦٧٣٩، ٦٧٤٠، ٦٧٩١، ٦٩٤٥، ٢٧٤٧٧، ٨٧٩٨).

(٢) أخرجه أحمد (٢١٨٩٣).

بين أفراد أسرته، وقد لا يُمْنَحُ الصحةَ الحقيقةَ، ودوماً أحوالهم وصحتهم مُنغَّصَةٌ. ومن جانب آخر هو يخشى الموت، ويخشى القبر، ويخشى الحساب والعقاب.. لماذا؟ لأنه يعرف ما قدَّمه، وما سُجِّل عليه، ويعرف أنَّ هناك كِرَاماً كاتبين، وأنهم يُدَوِّنُون كلَّ الصغائر والكبائر: ﴿ مَا يَلْفظُ مِنْ قَوْلٍ إلاَّ لَدَيْه رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[1]، ﴿ وَإنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِيْنَ * كِرَامَاً كَاتِبِيْنَ * يَعْلَمُوْنَ مَا تَفْعَلُوْنَ ﴾[2]، ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾[3].

هذا وصلى الله وسلم وبارك على من أُعطي جوامع الكلم، واختُصر له الكلام اختصاراً، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

(١) سورة ق، آية: ١٨.

(٢) سورة الانفطار، الآيات: ١٠ – ١٢.

(٣) سورة الأنبياء، آية: ٤٧.

الحديث الثالث

حقوق الجار

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله، وأصحابه، ومن اهتدى بهداه.. وبعد..

فإنَّ الله جلَّ شأنه قال في محكم كتابه العزيز: ﴿ **واعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وبِذِي الْقُرْبَى والْيَتَامَى والْمَسَاكِينِ والْجَارِ ذِي الْقُرْبَى والْجَارِ الْجُنُبِ والصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وابْنِ السَّبِيلِ ومَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً** ﴾ (١). ففي هذه الآية العظيمة، أمرَ الله جل وعلا الخلقَ بعبادته، ونهاهم أن يُشركوا به شيئاً، وأمرهم - أيضاً - بالإحسان إلى إخوانهم، وأمرهم - أيضاً - بالمحافظة على حقِّ الجار، وفي هذا من الأهمية والاهتمام من الشريعة، الشيء الكثير. لأنَّ الله قَرَنَ حقَّ الجار في هذه الآية، بِحَقِّه جلَّ وعلا، وبالنَّهي عن الشرك به. لأنَّ حقَّه أعظمُ الحقوق، وآكدُها، ولأنَّ الشرك أكبر الكبائر، وأعظم الجرائم. فَحَقُّ الجار على جاره مُؤكَّدٌ. ولِهَذا ثبتَ

(١) سورة النساء، آية: ٣٦.

في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: (مَنْ كانَ يؤمنُ بالله واليوم الآخر فَلْيُكْرِمْ جاره)[١]، وفي لفظ آخر: (مَنْ كان يؤمنُ بالله واليوم الآخر، فلا يؤذِ جاره)[٢]. وفي لفظ آخر: (فليُحسن إلى جاره) [٣] في حديث آخر: (والله لا يؤمن. والله لا يؤمن. والله لا يؤمن. قالوا: خابَ وخسرَ، يا رسول الله. مَنْ هو؟ قال: مَنْ لا يَأمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ)[٤]. فهذه كلُّها مِنْ حقوق الجار، والأمر بالوفاء للجار. وقد وَرَدَ في الحديث، عن النبي ﷺ: (مَا زَال جِبريل يُوصيني بالجار حتى ظننتُ أنه سَيُورِّثه)[٥]. فَحَقُّ الجَار على جاره كبير. وما ذاك إلا لأنَّ الجار المُلاصق، أو الجار القريب، لا يستغني عن جاره، مهما كانت حالُ الجيران، أو المتجاورين. كلٌ منهم قد يحتاجُ إلى جاره، في ليلٍ أو نهار، في حال حضور الجار، أو في حال غيابه. فإنَّ الجار يحتاج إلى جاره.. يحتاج إلى

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٧٣)، و مسلم (٤٧)، و أحمد (٩٣١٢، ١٥٩٣٩، ١٩٧٧٤)، و مالك (١٧٢٨)، و الدارمي (٢٠٣٥).

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٧٢، ٥٧٨٥، ٦١١٠)، و مسلم (٤٧)، و أبو داود (٥١٥٤)، و أحمد (٩٣١٢، ٩٦٥١، ٢٣٨٨٣، ٢٦٦٢٠).

(٣) أخرجه مسلم (٤٨)، و ابن ماجة (٣٦٧٢)، و أحمد (١٥٩٣٥، ٢٢٩٨٥، ٢٦٦١٨)، والدارمي (٢٠٣٦).

(٤) أخرجه البخاري (٥٦٧٠)، و أحمد (١٥٩٣٥، ٧٨١٨، ٨٢٢٧، ٢٦٦٢٠، ٢٦٦٢١).

(٥) أخرجه البخاري (٥٦٦٩)، و مسلم (٢٦٢٤، ٢٦٢٥)، و الترمذي (١٩٤٢، ١٩٤٣)، وأبوداود (٥١٥١، ٥١٥٢)، و ابن ماجة (٣٦٧٣، ٣٦٧٤)، و أحمد (٥٥٥٢، ٦٤٦٠، ٧٤٧٠، ٨٩٨٥، ٩٤٥٣، ١٠٢٩٧، ..).

مساعدته أو إلى معاونته، أو أنْ يَكُفَّ عنه الأذى، فهذا أيضاً مِنْ حقِّ الجار في الإسلام، وحتى في شيم العرب. فإنَّ مِنْ حقِّ الجار على جاره ألاَّ يعتدي عليه، ولا يطَّلِع على بيته، أو على أولاده، ولا يُضايقه بشيء من البناء، أو الفتحات، أو النوافذ. وأيضاً لا يضع أمام بابه شيئاً من الفضلات أو القمائم، التي تؤذي، وأيضاً لا يتوقف عن زيارة جاره، أو يستزيرُه، حتى يكون بينهما أُلفة ومحبة.

والجار إذا كان قريباً، ومُسلماً، فله ثلاثة حقوق:

حق الجوار، وحق الإسلام، وحق القرابة.

وإن كان جاراً مسلماً، ولم يكن قريباً، فله حقان:

حق الإسلام، وحق الجوار.

و إن كان جاراً، ولكنه ليس بِمُسلمٍ، ولا قريبٍ، فله - أيضاً - حقُّ الجوار. وقد أتى رجلٌ إلى النبي ﷺ، واشتكى إليه جاره، فأمره النبي ﷺ أن يُخرِجَ متاعه - يعني: عفشه - إلى الشارع، فمن مرَّ عليه من الناس، وقال له: لِمَ أخرجتَ متاعك؟. قال: آذاني جاري، وأتعبني وتسبب لي في المتاعب، وكذا وكذا. فأخذ الناس يلومونه ويشتمونه، حتى ذهب ذلك الجار إلى النبي ﷺ، وطلب منه أن يشفع له عند جاره، أو أن يأمر جاره أن يعيد متاعه إلى بيته، ولا يؤذيه بعد ذلك[1].

---

(١) أخرجه أبو داود (٥١٥٣).

هذا كله يدل على تأكيد حق الجار، وأن للجار من الحقوق الشيء الكثير. بمعنى أنه حتى إذا غاب الجار، فإنه ينبغي لجاره أن يكون ملاحظاً لعائلته: ربما ينقُصهم شيء، ربما يحتاجون إلى شيء، ربما يزعجهم شيء، ربما يحدث لهم حاجة.. هذه من فوائد الجوار، ومن فوائد الجار الصالح. ولهذا يقول العرب: اختر الجار قبل الدار، واختر الرفيق قبل الطريق. فحق الجوار عظيم. وللجار على جاره حق مؤكد أمر الله ﷻ به في كتابه، وأكدَّه النبي ﷺ، كما تقدم لنا في هذه الأحاديث الكثيرة وغيرها. والواقعُ - أيضاً - يدل على ذلك. فَلَرُبَّما أنَّ هناك مِنْ الجيران مَنْ يذهب.. يُسافر إلى حاجته.. ويعتمد على جاره - بعد الله ﷻ -، ويعرف أن جاره لن يغفل عن أولاده، لن يغفل عن عائلته، وأنهم مهما طلبوا منه، أو بحثوا عنه في ليل أو نهار، فإنه سَيُلَبِّي حاجتهم. ومعنى هذا أن هذا الجار لم يغب عن ولده ولا عن عائلته. وهكذا جاره الثاني لو غاب، فجاره الأول يحلُّ محلَّه، ويقوم مقامه. هذه من فوائد الجوار.

ومن فوائد الجوار: تبادل الثقة، تبادل الأخوة، تبادل المنافع، والتعاون. كل جار يثق بجاره. كل جار يطمئن إلى جاره. كل جار يعتمد على جاره.. هذه آداب الإسلام، بل هذه آداب العرب من قبل الإسلام. فالجار له حقٌّ عند العرب عظيم، وكان العرب يهتمون بشأن الجار، ويهتمون بجارهم، وأيضاً بجاراتهم من النساء، ويرون أن لهن حقاً، وأنَّهُنَّ يحللن محلّةٌ لا يشركهن فيها أحد من الأباعد. فما هو الذي حلَّ

بالناس الآن من الاستخفاف بحق الجار، وعدم مراعاته، وعدم السؤال عنه، وعدم تفَقُّدِ أحواله. . حتى إذا حصل عليهم شيء، فقد يكون هو آخر مَنْ يَعْلَمُ - وهو جارهم - أو يكون آخر من يمدَّ لهم يد المساعدة، أو آخر من يأتي أو يقول: هل من حاجة؟ هل حصل كذا أو حصل كذا؟ ولماذا لم تخبروني؟..

هذه فوائد الجوار. . هذه أخلاق الإسلام وآدابه، أن يكون الجار شريكاً لجاره في حال السراء، وحال الضَّراء، سواءٌ أكان الجار حاضراً أم غائباً. ولهذا نهينا عن أذية الجار والإساءة إليه، حتى في إطالة الجدار نحوه، أو فتح نافذة عليه، أو جعل شيء يؤذيه، أو إحداث شيء يزعجه، مثل صوت ماكينة، أو صوت شيء يؤذي، أو جعل نافذة المطبخ تفتح عليه، فيؤذيه الدخان والروائح، وهكذا. .

للجار حق عظيم جداً على جاره، بمعنى أن الإسلام في الحقيقة لا يسمح بأذيَّة الجار. ولهذا قال النبي ﷺ - كما تقدم -: (مَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يؤذِ جاره)[1]، وفي الحديث الآخر عن النبي ﷺ: (ما زال جبريل يوصيني بالجار، حتى ظننتُ أنه سيورثه)[2]. فَلِمَاذا لا يكون الإنسان متمثلاً، ومُقتدياً، ومتأسياً، بالنبي ﷺ،

---

(١) سبق تخريجه ص (٥٠).

(٢) سبق تخريجه ص (٥٠).

وحريصاً على أن يكون مسلماً، بأخلاقه، وبآدابه، وأيضاً بسلوكه، ومنهجه؟ !

أسأل الله جلَّ وعلا أنْ ينصر دينه، وأنْ يُعْلِي كلمته، وأنْ يهدينا سواء السبيل.

و صلى الله وسلَّم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحديث الرابع

أحكام الصيام وآدابه

الحمد لله رب العالمين، والصلاة على نبينا محمد، وعلى آله، وأصحابه أجمعين. . وبعد. .

فإن الله ﷻ قال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[1]. فهذا نداءٌ من الله ﷻ، لِعِبَاده المؤمنين، وأمْرٌ لهم بالصوم، وإخبارٌ لهم بأنَّ لِهَذا الصومِ، حِكْمَةً، وأنَّ مِنْ حِكْمَتِهِ أنْ يَحُثَّهُم، ويَحْمِلَهُم على التقوى. ولِهَذا قال الله ﷻ: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾. فَمَنْ لَمْ يَتَّقِ الله في صيامه، ولَمْ يُحافظ عليه ويرعاه، ولَمْ يُفَرِّقْ بين يومِ صيامه، ويَوْمِ فطره، فهو في الحقيقة لم يَصُمْ. ولِهَذا جاء في الحديث عن النبي ﷺ: (مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ، والعَمَلَ بِهِ، والجَهْلَ، فليس لله حاجةٌ في أنْ يَدَعَ طعامَهُ وشَرَابه)[1]. وفي الحديث الآخر: (رُبَّ

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٨٣.

(٢) أخرجه البخاري (١٨٠٤ ، ٥٧١٠) ، و الترمذي (٧٠٧) ، و أبو داود (٢٣٦٢) ، و ابن ماجة (١٦٨٩) ، و أحمد (٩٥٢٩ ، ١٠١٨٤) .

صَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ، ورُبَّ قَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ قِيَامِهِ السَّهَرُ) [١].

فهذه الأحاديث، وهذه الآية الكريمة، تدلُّ على أنَّ المُراد مِنْ الصَّوْمِ، وأنَّ الحكمةَ مِنْهُ، أنَّه يورث، ويُثْمِرُ التقوى. فإنَّ على الصائم أنْ يتَّقي الله في سرِّه وعلانيته، وأنْ يُحافظ على أوامر الله ﷻ، وأنْ يدفعه الصيامُ إلى احترام شرائع الإسلام، والمحافظة عليها. فما صام منْ أضاعَ الصلاة، وتَهَاوَنَ بها، ولَمْ يُحافظ عليها في أوقاتها، أو أضاعها بالكُلِّيَة. فماذا يُفيده الصيامُ، إذا أضاع الصلاة؟ والصلاةُ هي الرُّكن الأعظم للإسلام، كما جاء في الحديث الصحيح: (رأسُ هذا الأمر الإسلام، وعمُوده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله)[٢]. وبعض الصائمين، يصومون عن الطعام والشراب، لكن تجدهم يؤخِّرون الصلاة عن أوقاتها: إمَّا أنْ يناموا قبل السحور، أو قُبيل السحور، ويؤخروا صلاة الصبح، أو يناموا عن صلاة الظهر أو عن صلاة العصر، وهكذا. فكيف يصومون ويُقاسون آلام الجوع والظمأ، ثم يُؤخِّرون الصلاة، أو يُضيِّعون الصلاة بالكُلِّيَةِ - والعياذ بالله-. وأيضاً ما صام من ذهب بعد فِطْره، وأمعنَ في المعاصي، بأنْ جلس في مجالس السَّهو، واللَّهو، والقيل والقال، والغيبة والنميمة، وأكل لُحُوم الناس، أو

---

(١) أخرجه ابن ماجة (١٦٩٠) ، و أحمد (٨٦٣٩ ، ٩٣٩٢) ، و الدارمي (٢٧٢٠) .

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦١٦) ، و أحمد (٢١٥١١ ، ٢١٥٦٣ ، ٢١٦١٧) .

تناول المحرمات، كالمسكرات ونحوها، أو غيرها مِنْ المحرمات التي حرَّمها الله على عباده.. فأين الصيام؟ ! وأين القيام؟ ! وأين احترام شهر رمضان؟ !

إن الله ﷻ يقول: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾[1]: أي: تَتَّقُون الله في امتثال أوامره، واجتناب نواهيه.. في امتثال هذا الشَّرع المطهر، بأن يَكُفَّ الإنسانُ الأذى مِنْ لِسانه، وجوارحه، وألاَّ يأكلَ إلا حلالاً، لا يأكلُ حراماً. أمَّا مَنْ صام عن الطيِّبات، أو عنْ الحلالِ، وأفطر وتسَحَّر مثلاً على المُحَرَّمات، فأين هذا الصيام؟ !

وأمَّا مَنْ صام عن الطعام والشراب، ثُمَّ ما زال يأكلُ لُحُوم الناس.. ما زال يغتابُهم.. ما زال يؤذي المؤمنين والمؤمنات.. ما زال يستطيل في أعراض الآخرين.. ما زال يتكاسل عن الصلوات.. ما زال يؤذي جيرانه.. ما زال يعُقُّ والديه.. ما زال يقطع أرحامه.. فأين آثارُ الصيام؟ ! وأين آثار التقوى؟ ! وأين ما استفاده هذا الصائم مِنْ صيامه؟ ! هذه العبادات ليست صُوراً ولا أشكالاً، وإنما هي حقيقةٌ، الغرضُ منها أن يُقْبِلَ العبدُ على خالِقه.. الغرضُ منها أن يرتبطَ القلبُ بِرَبِّه جل وعلا.. الغرضُ منها أن يفهم المسلم أنه صائمٌ امتثالاً لأمْرِ الله ﷻ. لأنَّ الله ﷻ قال: ﴿ **كُتِبَ**

---

(١) سورة البقرة، الآية (١٨٣).

عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[١]. فهل ما يتعاطاه هذا الصائمُ في رمضان، أو في نهار رمضان، أو في ليالي رمضان، أو في حال فطره، أو في حال صيامه، هل هذا هو التقوى؟! هل هذه ثمار الصيام؟! وهل هذه نتيجتُه، وحكمتُه، وفائدتُه؟! أم إننا لا نستفيد إلا أن نُمسك عن الطعام والشراب فقط، دون أن نُمسك جوارحنا، دون أن نتقيَّد بشرع الله. فلا بصراً نغضُّهُ، ولا سمعاً نَكُفُّه، ولا لساناً نَحْفَظُه، ولا فَرْجاً - والعياذ بالله - نُحافظ عليه، ولا أمانةً نرعاها، ولا طعاماً طيِّباً نسعى لِكَسْبِه، ولا حراماً نكُفُّ عنه.

هذا الذي يَجِبُ على المؤمن أيَّاً كان، وحيثُما كان، أنْ يستشعره. ولاسِيَّمَا إذا كان صائماً، فعليه أن يتقي الله، وعليه أن يُراعي أيَّام صيامه، وأيَّام قيامه، وأيَّام شهر رمضان. يجب عليه أنْ يُراعي هذا الشهر المبارك، الذي قال الله تعالى عنه: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنْ الْهُدَى والْفُرْقَانِ ﴾[٢]. ولْيَتَذَكَّرْ أنَّ شَهْرَ الصيام، هو شهرُ القرآن، الذي أنزل فيه القرآن، وأنَّ القرآن هو الذي يتضمنُ الحلال والحرام، والأوامر والنواهي، وأنَّ هذا المسلم عليه أنْ يُراعي صيامه، وعليه أنْ يُرَاعي كتاب الله ﷻ، وعليه أنْ يُرَاعي التكاليف الشرعية، وعليه ألاَّ يكتفي - مِنْ الامْتِثَالِ - بالكَفِّ عنْ الطعام والشراب

---

(١) سورة البقرة، الآية: (١٨٣).

(٢) سورة البقرة، آية: (١٨٥).

فقط، بِأنْ يَكُفَّ عنْ الحلال، لكنه لم يَكُفَّ عنْ الحرام، وإذا أفطر، إنما يُفْطِرُ على حرام: إمَّا على رشوة، أو على ما اكتسبه مِنْ غِشٍّ، أو تَدْلِيس، أو كذبٍ، أو أيْمَانٍ فاجرةٍ، أو غلولٍ، أو تحايل، أو ما أشبه ذلك. فهل نحنُ نتعاملُ مع مخلوقٍ تنطلي عليه الحِيَلُ، أو المعاذير؟ ! أم أنَّنا نتعاملُ مع مَنْ يعلمُ السِّرَّ، وأخْفى مِنْ السِّرِّ؟ وهُو المُطَّلِعُ على القلوبِ، والمُهَيْمِنُ عليها ﷻ؟ !

﴿ يَـا أَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِـنْ قَـبْلِكُمْ لَعَلَّكُـمْ تَتَّقُونَ ﴾[1]: لَعَلَّكُم تَتَّقُون اللهَ في صيامكم، في قيامكم، في شهركم المبارك، في كتاب الله العزيز الذي أُنْزِلَ في هذا الشهر المبارك، الذي تضمَّن كل ما يعودُ على البشرية بالخير، والعِزَّةِ، والأجر العظيم.

فهذه نصيحتي لإخواني الصائمين، أن يتذكَّروا أنَّ الصِّيام معناه أنْ يكُفَّ الإنسانُ عن جميع ما حرَّمه الله ﷻ عليه، وأن يستفيد مِنْ صيامه: التقوى، وأنْ يحتسب ثوابَ صيامه عند الله ﷻ. ولهذا جاء في الحديث عن النبي ﷺ: (مَنْ صامَ رمضان إيماناً واحتساباً، غُفِرَ له ما تقدَّم مِنْ ذنبه)[2].

---

(١) سورة البقرة، الآية: (١٨٣).

(٢) أخرجه البخاري (٣٨)، و مسلم (٧٦٠)، و الترمذي (٦٨٣)، و النسائي (٢١٩٨ ، ٢٢٠٣ ، ٢٢٠٤ ، ٢٢٠٥)، و أبو داود (١٣٧٢)، و أحمد (٧١٣٠ ، ٧٢٣٨ ، ٨٧٧٥ ، ..).

ومعنى إيماناً واحتساباً، أي: إيماناً بالله، إيماناً بتشريعه، واحْتِسَاباً للأجْرِ والثوابِ، لا سُمْعَةً ولا رِيَاءً، ولا تقليداً، ولا صياماً صورياً ولا شكلياً. وإنَّما الغرضُ منه هو احتسابُ الثوابِ والأجْرِ عند الله ﷻ. فهذا الصائم هو الذي يفوز بالجنة والمغفرة: (مَنْ صام رمضانَ إيماناً واحتساباً، غُفر لَهُ ما تقدَّم مِنْ ذنبه).

أسأل الله جل وعلا أنْ يجعلَ لنا مِنْ صِيامنا حظّاً وأجراً عظيماً، وثواباً جزيلاً، وعِتْقَاً مِنْ النَّار، وفوزاً بالجنَّة. إنَّهُ ولِيُّ ذلك، والقادِرُ عليه.

الحديث الخامس

الحث على تيسير أمور الزواج

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.. وبعد..

فإنَّ الله ﷻ قال: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾[1]. فهذه الآية الكريمة كغيرها مِنْ الآياتِ، فيها إباحةُ الأكلِ والشُّرْبِ، لكن ذلك في حُدود، بِحَيْث لا يكونُ هناك إسرافٌ. فإنَّ العبدَ له أنْ يأكُلَ، وله أنْ يشربَ، وله أن يتمتع، لَكِنْ بِشَرْطِ ألاَّ يتجاوز الحدَّ، وألا يَصِلَ إلى حَدِّ الإسراف. ولِهَذَا قال اللهُ ﷻ حينما أثنى على عباده المؤمنين: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۞ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾[3]، يعني: حتى في بابِ الصَّدَقَةِ، وحتَّى في بابِ الصِّلَةِ، وحتَّى في بابِ الإحْسَانِ، ينبغي للإنسانِ أنْ يكُونَ وسَطاً. ولِهَذا

---

(1) سورة الأعراف، آية: ٣١.

(2) سورة الفرقان، آية: ٦٧.

(3) سورة الإسراء، آية: ٢٦ - ٢٧.

جاء في الحديث: (**كُلُوا، وَتَصَدَّقُوا، وَالْبَسُوا، فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلا مَخِيلَةٍ**)[١]. فهذه شريعة الإسلام، وهذا هو هديه، وهذا ما أرشدنا إليه النبي ﷺ، في أقواله، وأفعاله، وتوجيهاته، صلوات الله وسلامه عليه. فأين هذا مِمَّا عليه أكثرُ النَّاس الآن، مِنْ حُبِّ الفَخْرِ، والخُيَلاءِ، والمَظَاهِرِ البَرَّاقَةِ، وإنْفَاقِ الأمْوَالِ الطَّائلةِ في سبيلٍ أضَرَّتْ بالمسلمين، أفراداً وجماعات، ولا سِيَّما في أمور الزواج والنكاح، التي هي مِنْ الأمور الضرورية للإنسان، التي لا يستغني عنها أحدٌ مِنْ الجنسين، مِنْ الرِّجَالِ والنِّساء. ولهذا جاء في الإسلام تسهيلُ هذا الأمر، وتيسيرُه. حتى إنَّ النبي ﷺ زوَّج امرأةً رَجُلاً، بِمَا معه مِنْ القرآن، وقال له: (الْتَمِسْ ولو خاتماً مِنْ حَدِيدٍ)[٢]. وزوَّجَ امرأةَ بِنَعْلَيْنِ. صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه. وقال ﷺ: (لَوْ أَنَّ رَجُلاً أَعْطَى امْرَأَةً صَدَاقًا مِلْءَ يَدَيْهِ طَعَامًا كَانَتْ لَهُ حَلالاً)[٣]. صلواتُ الله وسلامُه عليه. وما أُصْدِقَتِ امرأةٌ مِنْ بَنَاتِ النَّبِي ﷺ، ولا مِنْ نسائه، أكثرَ مِنْ اثنتي عشرة أُوْقِيَّةً. يعني: خمسمائة درهم. وخمسمائة درهم، لا تُجَاوِزُ مائةً وخمسين ريالاً عربياً تقريباً.

---

(١) أخرجه النسائي (٢٥٥٩)، و ابن ماجة (٣٦٠٥)، و أحمد (٦٦٥٦ ، ٦٦٦٩).

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٤٢ ، ٢١٨٧ ، ٤٧٤١ ، ..)، و مسلم (١٤٢٥)، و الترمذي (١١١٤)، والنسائي (٣٢٨٠ ، ٣٣٥٩)، و أبو داود (٢١١١)، و ابن ماجة (١٨٨٩)، و أحمد (٢٢٢٩٢ ، ٢٢٣٤٣)، و مالك (١١١٨)، و الدارمي (٢٢٠١).

(٣) أخرجه أبو داود (٢١١٠)، و أحمد (١٤٤١٠).

فأين هذا مِمَّا نحنُ فيه الآن؟ ! وأين هذا مِنْ وضعنا الحاضر الآن، ومِنْ وضع الأمَّة الإسلامية، وتَفَشِّي العُزوبة فيها، وبقاء الكثير مِنْ البنات دونما أزواج، والكثيرين مِنْ الشباب دونما زوجات، وتَعَمُّدِ بعض الناس وضع العراقيل في هذا السبيل المحبوب إلى الله ﷻ، وإلى رسوله، وإلى عباده المؤمنين، والذي هو مِنْ ضرورات الجنس البشري؟!. وإذا كان الأمرُ كذلك، فمَا هو الدَّاعي لنا أنْ نضع هذه العراقيل، وأنْ نغرم هذا الإغرام؟ ! ولماذا هذه النهمة المسعورة في التغالي بالمهور، والميل إلى المظاهر، وإلى الحفلات، وإلى الإضاءات، وإلى جعل إقامة الحفلات في الفنادق، وإنفاق الأموال الطائلة التي تستهلك عشرات الألوف بل أكثر؟ !. فَمِنْ أين لِلشَّباب أنْ يجمعوا هذه الأموالَ؟ مِنْ أين لِلْبَنَاتِ بِأزواجٍ صالحين، ما دامت هذه العراقيل في سبيل الزواج؟ ! أو في سبيل مشروع الزواج؟!.

ونصيحتي لإخواني، صادقاً، مُخلِصاً، أن يعيدوا النَّظر، وأن يُفَكِّرُوا في حساباتهم، وأن يُوقِنُوا تماماً أنَّهم مُؤتَمَنُون على أولادهم، ذكوراً وإناثاً. الكُلُّ مؤتمن، ومسؤولٌ عن أمانته، وأنَّهم رَعِيَّةٌ في أيدينا. لِمَاذا لا نُعْطِي هذا الموضوع ما يَسْتَحِقُّه مِنْ تفكيرٍ، ونَظَرٍ بَعِيْدٍ، وتَأمُّلٍ في العَوَاقِبِ والنتائج، التي تترتبُ على وضع العراقيل أمام تسهيل أمور النكاح، وأمور الزواج. هذه العواقب والأمورِ، التي يُخْشَى منها أن تتمثل في بقاء الكثير من البنات دونما أزواج، وبقاء الكثير مِنْ البنين دونما

زوجات، على الرغم مِنْ أنَّ كِلاً مِنْ الجنسين يبحثُ عن الآخر، ولا يرى له سعادةً، إلا بأنْ يقترن بما يُلائمه مِنْ جنسه. فإذا بقيتْ الأوضاعُ، أو الأحوال، على هذا النمط، وأصبح الشبابُ لا يُفكِّرُ في الزواج، حتى يُؤَمِّنَ ما لا يَقِلُّ عن مائة ألف، أو مائة وخمسين ألفاً، للحفلات، وللمظهر، وللأثاث، ولِمَا يلزم لذلك. فَمِنْ أين للشباب أنْ يحصل على هذا المال؟ ! ولاسيما الكثرة الكاثرة من هؤلاء الشباب، الذين يتخرجون مِنْ الجامعة، ورواتبهم محدودة، وعليهم من الالتزامات الشيء الكثير. ثُمَّ متى يجمع هذا المبلغ، ويحصل عليه؟ ! وهل مِنْ المصلحة لنا - كَأُمَّةٍ مسلمةٍ، وكَشَعْبٍ مُحافظ، وكَأُمَّةٍ لها قيمتها، وكيانها الإسلامي - وهل مِنْ اللائق بنا، أنْ يبقى أولادُنا عُزَّاباً، وينظرون إلى النِّساء في الشوارع، وفي السيارات، وفي كل مكان، ويطاردونهن كأنما يريدون التهامَهُنَّ؟ وهل مِنْ المصلحة لنَا - أيضاً - أن تبقى النساء والفتيات، على هذا النحو، يبحثن عن الشباب ويُطارِدْنَهُمْ - أيضاً - في نظراتِهِنَّ، وما إلى ذلك من الأمور؟ لماذا لا نستفيدُ مِمَّا حلَّ بالأُمم التي ليست عنَّا ببعيدة؟ وما حلَّ بهم مِنْ الانحلال، وما حلَّ بهم مِنْ التَّفَسُّخ، وما حَلَّ بهم مِنْ الرَّذيلة، بدلاً من الفضيلة.

وكيف وصلتْ أمورهم إلى وصلتَ إليه؟ . وأنْ نأخُذَ بأيدي بعضنا البعض، ولا نترك الأوضاع تتردَّى إلى ما هو أسوأ، وإلى ما هو أكثرُ ضرراً، وبعداً فقدْ تلحقُ بنا الأضرار الفادحة، ولو على المدى البعيد.

فعلينا أنْ نَتَّقِيَ الله جميعاً، وأن نُدْرِكَ أنَّ هذه المضار، وهذه النَّفقات، لا تعود علينا بجدوى: لا في أمْرِ دينٍ، ولا في اقتصادٍ، ولا في شرفٍ، ولا في حسبٍ، ولا في نَسَبٍ. وليست هي الدَّليل على مكارم الأخلاق، ولا على المروءة. ولو كان خيراً، لَسَبَقَنَا إليه الرسول ﷺ، وأصحابُه الكرام، والنبي ﷺ لما جاءه رجلٌ مِنْ الأنصار، قال له إنه تزوج امرأة. قال: (على كم؟) قال: على أربع أواقٍ. قال: (على أربعِ أوَاقٍ؟ كأنَّما تَنْحِتُونَ الفِضَّة مِنْ عَرْضِ هذا الجبل)[1]. علماً بأنَّ أربع أواقٍ، لا تزيد عن مائة وستين درهماً، وهي لا تُساوي إلا قليلاً مِنْ ريالاتنا هذه، لا تُساوي إلا حوالي أربعين ريالاً أو نحوها. ومع ذلك قال له: (كأنَّما تنحتون الفضة مِنْ عَرْضِ هذا الجبل). فأين نحنُ من هَدْي النبي ﷺ، وما كان ينظرُ إليه بنظرةٍ مستقبلية، بعيدة المدى؟ ! وأين نحن مِنْ حكمته، وإخلاصه، ونصحه لأمته، صلوات الله وسلامه عليه؟ !.

أسأل الله جل وعلا، أنْ يأخذ بنواصينا جميعاً إلى ما يُرضيه، وأنْ يَدُلَّنَا على سبيل الخير والرَّشاد. وصلى الله على محمد، وعلى آله، وصحبه، وسلَّم.

(١) أخرجه مسلم (١٤٢٤).

الحديث السادس

أحكام الحج والعمرة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين. . و بعد. .

فإن النبي ﷺ وقّت مواقيت مكانية، لِمَنْ أراد حجاً، أو عمرةً، أو أرادهما معاً. وعلى مَنْ مَرَّ بِمِيْقَاتٍ مِنْ هذه المواقيت أن يُحْرِمَ بالنُّسكِ الذي أراده: عُمْرَةً مُفْرَدَةً، أو عُمْرَةً مُتَمَتِّعَاً بِهَا إلى الحَجِّ، أو عُمْرَةً وحَجَّاً - وهو القِرَانُ لِمَنْ سَاقَ الهَدْيَ -، أو حَجًّا مُفْرداً وهو في هذه الأوقاتِ أفضلُ مِنْ غيره، لأنَّ مَنْ أفْرَدَ الحَجَّ لا يلزمه نُسُكٌ، للأسباب التي تقدمت. أمَّا الإحرامُ، فإنَّه رُكْنٌ مِنْ أركان الحج، وهو: نِيَّةُ الدُّخول في النُّسك. والنبي ﷺ قال: (إنَّما الأعمالُ بالنِّيَّاتِ)[1]. فَلا يَصِحُّ عَمَلٌ بلا نِيَّةٌ. فإذا أرادَ الإنسانُ التَّلَبُّسَ بالنُّسُكِ: عُمْرَة - كما تقدم -، أو عمرة وحجًّا، أو حجاً مُفْرَداً، فإنَّ عليه أن ينوي الدُّخول في النُّسك، ثُمَّ يتلبس، أو يأتي بِعَمَلٍ يُؤكِّدُ هذه النية. ولا مانع مِنْ أن يتلفظ بما أراده مِنْ نُسُكٍ. كأنْ يقول: اللهم إني أردتُ الحج، فَيَسِّرْهُ لي،

---

(1) أخرجه البخاري (١)، و أبو داود (٢٢٠١)، و ابن ماجة (٤٢٢٧).

أو اللهم إني أُريد العمرة فيَسِّرْهَا لي، أو أريد العمرة، متمتعاً بها إلى الحج، أو أريد الحج والعمرة معاً، كالقارن.. وأيضاً يُستحب له أن يشترط، كمَا أرشد النبي ﷺ ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب، حينما دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيها، فَقَالَ لَهَا: (لَعَلَّكِ أَرَدْتِ الْحَجَّ؟) قَالَتْ: وَاللَّهِ لا أَجِدُنِي إِلاَّ وَجِعَةً.

فَقَالَ لَهَا: (حُجِّي، وَاشْتَرِطِي، وَقُولِي: اللَّهُمَّ مَحِلِّي حَيْثُ حَبَسْتَنِي)[1]. فإذا قال الحاج أو المعتمر: " اللهم إني أُريد العمرة، أو اللهم إني أريد الحج، فَيَسِّرْهُ لي، فإنْ حبسني حابس، فَمَحِلِّي حيثُ حبستني "، فإنه يستفيد إن حُبس – إمَّا بحادث سيارة، أو مرض، أو غيرهما من الحوادث والعوارض التي تعْرض للإنسان -، بناءً على هذا الاشتراط، أنْ يَحِلَّ مِنْ نُسكه، ولا شيء عليه، لأنه اشترط. والنبي ﷺ قال لضباعة – كما في الرواية الأخرى -: (قُولِي لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، وَمَحِلِّي مِنْ الأَرْضِ حَيْثُ تَحْبِسُنِي. فَإِنَّ لَكِ عَلَى رَبِّكِ مَا اسْتَثْنَيْتِ)[2].

وعَلِمْنَا أنَّ الإحرام ركنٌ مِنْ أركان الحج، لأنَّه النِّيَّةُ. وعلمنا - أيضاً - أنَّ مَنْ مرَّ بِأحَدِ المواقيت، قاصداً مكة، أو الحرم، فعليه أن يُحْرِمَ، ولا يتجاوزَ الميقاتَ بِدُونِ إحرامٍ. أمَّا إنْ كان قاصداً جِدَّة - مثلاً

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٠١) ، و مسلم (١٢٠٧ ، ١٢٠٨) ، و النسائي (٢٧٦٧ ، ٢٧٦٨) ، و ابن ماجة (٢٩٣٦ ، ٢٩٣٨) ، و أحمد (٣١٠٧ ، ٣٢٩٢ ، ٤٧٨٠ ، ٢٥١٣ ، ..) .

(٢) أخرجه النسائي (٢٧٦٦) ، و الدارمي (١٨١١) .

- كالذي يأتي مِنْ نجد عن طريق قَرْنِ المنازل، أو يأتي مِنْ الطائف، ويُريدُ جِدَّة، أو يُريد مكاناً آخر، لكنه يَمُرُّ بالحرم، لأنَّ الطريق أسهل - أي: يَمُرُّ بِمَكةَ، لأنَّ الطريق أسهل -، لكنه لم يقصد مكة، وإنَّما مرَّ بها مُروراً، فليس على هذا إحرام، بلْ له أنْ يَمُرَّ ويتجاوز الميقات بِدُون إحرام. وأمَّا مَنْ قصد مكة - كما تقدم - أو قصد الحرم، فلا ينبغي له، ولا يَسوُغُ له أنْ يتجاوز الميقات بدون إحرام، إنْ كان أراد حجاً أو عمرة. وهذا أمر لا شك فيه، ومُتَعَيِّنٌ. وإنْ كان لم يُرِدْ حجاً، ولا عمرة، وإنَّما أراد الحرم، أو أراد الكعبة، لِطَواف أو نحوه، فهنا: الأوْلَى والأكملَ له ألاَّ يتجاوز الميقات إلا بإحرام. وإن تَرَخَّصَ بنفسه، وتجاوز الميقات بدون إحرام، بِحُجَّةِ أنه لم يُرِدْ حجًّا، ولا عمرةً، وأن النبي ﷺ قال في الحديث الصحيح، عن المواقيت: (**هُنَّ لَهُنَّ، وَلِمَنْ أَتَى عَلَيْهِنَّ، مِنْ غَيْرِهِنَّ، مِمَّنْ أَرَادَ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ**)[1]، وأنه لم يُرِدْ حجًّا ولا عُمْرَة، فَلَعَلَّه في هذه الحالة معذور، أوْلَه رُخْصَةٌ في أن يتجاوز الميقات بدون إحرام.

أمَّا الأشياء التي ينبغي لِلْمُحْرِم أن يفعلها عند إرادة الإحرام، فهي مثلاً: التَّنَظُّفُ، وحلقُ شعر العَانة، ونتفُ شعر الإبطين، وقصُّ الشارب، وتقليمُ الأظافر، والتطيُّبُ قبل أن يُحْرِمَ. وهذه كلُّها سُنَنٌ.

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٥٢ ، ١٧٤٨) ، و مسلم (١١٨١) ، و أحمد (٢١٢٩ ، ٢٢٤٠ ، ٢٢٧٢ ، ٣٠٥٦ ، ٣١٣٨) ، و الدارمي (١٧٩٢) .

وأمَّا اللحية، فلا يجوز أن يأخذ شيئاً منها، ولا يجوز أن يتسلط عليها ويحلقها. فإنَّ حَلْقَ اللحية حَرَامٌ، ومُخَالِفٌ لِهَدي النبي ﷺ، لِفِعْلِهِ، ولأمْرِهِ صلوات الله وسلامه عليه. وإذا أحرم - أي: نوى الإحرام، وعقَد الإحرام - فإنه يُسَنُّ له أنْ يُصَلِّي ركعتين، إنْ لَمْ يكن وقت صلاةٍ فريضةٍ. فإنْ كان وقتَ صلاةٍ فريضةٍ، اكتفى بِهَا. ثُمَّ بعد ذلك يُحْرِمُ - أي: يكونُ إحرامُهُ عَقِبَ صلاتِه -. وتقدم لنا أن الإحرام عقب الصلاة، وأنَّ التنظُّف، والتطيب، وتقليم الأظافر، وأخذ الشعر، كل هذه سُنَنٌ، وليست بواجبة، وفِعْلُها أحسنُ، وأتمُّ، وأكمل، وفيه اقتداءٌ بالنبي ﷺ وحتى لا يحتاج إلى أخذِ شيء مِنْ أظافره، أو شعره، بعد إحرامه، وقبل إحلاله. وقد روي عن عائشة - رضي الله عنها -، أنَّها قالت: (طيَّبْتُ رسول الله ﷺ لإحرامه، ولِحِلِّهِ، قبل أن يطوف بالبيت)[1]. فَعُلِمَ أنَّ التطيُّب بالبدن لا بالثياب، كالرأس، واللحية، والوجه. وأنَّ هذا مسنونٌ. ولو بقي أثرُه، أو ريحُه، بعد الإحرام، فإنَّ هذا لا يضرُّ. وتقدَّم لنا - أيضاً - أنَّ مَنْ أرادَ الإحرام مُخيَّرٌ بَيْنَ الأنْسَاكِ الثلاثة: بَيْنَ أنْ يُحْرِمَ لِعُمْرَةٍ مُتَمَتِّعًا بِهَا إلى الحج، وبَيْنَ أنْ يُحْرِمَ لِحَجٍّ وعُمْرَةٍ، وبَيْنَ أنْ يُحْرِمَ بِحَج مفرد. وأفْضَلُهَا أنْ يُحْرِمَ لِعُمْرَةٍ مُتَمَتِّعًا بِهَا إلى الحَجِّ، وهذا هو أخْيَرُ

---

(١) أخرجه البخاري (١٦٦٧)، و مسلم (١١٨٩ ، .. ، ١١٩٢)، و الترمذي (٩١٧)، والنسائي (٢٦٨٤ ، .. ، ٢٦٩٢)، وابن ماجة (٢٩٢٦)، و أحمد (٢٣٥٩١ ، ٢٤١٥١ ، ..)، و مالك (٧٢٧)، و الدارمي (١٨٠١ ، ١٨٠٣).

الأمرين مِنْ الرَّسُولِ ﷺ، وهُو الذي أمَرَ بِهِ أصحابَهُ، وتَمَنَّى أنْ لَوْ كانَ فَعَلَهُ. ويَلْزَمُ المُتَمَتِّعَ - والحال ما ذكر، دمُ - وهو دَمُ نُسُكٍ. وإنْ لَمْ يستطِعْ، أو لم يَجِدْ الدَّمَ، فَعَلَيْهِ أنْ يَصُومَ عَشْرَة أيام: ثلاثَةَ أيامٍ في الحج، وسَبعَةً إذا رَجَعَ إلى أهله. وصِيَامُ ثلاثة الأيام، مُوَسَّعٌ في وقتها. فله أنْ يَصُومَ مِنْ حِيْنِ أحْرَمَ بِالعُمْرَةِ، حتى ولو كان ذلك في شوال، أو في ذي القعدة. لأنَّ الله ﷻ قال: ﴿ **الحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُوْمَاتٌ** ﴾[1]. فَعُلِمَ أنَّ قَوْلَهُ: ﴿ **فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الحَجِّ** ﴾[2]. يَتَنَاوَلُ أشْهُرَ الحَجِّ كُلَّهَا.

وأيضاً مِنْ أفضلِ ما يفعلُه المُحْرِمُ، هو التلبية. بِأنْ يُكْثِرَ من التلبية، ويجهر بها الذكر. أمَّا الأنْثَى فَتُلَبِّي، ولكن لا ترفع صوتها، ولا سيما إذا كان حولها رجال أجانب. والنبي ﷺ كان يرفع صوته بالتلبية، ويقول: (**إنَّ أفْضَلَ الحج، هو العجُّ والثَّجُّ**)[3] والثجُّ، هو: النحر، والذبح. والعَجُّ، هو: التلبيّة، ورفع الصوت بالتلبية، وهو من أفضل الشعار، وهو هدي النبي ﷺ.

أسأل الله لنا جميعاً حجَّاً مبروراً، وسعياً مشكوراً، وذنباً مغفوراً، وعزاً للإسلام والمسلمين. وأسأله جلَّ وعلا بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، أنْ يمنح حجاج بيته الحرام، القبولَ، والمغفرة، والرضوان،

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٩٧.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٩٦.

(٣) أخرجه الترمذي (٨٢٧)، و ابن ماجة (٢٩٢٤)، و الدارمي (١٧٩٧).

وأنْ يَمُنَّ على هذه البلاد بمزيد من الطمأنينة والاستقرار، وأنْ يُمَكِّنَ لها في الخير، وأن يُهَيِّئَ لَهَا التوفيق، والرَّشاد. إنَّه سَمِيْعٌ مُجيب.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد، وآله وصحبه أجمعين..

الخاتمة

وهكذا يرحل العلماء الربانيون، يوماً بعد يوم، في وقتٍ الأمةُ الإسلامية بحاجةٍ إليهم.. بحاجةٍ إلى فتاواهم.. بحاجةٍ إلى إرشادهم وتوجيههم.. فهم اللآلئُ المضيئة في هذه الحياة، كونهم مصابيح الدُّجَى، وأعلام الهُدى. فمِن حياتهم تُستلهم الدروس والعِبَر. وحينما تفقد الأمةُ علماءها الربانيين، فقد خسرتْ روحها وقلبها النابض. وكما قال الشاعر:

الأرضُ تحيا إذا ما عاش عالِمُها
متى يُمتْ عالِمٌ منها يَمُتْ طرفُ
كالأرض تحيا إذا ما الغيثُ حلَّ بها
وإنْ أبَى عَادَ في أكْنَافِهَا التَّلَفُ

ويقول محمد بن الحسين: إذا مات العلماء تحيَّر الناس، ودَرَسَ العلمُ بموتهم، وظهر الجهل.

فهنيئاً للشيخ – إن شاء الله – بما قدَّم من عمل صالح ومِنْ دعوةٍ إلى الله عزوجلَّ، بحكمةٍ وبصيرةٍ، فهو لم يدَّخِرْ جهداً في خدمته لأمته ودينه، فكان جهده وعمله ملموساً على الساحات الإسلامية، فقد كان

ناصحاً عاملاً، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، يألمُ لآلام أمته، ويفرح لِفَرَحِهَا. وكما جاء في الحديث المتفق عليه عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **(إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلانًا فَأَحْبِبْهُ. فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ. ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الأَرْضِ)** [1].

نعم.. لقد كانت جموع المشيعين لجنازة العلامة الشيخ / ابن غصون، دلالة أكيدة – إن شاء الله – على القبول الذي وضع للشيخ، ومحبة المسلمين لهذا العالِم، فخرجوا علماءَ وطلابَ علمٍ، عامَّةً وخاصَّة، صغاراً وكباراً، ماشين وراجلين، في جنازة الشيخ، باكية عيونهم، متأثرةٌ نفوسهم، من رحيل الشيخ، فَخَرَجُوا وألسنتهم تلهج بالدعاء وطلب الرحمة والغفران والعتق من النيران، للشيخ. فرحمه الله رحمة الأبرار، وجعله مع البررة الأطهار. وإن العين لَتَدمع، وإن القلب لَيَحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا.

وفي الختام لا يسعني إلا أن أدعو لشيخنا بالرحمة والغفران، والعتق من النيران، وجميع موتى المسلمين، وأسأله جلَّ جلاله وتقدَّستْ أسماؤه، أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم، راجياً من المولى سبحانه

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٣٧) ، ومسلم (٢٦٣٧) ، والترمذي (٣٠٨٥) ، وأحمد (٧٥٧٠ ، ٨٢٩٥ ، ٩٠٨٨ ، ..) ، ومالك (١٧٧٨) .

وتعالى أن يغفر لي الخطأ والزلل، وأن يتجاوز عن التقصير والخلل، وأن يثيب كل من كان سبباً في نشر هذا الكتاب، وأن يوفقني وجميع إخواني المسلمين لفعل الخيرات، وترك المنكرات. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

أبناء فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين
رحمه الله

الرقم :
التاريخ : ٥١ / ٤ / ١٤٢٢ هـ
المرفقات :

المكرم سعادة مدير عام المطبوعات بوزارة الإعلام حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

فقد اطلعنا على النسخة المعدلة من كتاب " ١٤ علما مع سماحة العلامة الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله ـ مواقف وذكريات " الذي جمعه وألفه الشيخ عبد الكريم بن صالح المقرن والذي تكلم فيه المؤلف عن والدنا فضيلة الشيخ محمد ـ رحمه الله تعالى ـ وإننا نود أن نفيد سعادتكم بأننا لا مانع لدينا من طباعة هذا الكتاب ونشره ، شاكرين لكم تعاونكم واهتمامكم وتقبلوا أفر التحية والتقدير .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أخوكم

عبدالله بن محمد الصالح العثيمين

المملكة العربية السعودية - القصيم - عنيزة - رمز بريدي ٨١٨٨٨ - ص.ب ١٩٢٩ - هاتف ٣٦٤٢١٠٧ - فاكس ٣٦٤٢٠٠٩

١٤ عاماً

مع سماحة العلاَّمة

محمد بن صالح بن عثيمين

كـتبـه

أبو خالد/ عبد الكريم بن صالح المقرن

المقدمة

الحمد لله الذي رفع أهل العلم والإيمان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، إمام الهدى وقائد العلماء، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أولي النُّهى، وسلَّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين. أما بعد..

رموزٌ أولئك الرجال الذين تحبهم الأمة فتصدر عن آرائهم وعِلمهم، وتضع ثقتها بهم، ويوضع لهم القبول في الأرض، فتَدِينُ الأمةُ لربها بطاعتهم والاهتداء بعلومهم. ومن هؤلاء: سماحة الشيخ الفقيه العلامة المفسِّر الأصولي المدقق الحبر الفهامة الزاهد العابد، أبو عبد الله محمد بن صالح بن عثيمين، نجم ساطع من نجوم العلوم، ومنجمٌ من مناجم الفقه، إذا ذُكر اسمه ذُكر العلم والفقه والأصالة، والدليل والتحليل والتحقيق، عُمقٌ في العلم، وصِحَّةٌ في الاستدلال، ووضُوحٌ في المنهج، وقوةٌ في الاستنباط، ودماثة في الأخلاق، وبساطة في التعامل، هيِّن ليِّن، زاهدٌ متزهدٌ، لم تغرَّه الشهرة، ولم تفتنه الدنيا، عاش حميداً، ونسأله تعالى أن يكون شهيداً.

وقد منَّ الله عليَّ بملازمة شيخنا في برامجه الإذاعية، فكان الأب المشفق، والعالم الحنون، والمربي الفاضل، استفدت منه كثيراً، من علمه، وخلقه، وتعامله، وصبره، وجهاده. فقد كان مدرسةً في ذلك كله.

رأيت فيه سيرة السلف الصالح في الزهد والتواضع والبعد عن زهرة الحياة الدنيا، وفي العلم والتعليم، وقضاء حوائج المسلمين، مع ورعٍ وتُقىً، وعبادةٍ وجهادٍ، فكنت خلال سنوات لُزومي له، تَمُرُّ المواقف العظيمة أمامي، فتحفِرُ في قلبي حُبَّهُ وإجلاله.

صَبرٌ في التعلم، وصبر في التعليم، وجهادٌ في التبليغ، صدقٌ في الوعد، وفاء بالعهد، دقة في استغلال الوقت.

عاش في عصر متلاطم بالفتن، فكان كالطودِ الشامخ، راسياً لا يتزعزع، ثابتاً على المبدأ والحق.

تلك صفات العلماء الربانيين، يُجاهدون حتى يأتيهم اليقين مع صبر واحتساب.

ولَكَمْ قطعتُ طريق القصيم مراراً، والشوق يحدوني لِلِقَاء الشيخ لكي أنهل من معين متدفق، وأتعلم من مدرسة الأخلاق والفضائل والمكارم. ولأنَّ الكثير ينعم بسماع صوته ودروسه، وكلماته الناصحة، فلقد كنتُ أنعم برؤيةِ ذلكم المحيا، الذي أسأل الله أن

يُحَرِّمه على النار، ووالدينا وعلماءَنا والمسلمين أجمعين. . ابتسامةٌ حانيةٌ. . وكلمةٌ طيبةٌ تُنْسيني مشاق الطريق، وتُهوِّن عليَّ درب السفر.

أرى محيَّاه، فأرى البِشْرَ والطلاقة. . وأسمع كلماته فإذا هي البلسم الشافي. وإذا قرأتُ عليه الأسئلة، أرى في قسمات وجهه النُّصح والشفقة لأمة محمد ﷺ.

أرى وأشاهد همَّ العلماء والربانيين في تبليغ العلم، وأسمع ما يشفي الغليل، ويروي الظمآن، ويُغيث العطشان. .

تلك أيامٌ لا تُنسى، ومواقف لا تُطوى من ذاكرتي. . وكم كان هولُ الخبر لَمَّا سمعتُ بِمَرضه، غير أنني لما رأيت منه الصبر والاحتساب، والتجلُّد والرضا بقضاء الله، راح عني كثيرٌ مما كنت أجده من هول المصيبة. .

وفي يوم الأربعاء، الخامس عشر من شهر شوال من عام ١٤٢١ هـ، ودَّع الشيخ الدنيا، دار التعب والنصب، وأفضى إلى ما قدَّم. وأسأله تعالى أن يجعل مثواه الجنة، وأن يرفع درجاته في عليِّين، وأن يجزيه عن المسلمين خيراً.

كانت وفاته صاعقة وفاجعة لي، كيف وأنا أعدُّ نفسي أحد أبنائه، ويعدُّني كذلك، فكان الخبر بالنسبةِ إليَّ لا يكاد يُصدق، ولكن مما استفدته من شيخنا: الإيمان بالقضاء والقدر والتسليم والرضا، فكان

ذلك سبباً في تخفيف المصيبة. ومن الموافقات أنه جاءني الخبر وأنا في عُنيزة، تلك البلدة الطيبة التي أَقْدُمُها دائماً لِلِقَاء الشيخ.

فلله الحمد على قضائه وقدره، ولا نقول إلا ما يُرضي ربنا تبارك وتعالى، و إنا على فراقك يا أبا عبد الله لَمَحْزُونون. .

وبقي في القلب حزنُه وكمدُه، كلما سمعتُ صوته تجدَّدت الأحزان، ودمعت العين، واعتُصِرَ القلب، أسىً على الفراق، فكانت هذه الأسطر تخليداً لمواقف عايشتها مع شيخنا، قد يكون غيري سمع بها أو شاهد مثلها، فالشيخ مدرسة، ولكنها كلماتُ مكلومٍ ومحزونٍ، يرى من الواجب عليه أن يدوِّن ما رآه وشاهده خلال رحلته مع الشيخ طوال سنوات مضت، لِتَكُون معالم في الطريق. وإنه لَمِنَ المفيد للأمة دراسة سيرته، وإظهار مكارمه وفضله، لِيَبْقَى لعلمائنا مكانتُهم، ولِيُقْتَدَى بهم.

فَرَحِمَك الله يا شيخنا رحمة الأبرار، وطبت حياً وميتاً.

كتبه / أبو خالد عبد الكريم بن صالح المقرن.

الرياض ٤/٢/١٤٢٢هـ

سيرة الشيخ ابن عثيمين
- رحمه الله -

اسمه ونسبه:

هو الإمام العلامة المفسر الفقيه الفرضي الأصولي الحبر الفهامة، أبو عبد الله محمد بن صالح بن محمد بن سليمان بن عبد الرحمن بن عثيمين، وينتهي نسبه إلى الوهبة، من تميم القبيلة المعروفة.

مولده:

ولد - رحمه الله - في عنيزة، في ٢٧ من شهر رمضان عام ١٣٤٧هـ.

نشأته:

قرأ القرآن الكريم على جدِّه من جهة أمه عبد الرحمن بن سليمان آل دامغ، فحفظ القرآن عن ظهر قلبٍ، وقد آتاه الله ذكاءً وحرصاً واضحاً، مما كان له أثرٌ كبيرٌ في تحصيله للعلم.

تعلَّم الخط والحساب وفنون الآداب. وبدأ طلب العلم على يد المشايخ في عنيزة.

شيوخه..

١ - الشيخ علي الحمد الصالحي - رحمه الله -، وكان من أوائل من طلب العلم على يديه، وكان الشيخ علي - رحمه الله - من تلاميذ الشيخ عبد الرحمن بن سعدي - رحمه الله - وكان يُدرِّس المبتدئين.

٢ - الشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع - رحمه الله -، وهو كذلك من أوائل من طلب العلم على يديه، وكان الشيخ / عبد الرحمن بن سعدي - رحمه الله - قد أوكل إليه تدريس صغار الطلاب، فقرأ على الشيخين العقيدة والفقه ومنهج السالكين.

٣- الشيخ عبد الرحمن بن علي بن عودان - رحمه الله -، قاضي عنيزة، قرأ عليه في الفرائض والفقه.

٤ - الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله -، صاحب أضواء البيان، درس عليه بالمعهد العلمي في الرياض.

٥- سماحة العلامة الشيخ / عبد العزيز بن عبد الله بن باز - رحمه الله -، وهو شيخه الثاني، قرأ عليه في المعهد العلمي وفي دروس خاصة بالرياض.

٦- شيخه صاحب الفضيلة الشيخ العلامة / عبد الرحمن بن ناصر السعدي – رحمه الله – وهو الشيخ الذي لازمه وتأثر به تأثراً بالغاً وقد خلفه في الإمامة والخطابة و التدريس في الجامع الكبير في عنيزة.

دراسته:

درس الشيخ - رحمه الله - في المعهد العلمي في الرياض عام ١٣٧٢ هـ بمشورة من الشيخ علي الصالحي، وبإذن من شيخه عبد الرحمن بن سعدي، ثم في كلية الشريعة بالرياض مُنتسباً، ورجع إلى عنيزة لإكمال دراسته على شيخه العلامة / عبد الرحمن بن سعدي - رحمهما الله -.

أعماله:

عين مدرساً في معهد عنيزة العلمي. ثم في كلية الشريعة وأصول الدين بالقصيم.

وقد أصدر سماحة الشيخ / محمد بن إبراهيم - رحمه الله - أمراً بتعيينه رئيساً لمحكمة الأحساء، لكنه طلب الإعفاء فأُعفي، ثم استمر مدرساً بالمعهد العلمي.

تدريسه :

بدأ الشيخ - رحمه الله - التدريس في ١٣٧١هـ في حياة شيخه ابن سعدي - رحمه الله -، وبعد وفاة شيخه عام ١٣٧٦هـ تولى التدريس في مكتبة عنيزة التي كان الشيخ ابن سعدي يلقي فيها دروسه، وفي الجامع الكبير إلى وفاته - رحمه الله -.

ودرَّس في المسجد الحرام من عام ١٤٠٢ هـ إلى آخر ليلة من رمضان من عام ١٤٢١هـ، ودرَّس في الرياض وفي كل مكان يحلُّ فيه، إذ كان محطَّ أنظار المسلمين واحترامهم. .

منهج سماحة الشيخ - رحمه الله - :

لقد تخرَّج سماحة العلامة الشيخ / محمد الصالح العثيمين - قدَّس الله روحه - من مدرسة العلامة الكبير الشيخ / عبد الرحمن ابن ناصر السعدي - رحمه الله -، ومن مدرسة العلامة الكبير سماحة الشيخ / عبد العزيز بن باز - رحمه الله -. فجمع بين أصالة العلم في

الكتاب والسنة، وتأصيل العلوم الشرعية. فكان منهجه منهجاً فريداً في العلم والتعليم، والدعوة والفتوى.

وكانت نتائج هذا المنهج نتائج عظيمة، كان لها الأثر العظيم على أمة الإسلام، **ومن تلك الآثار العظيمة ما يلي:**

الأول:

نشر التوحيد والعقيدة الصحيحة. فقد اهتم - رحمه الله -بنشر عقيدة السلف، وألَّف المؤلفات القيمة التي تؤصل العقيدة. فكانت تلك المؤلفات منهجاً فريداً في تقرير عقيدة السلف بأسلوب لم يسبق له مثيل، بوضوح العبارة وعمق الدلالة. وقد درس كتب العقيدة، وسعى في شرحها، وبيان ما يضادها من الشركيات والبدع والخرافات. . وقد كانت شروحه بحق تأصيلاً لِعِلْمِ العقيدة. فَرَحِمَكَ اللهُ يا أبا عبد الله رحمة واسعة. .

الثاني:

نشر الدعوة إلى الله عز وجل، وتشجيع الدعاة، وتوجيههم، وبيان أهمية الدعوة من خلال الكتاب، والشريط، والمحاضرة، والكلمة النافعة.

الثالث:

الاهتمام بالدليل والتحقيق دون التعصُّب المذهبي. فقد كان فقيهاً متبحِّراً في الفقه المبني على الدليل، متحرِّراً من التعصُّب للمذهب، داعياً إلى تعلُّم العلم والفقه، والاستفادة من كتب الفقهاء، آخذاً بالدليل بعيداً عن التعصُّب المقيت..

وهو بحق مؤصِّلُ الفقه في هذا العصر عبر التقسيمات، وضبط القواعد الفقهية والأصولية، التي تجمع لطالب العلم الفقه، وتسهِّلُ عليه تحصيل العلم.

الرابع:

خلَّف - رحمه الله - منهجاً فريداً في الفتوى، مبنياً على الأخذ بالدليل من الكتاب والسنة، وإيضاح الحق بدليله. ففتاواه - رحمه الله - مدرسة للعلماء بعده، فهي مرجع في فقه الفتوى. فيها العلم الغزير، والدليل الصحيح، والتعليل الصريح، الذي يَشفي الغليل، ويدلُّ على الحق.. فيها التجرُّد عن اتباع الهوى والتعصُّب.. فيها الاجتهاد المطلق، وعمق العلم، وفصاحة اللسان وبلاغة البيان.

الخامس:

تخرَّج على يديه علماء أبرار، وطلبة علم أفذاذ، ودعاة ومصلحون انتشروا في مشارق الأرض ومغاربها. وهُم عددٌ لا يُحصى. وتلقَّتْ الأمَّة علومه ودروسه بالقبول، وضربت إليه أكباد المركوبات، للنيل من علمه، والاستزادة من فقهه.

السادس:

كان - رحمه الله - مثالاً للعالم الناصح، والداعية المشفق، يحرص على بيان الحق، والأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكر. كان بصيراً بأحوال الأمة، ومطلعاً على جراحاتها. كان يقول الحق، وينصح الأمة، بالحكمة والموعظة الحسنة، بعيداً عن التشهير والشهرة..

السابع:

خلَّف الشيخُ - رحمه الله - تُراثاً علمياً أثرى المكتبة الإسلامية، مِن مؤلفاتٍ، وشروحٍ، وفتاوى، ورسائل بلغت العشرات من المجلدات، وكذلك الآلاف من الساعات الصوتية، على شكل

دروس علمية، وفتاوى، ومحاضرات، وبرامج إذاعية. فهي تراث مجيد لذلك العالِم الفريد.

الثامن:

كان - رحمه الله - مدرسةً في الأخلاق، والفضائل، والزهد والورع، مثالاً للعالِم الذي لم تغرَّه الشهرة، ولم يتغيَّر من علُوِّ المكانة.

منهجه في التدريس:

سلك الشيخ - رحمه الله - مسلك شيخه الشيخ العلامة / عبد الرحمن بن سعدي - رحمه الله -، فكان تدريساً فريداً من نوعه، مبنياً على الدليل والتعليل، وتوضيح العلم بالأمثلة والمعاني.

وكان — رحمه الله - يكلف طلابه بالبحوث وتحرير المسائل ويسألهم ويُناقشهم، ويدرِّبُهم على الاستنباط والاستفادة، ويستشيرهم في اختيار الكتاب الذي سيشرحه لهم، ويدرِّبُهم على الدعوة وإلقاء المواعظ والدروس العلمية تهيئةً لهم لنفع الأمة.

وكانت دروسه تمتاز بعمق العلم، وغزارة الفقه، وقوة الاستدلال، ووضوح العبارة. فكانت منافعه لكل من حضرها أو سمعها.

منهجه في الدعوة، وأعماله الدعوية:

لقد اهتم الشيخ - رحمه الله - بالدعوة ونشر العلم وتعليم الجاهلين ووعظ الغافلين، وما حلَّ بمكان إلا وشارك في الدعوة وتبيين العلم بالكلمات والمحاضرات والفتاوى.

وكان منهجه الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة عن علمٍ، وبصيرةٍ، وفقهٍ فيما يدعو إليه، مُتَحَلِّيَاً بالصبر والرفق واللين.

وكان دائماً يوصي الدعاة بذلك ويحثهم على الدعوة..

منهجه في الفتوى:

كان الشيخ عَلماً من أعلام الفتوى في العالم، فهو العالِم النحرير، وله قصب السبق في تحرير المسائل وحسن الاختيار، وفهم الدليل، فكانت فتاواه حجة في قطع النِّزاع ومناراً للأمة.

وكان يعتمد على الدليل وحسن الفهم للأدلة، مع ورع وتقوى ووضوح في العبارة، بعيداً عن الإثارة أو التقوُّل على الله بغير علم، وكثيراً ما كان يتوقفُ لِيُكْمِلَ البحث، ويحرر المسألة، دون استعجال في الفتوى.

الخطابة والإمامة.

بعد وفاة شيخه ابن سعدي - رحمه الله - ، تولى الشيخ الإمامة والخطابة والتدريس في الجامع الكبير في عنيزة ، فكان نِعم الخطيب الذي يُعالج موضوعات الساعة بعيداً عن الإثارة والتشهير ، ملتزماً بمنهج الخطابة والتأثير. وله خطب مطبوعة تدلُّ على سعة علمه واطلاعه.

زهده وورعه وأخلاقه:

لقد زهد الشيخ - رحمه الله - بمظاهر الدنيا ، ولم ينشغل بملذاتها ، بل أقبل على العلم وزهد فيما سواه ، فكان عَلماً في الزهد ، والورع ، والتقوى ، واكتفى بما قسم الله له ، من التدريس والتعليم.

واتصف بصفات العلماء الربانيين ، وبالتواضع والكرم والرفق واللين ودماثة الخُلُق وطلاقة الوجه.

فكل من رآه أحبه ولو لم يسمع منه كلمة واحدة.

تلاميذه.

طلاب الشيخ وتلاميذه لا يحصرهم عد، ولا يحدهم كتاب. فطُلابُه في المعهد، وفي الكلية، وفي المسجد، وفي الحرم، وفي كل مكان، ولعلَّ الله أن ييسر من يقيدهم. وقد أوصى - رحمه الله - بالتدريس لمجموعة منهم من بعدِه.

آثاره العلمية:

للشيخ آثار مطبوعة ومخطوطة ومسموعة فيها علم كثير، ومؤلفاته كثيرة لا تحصر، والأشرطة تربو على ٥٠٠٠ ساعة، وبرامجه الإذاعية وفتاواه أكثر من ذلك، فنسأل الله أن يقيض من ينشرها بين المسلمين.

مؤلفاته:

١- فتح رب البرية بتلخيص الحموية.
٢- تفسير آيات الأحكام (لم يكمل).
٣- تنبيه الأفهام بشرح عمدة الأحكام .
٤- مصطلح الحديث.
٥- الأصول من علم الأصول.

٦- رسالة في الوضوء والغسل والصلاة.

٧- رسالة في حكم تارك الصلاة.

٨- مجالس شهر رمضان.

٩- أحكام الأضحية والذكاة.

١٠- المنهج لمريد الحج والعمرة.

١١- تسهيل الفرائض.

١٢- شرح لمعة الاعتقاد.

١٣- شرح الواسطية.

١٤- عقيدة أهل السنة والجماعة.

١٥- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى.

١٦- رسالة في أن الطلاق الثلاث واحدة ولو بكلمات.

١٧- تخريج أحاديث الروض المربع.

١٨- رسالة الحجاب.

١٩- رسالة في الصلاة والطهارة لأهل الأعذار.

٢٠- رسالة في مواقيت الصلاة.

٢١- رسالة في سجود السهو.

٢٢- رسالة في أقسام المداينة.

٢٣- رسالة في وجوب زكاة الحلي.

٢٤- رسالة في أحكام الميت وغسله.

٢٥- تفسير آية الكرسي.

٢٦- مناسك الحج والعمرة والمشروع في الزيارة.

٢٧- الضياء اللامع من الخطب الجوامع .

٢٨- مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين .

٢٩- زاد الداعية إلى الله عز وجل.

٣٠- حقوق دعت إليها الفطرة وقررتها الشريعة.

٣١- الخلاف بين العلماء أسبابه وموقفنا منه.

٣٢- من مشكلات الشباب.

٣٣- رسالة في المسح على الخفين.

٣٤- رسالة في قصر الصلاة للمبتعثين.

٣٥- أصول التفسير.

٣٦- رسالة في الدماء الطبيعية.

٣٧- أسئلة مهمة.

٣٨- الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع.

٣٩- إزالة الستار عن الجواب المختار لهداية المحتار.

٤٠- شرح أصول الإيمان.

٤١- القول المفُيد شرح كتاب التوحيد.

٤٢- الشرح الممتع على زاد المستقنع.

أولاده:

خلَّف الشيخ - رحمه الله - ذرية صالحة، أسأل الله أن يُبارك فيهم، وفي حياتهم. وأولاده: عبد الله، وعبد الرحمن، وإبراهيم، وعبد العزيز، وعبد الرحيم.

مواقف وذكريات أربعة عشر عاماً مع العلامة ابن عثيمين رحمه الله..

بداياتي مع سماحة الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله، بدأت أواخر عام ١٤٠٥ هـ بداية عام ١٤٠٦ هـ حيثُ كُلفت فور التحاقي بالإذاعة، وبمباركة من المسؤلين، بالبرنامج العالمي الشهير " **نورٌ على الدرب** " وكانت كوكبة العلماء الذين تشرفت بالتسجيل معهم فور التحاقي بالإذاعة هم:

١- سماحة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين - رحمه الله -.

٢- سماحة الشيخ صالح بن علي بن غصون - رحمه الله -.

٣- سماحة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان — حفظه الله ورعاه -.

جاءني تكليف التسجيل من قِبل المسؤولين بالبرنامج فحمدتُ الله وشكرته على هذه النعمة العظيمة التي أولاني إياها، والتي ستجعلني دائماً في موقع قريبٍ من علماء الأمة. حيثُ استأنفت تسجيل البرنامج مع أصحاب الفضيلة العلماء في الرياض، وسجلتُ بعض الحلقات معهم.

أما سماحة الشيخ ابن عثيمين، فقد اتصلتُ به هاتفياً فَوْرَ تكليفي بالبرنامج وبالتسجيل معه، حيث حصلت على رقمه الخاص من بعض الزملاء وقد أخبرته هاتفياً بأنني سأكون معه - إن شاء الله - في تقديم البرنامج، فرحب سماحته بي، وبارك لي هذا العمل، وطلبت منه موعداً للتسجيل، فبادر على الفور بتحديد موعد في منتصف الأسبوع، بعد ذلك تم الاستعداد للسفر إلى مدينة عنيزة. حيثُ طلبت أن يُرافقني مهندس صوت لأنني في بداية عملي الإذاعي، وليس لدي الخلفية الكاملة عن أجهزة التسجيل، فرشحتْ الإذاعة مشكورة معي مهندس صوت من الإذاعة الخارجية، ثم أبلغت الإخوة الزملاء في إذاعة القرآن الكريم بأنَّ سفري سيكون في منتصف الأسبوع، وكنت أتشوق للقاء علامة الأمة الشيخ محمد العثيمين، وأنتظر الأيام بفارغ الصبر، حيثُ تم الاستعداد لهذه السفرة المُباركة، وذلك بتأمين أجهزة التسجيل وجميع ما أحتاجه، وبدأت رحلة الإيمان والخير والعلم إلى مدينة عنيزة، تلك المدينة الغالية التي تحتضن العالم الزاهد الورع ابن عثيمين. غادرنا الرياض متوجهين إلى عنيزة، تحفنا رعاية الله في بداية الأسبوع، حيثُ وصلنا إلى هناك قرابة العاشرة صباحاً، وتوقفنا في شوارعها الهادئة، ننظر يمنة ويسرة إلى المارة، فكانت مدينة عُنيزة كعادتها وكما وصفها

عُشاقها، مدينة قابعة في أحضان الطبيعة، يفوح منها عبق الماضي، وذكريات الآباء والأجداد، فكانت نسمات هوائها العليل تُلطف أجسامنا وكأنها فرحة بقدومنا، ووقفت أنا وزميلي نستطلع المارة في أحد شوارعها النظيفة لنسأله عن منْزل الشيخ، وكنا متحرجين من السؤال لأن بيت الشيخ علمٌ من الأعلام، ولكن حفاظاً على الوقت، استوقفنا أحد الشباب الذي تبدو على ملامحه علامات الجد والوقار لنسأله عن منْزل الشيخ، فتبسم الشاب لأنه قرأ في وجوهنا أننا ضيوف على هذه المدينة، فقال على الفور: الإخوة من الرياض ؟ فقلنا: نعم، نحنُ من الإذاعة. فازداد ترحيبه بنا، وطلب منَّا التفضل معه إلى منْزله أو تقديم أي مساعدة، فشكرناه على ترحيبه وطلبنا منه وصفاً لبيت الشيخ فأعطانا وصفاً دقيقاً لبيت الشيخ، كنا ندونه على ورقة معنا، ثُم ودعناه شاكرين له حسن صنيعه. وصلنا إلى منْزل طيني على شارعين، تظلّلُه السكينة وتغشاه الرحمة، حيثُ نزلتُ من السيارة واقتربتُ من باب الشيخ وطرقته، فخرج إليَّ الشيخ بجبهته المضيئة وابتسامته المشرقة، فسلَّمتُ عليه، وردَّ عليَّ بأحسن منها، حيثُ أدخلنا إلى المجلس وجلس معنا دقائق نتجاذب أطراف الحديث، **فكان يسألنا عن موعد وصولنا، وهل خالف علينا شيء في الطريق، وعن تكليفي بالبرنامج، وعن دراستي، وأشياء أخرى. ثم أوصانا -**

رحمه الله - ببعض التوجيهات التي منها العناية بالبرنامج وبحلقاته، لِمَا يحمله هذا البرنامج من علم ودعوة، وهدى، وخير، وإصلاح، وتوجيه للمسلمين. فكانت كلماته نبراساً لنا في بداية الطريق.

أحضر الشيخ القهوة والشاي والتمر والماء، حيثُ تناولنا مع فضيلته ما قدَّم، وبدأنا تسجيل الحلقات الأولى من برنامج "**نورٌ على الدرب**"، حيثُ كان سماحته من ضيوفه، فكم من سؤال كتب إليه يُسأل فيه عن مهمات الدين، فكانت الإجابة سديدة مبنية على الكتاب والسنة، في تفصيل دقيق، وبحث مفيد. وكم كانت مدة البرنامج جواباً لسؤال واحد أو سؤالين من بحر متدفق، أدلة واستدلال، وفقه في منهج الفتوى قلَّ أن تَجِدَ لَهُ نظيراً، لا يسأم من كثرة الأسئلة. بل كلما كثرت الأسئلة، تدفقتْ الإجابة بأسلوب مميز لا يعرف الكلل ولا الملل، وكم كان التسجيل متواصلاً بعد يوم مليء بالعلم والتعليم، والدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والسعي في حاجات المسلمين، فكان سماحته حريصاً على هذا البرنامج لما فيه من الخير والهدى والصلاح وإفادة المسلمين. وكم كان مهتماً بالتسجيل رغم الظروف التي تمر به. فكيف وهو عالم الأمة، إليه تضرب أكباد الإبل لينهلوا من علمه وفقهه وحكمته وأصالته. وكم هو محبوب يوم الخميس لكثير من مستمعي إذاعة القرآن الكريم

ليزدادوا من علم الشيخ رحمه الله، تلك العبارات العلمية، والكلمات التوجيهية، والأدلة القولية والفعلية، نصائح وتوجيهات وتنبيهات وتصويبات. فرحمك الله يا شيخنا رحمة الأبرار، وجعلنا وإياك من عباده المصطفين الأخيار. آمين..

سجَّلنا في الرحلة الأولى لسماحته ست حلقات في اليوم الأول: أربع حلقات في الصباح، وحلقتان بعد العصر وفي اليوم الثاني سجلنا ست حلقات، وأضفنا تسجيل حلقتين في المساء، فكان مجموع ما سجلناه أربع عشرة حلقة، لا تزال في الذاكرة، مدة كل حلقة نصف ساعة، ورأيتُ في بداية مشواري كيف يكون صبرُ العلماء، وجَلَدِهم على كلِّ ما فيه إفادة المسلمين بِعِلْمِهِم. وكانت هذه الحلقات لا تزال في الذاكرة لأنه اللقاء الأول بسماحته، فكان هذا التسجيل يحمل معاني كثيرة، وذكرياتٌ عطرة، وأياماً تُسجَّل بِمِداد من ذهب، مع عالم الأمة سماحة الشيخ ابن عثيمين. في هذه الرحلة رأينا حِرْصَ الشيخ على إكرامنا والعناية بنا، كما هي عادة سماحته مع كل من يقدم عليه لزيارته أو لسؤاله أو لقضاء حاجته، حيثُ طلب مِنَّا سماحته المبيت عنده، أنا وزميلي مهندس الصَوت، لكنني أخبرت سماحته بأننا سنسكن في أحد الفنادق القريبة من منْزله، وعندما رأى سماحته رغبتنا في ذلك سمح لنا، قضينا مع الشيخ - رحمه الله -

يومين كنا في غاية السعادة والأنس لرؤيتنا العالِم الورع ابن عثيمين - رحمه الله- والذي كنا نتشوق لرؤيته، وفي ختام الأيام المقررة للتسجيل. ودَّعنا الشيخ عند باب منْزله الطيني، أنا وزميلي مهندس الصوت، وقلوبنا حزينة على مفارقته، فقد أحببتُه فور مشاهدتي له، فكان سماحته يدخل في قلب كلِّ مَنْ يراه أو يسمعه. وودَّعنا الشيخ وقبلنا رأسه، ودعا لنا أنا وزميلي مهندس الصوت دعوات مباركات حيثُ قال: أستودع الله دينكم وأمانتكم وخواتيم عملكم. انصرفنا من عند الشيخ وألسنتنا تلهج بالدعاء للشيخ على ما لقيناه من كرم الضيافة، ولطف التعامل، وحسن الخلق. انطلقت بنا سيارتنا بعد مغرب ذلك اليوم صوب مدينة الرياض. حيثُ كنا نحمل علماً نافعاً وُثِّق وسُجِّل بأشرطة (ريل). ثم وصلنا إلى الرياض، وهناك في الإذاعة تم تجهيز حلقات الشيخ الجديدة وأدخلت عليها الشارة، وأُدخلت إلى المكتبة لتأخذ دورها في البث يوم الخميس بعد الساعة التاسعة والنصف مساءً، وما أن أُذيعت الحلقات الجديدة لسماحته حتى انهالت عليَّ المكالمات مباركة ومُهنئة على تقديمي وعلى تجربتي الناجحة مع أصحاب الفضيلة العلماء، حيثُ حققتْ حلقات سماحته قبولاً عظيماً، وتميزاً عرفني به مستمعو إذاعة القرآن الكريم. توالت العطاءات في هذا البرنامج وزادت رسائله، حيثُ كان للشيخ محبوه

ومستمعوه في الداخل والخارج، وكان هذا من خلال الرسائل التي تصل إلى البرنامج موقعةً وموجهةً باسم الشيخ، حيثُ تميز سماحته بمعالجة القضايا العقدية، فكان بحراً من بحار العلم لا تكدره كثرة الدلاء، يَرِدُه الحائرون، فيصدرون وقد نهلوا و ارتووا من علم، وهدى، وصبر، وحكمة، وفقه، دين، وورع في الفتيا.

مرَّ شهران على التسجيل الأول، وقد تعلمت كيفية استعمال أجهزة التسجيل، بمباركة ومساعدة من الزملاء الكرام مهندسي الصوت، حيثُ أخذت دورة كاملة تعرفت من خلالها على طريقة تسجيل الصوت، وضبطه، وتركيب الأشرطة، وإعادة التسجيل، ولف الشريط، وجميع ما أحتاجه في العمل الإذاعي، عندها استلمت جهاز تسجيل خاص بي وهو المعروف بـ (جهاز الناقرا) حيثُ بدأت أسجل اللقاءات والندوات بمفردي. شارفت الحلقات الأولى على الانتهاء، فكان الترتيب الثاني مع سماحته، حيثُ تم أخذ الموعد بعد ثلاثة أشهر. واستمر هذا الترتيب مع سماحته حتى قبل وفاته. وتم السفر إلى سماحته للمرة الثانية في منْزله الطيني، وسجلنا خلاله اثنتي عشرة حلقة، وكان لسماحته محاضرات في فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية يومي السبت والأحد، فخصَّص لي أيام: الاثنين، والثلاثاء، والأربعاء، فكنت أحضر في هذه الأيام،

نبتدئ يوم الاثنين في تمام الساعة التاسعة صباحاً، حيثُ تعلمت من فضيلته كيف كان احترامه للوقت ودقته في الموعد، فالعلماء أوقاتهم نفيسة، فهم مضرب المثل في حفظ الأوقات، واستغلال الثواني والساعات، اغتناماً للساعات، ونفعاً للأمة، ونشراً للعلم والسنة، فقد كان سماحته – رحمه الله – مضرب المثل في ضبط الوقت والاعتناء به، فقد كان صادق الوعد، حافظ العهد، دقيق الموعد. وقد كانت حياته جداً وجهاداً، وعلماً وتعليماً، ودعوةً وإفتاء، وفقهاً وتأليفاً، وما هذا العلم المبثوث في الأشرطة والإذاعات والكتب والرسائل إلا ثمرة استغلال الوقت والدقة في الانتفاع به، فرحم الله الشيخ. كم كان حريصاً على نفع الأمة بوقته.

كنتُ أقرع الباب الساعة التاسعة تماماً، فيفتح سماحته الباب، فأُسلِّم عليه، ويردُّ بأحسن منه، وأقبِّل رأسه، ويأذن لي بالدخول، ثم يُخرج ساعة من جيبه، وينظر إليها، ويقول: على الموعد يا أبا خالد.. جزاك الله خيراً..

بدأت هذه الرحلة الإيمانية مع سماحته - رحمه الله - وكان حريصاً على هذا البرنامج، وحلقاته، وعدم انقطاعه، فكان لا يتوانى في نشر الخير، وتبليغ العلم والدعوة إلى الله، واستمر سماحته - رحمه الله - مواصلاً لتسجيلاته الإذاعية في منْزله القديم.

كان التسجيل للحلقات الأولى في منْزل الشيخ القديم في مجلس كبير، فُرِشَ بِقِطَعٍ من الزل المتواضع، حيثُ كان سماحته - رحمه الله - إماماً في الزهد والتواضع، فكان يجلس في ركن من أركان المجلس، ويقُربِ هذا الركن موقد نار توضع حوله أواني الشاي والقهوة، كما نُسميه نحنُ "الوجار"، فأجلس قريباً منه، ويتم توصيل لاقطات الصوت لفضيلته حيثُ أصبح لدي خلفية كاملة عن جهاز التسجيل، وهذا في عام ١٤٠٦هـ. وقد تخلل هذا التسجيل مع سماحته بعض المواقف والذكريات التي لا تُنسى، **ومن هذه المواقف:**

☜ أن الله عزَّ وجلّ أكرم الشيخ - رحمه الله - ومنحهُ قدرة على التحمُّل والصبر من أجل تبليغ الدعوة، فكان لا يمل ولا يكل أثناء التسجيل، فكان يُسجل من التاسعة صباحاً وحتى الثانية عشرة ظهراً، وكان يحرص على إيقاف التسجيل فور سماعه الأذان، وكان يردد مع المؤذن جمل الأذان ويدعو بالدعاء المشروع بعد الأذان، ثم نقوم لأداء صلاة الظهر، ونعود لمواصلة التسجيل للبرنامج، ونُسجل ما تيسر قبل العصر، ثم نواصل التسجيل بعد صلاة العصر، ثم بعد المغرب يستأنف الشيخ درسه في المسجد، وحتى بعد صلاة العشاء. وكان سماحته يحرص على الذهاب إلى المسجد ماشياً على قدميه آخذاً

بالسنة. وكان سماحته يحرص أثناء التسجيل على تلطيف الجو، وذلك بتناول الشاي والقهوة من زمزميات توضع حولنا.

☜ من المواقف أنني طلبت منه ذات مرة أن أوصله بسيارتي إلى المسجد فاعتذر الشيخ قائلاً: سأمشي على قدمي يا أبا خالد.

☜ من المواقف أن سماحته - رحمه الله - كان حريصاً على كثرة السلام، فعند دخوله كان يبدأ بالسلام، وعند خروجه، وفي كل أحواله، فكان يحرص على هذه الشعيرة، ويبدأ الناس بالسلام، لعلمه الواسع بما لهذه الشعيرة من فضلٍ عظيم وأجرٍ كبير. ومن ذلك أنه كانت هناك محاضرة للشيخ في فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم، وذلك في فصل الصيف، حيث طلب مني سماحته بعد التسجيل لبرنامج " نورٌ على الدرب " وذلك في حوالي الساعة العاشرة والنصف صباحاً، أن أُهيئ سيارتي للذهاب إلى الجامعة، وذلك لإلقاء محاضرة على طلابها، ومن ثم العودة إلى مسجده لصلاة الظهر، فأحضرت سيارتي عند باب منْزله، وعند ركوبه دعا بدعاء الركوب، ثم حاول الشيخ إنزال زجاج السيارة الأيمن الذي بجواره، فأخبرت الشيخ أن الزجاج به خلل ولا ينْزل، فقال الشيخ - رحمه الله -: لا بد من إنزاله يا عبد الكريم، لأنني أُريد أن أُسلم على من أقابله من الناس، فرأيت حرص الشيخ

وتحمسه، فحاولت إنزال شيء من زجاج السيارة الذي عن يمين الشيخ، ثم فتحت زجاج السيارة الخلفي، فكنا أثناء مرورنا عند الإشارة والسوق كان يرفع صوته بالسلام على الصغير والكبير، والماشي والقاعد. ثم قال: يا عبد الكريم، لا تحرمنا من الأجر.

☜ ومن المواقف مع سماحته - رحمه الله - أنه كان حريصاً على تطبيق السنة ناصراً لها ذاباً عنها، محارباً للبدعة، محذراً منها. فكان من تطبيقه للسنة: البشاشة والمصافحة والتبسم لمن قابله، آخذاً بالحديث الوارد عن الرسول ﷺ: (**تبسُّمك في وجه أخيك صدقة**)[1]. فكان يحرص على إدخال السرور على المسلمين.

☜ ومن تطبيقه للسنة أنَّنا كُنَّا إذا تناولنا طعام الغداء بعد التسجيل، فكان الشيخ - رحمه الله - يلعق الصحفة، آخذاً بالحديث الوارد، ويشرب الماء ثلاثاً.

☜ وكان سماحته - رحمه الله - زاهداً، ورعاً، نقياً، تقياً، - نحسبه كذلك ولا نُزكي على الله أحداً - بكل ما تحمله هذه الكلمات من معاني الزهد والورع والتقوى، فكان لا يحب المظاهر، ولا الألقاب والمناصب، وكما هو معلوم لدى كثير من المسلمين، فقد

---

(١) أخرجه الترمذي (١٨٧٩).

كان سماحته عضواً في هيئة كبار العلماء، لذلك فقد طلب مني في برنامج: " **نورٌ على الدرب** " ألا أذكر هذا المنصب، وأن أكتفي بتقديمي له بـ " إمام وخطيب الجامع الكبير بمدينة عنيزة، والأستاذ في كلية الشريعة وأصول الدين في القصيم "، فالتزمتُ بما طلبه مني سماحته منذ بدايتي معه وحتى وفاته - رحمه الله- مع أن كثيراً من محبي الشيخ، يسألون ويقولون: لماذا يا أبا خالد لم تذكر بأن الشيخ عضو في هيئة كبار العلماء ؟ فأجيبهم بأن هذه كانت رغبة الشيخ - رحمه الله - رحمةً واسعةً، فقد كان من الزاهدين الورعين - نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحداً -.

☜ ومن زهده أنني ركبت معه عند مسجده في السنوات الأولى من التسجيل في سيارة مازدا بوكس قديمة موديل ١٩٨٢م، وكان يقودها أحد أبنائه، وعند خروجه من المسجد اتجه الشيخ إلى السيارة فتقدم أحد الشباب ليفتح له الباب، فأبى الشيخ إلا أن يفتحه بنفسه، وشكر هذا الشاب ودعا له. ثم فتح الشيخ باب السيارة وأغلقه، ولكن طرف البشت بقي خارجاً، فجاء الشاب مرة ثانية وأخبر الشيخ بأن طرف المشلح مازال خارجاً. فتبسَّم الشيخ، ثم فتح الباب، وأخذ المشلح مرة ثانية إلى داخل السيارة، ثم قال للجميع: السلام عليكم. وانصرف. وأثناء ركوبنا حملتني الذاكرة في هذا المشهد على أجنحة

من الخير إلى موقف آخر لعمر بن عبد العزيز - رحمه الله - : " عندما كان يتفقدُ حوائجَ المسلمين ليلاً في مجلسه ، ومعه صاحبه رجاء بن حيوة ، فانطفأ السراج ، فقام عمر بن عبد العزيز من مجلسه وأصلحه ثم رجع ، فقال له رجاء : يا أمير المؤمنين لماذا لم تعهد إليَّ بإصلاح السراج فأقوم به أنا ؟ فقال : يا رجاء وماذا يضرُّ ؟ ذهبتُ و أنا عمر بن عبد العزيز ورجعتُ وأنا عمر بن عبد العزيز. . ". إنها نماذج مضيئة نقدمها لرجال اشتروا الآخرة ، اشتروا الجنة ، رجالٌ عاهدوا الله على المضي في الطريق الصعبة ، فرحم الله عالم الأمة ، كم ترك لنا من مآثر عظيمة !

☜ ومن المواقف أيضاً : أنني أثناء التسجيل معه في منْزله القديم في أيام الشتاء أخطأت في مفتاح التسجيل حيثُ أدرت المفتاح إلى الخلف ناسياً ، والمفتاح يُرفعُ إلى الأمام للتسجيل ، وبعد ساعة إلا ربعاً انتبهت إلى الخطأ ، فتوقفت ، فاستغرب الشيخ ، فبدأتُ أتصبَّبُ عرقاً خجلاً ورهبة من الشيخ حيثُ لم نُسجل ولا كلمة ، فأخبرتُ الشيخ بما حصل وأنني أخطأت في التسجيل ، فتبسم الشيخ - رحمه الله - وقال : خيراً إن شاء الله. وكانت أيام برد وشتاء قارص ، وأذكر أن الشيخ - رحمه الله -كان متلحفاً بمشلحه وفتح مدفأة كانت عندنا على الغاز.

☜ وفي موقف آخر: بينما كنا نُسجل في منْزله القديم وفي حوالي الساعة العاشرة صباحاً، وأثناء التسجيل سمعنا طرقاً عنيفاً من أحد الأشخاص، حيثُ استمر عدة دقائق فأشار الشيخ بيده أن أتوقف فذهب ليرى من الطارق، وفتح له الباب، و سلم عليه، ودعاه للتفضل، وكان قادماً من إحدى المدن بالمملكة، فدعاه الشيخ للدخول، فاعتذر وانصرف. جلس الشيخ في مكانه لِيُكْمِلَ التسجيل وفتحت الجهاز ولكن الجهاز توقف تماماً عن التسجيل، حاولت أن أُغير وأبدل في الأسلاك، ولكن دون جدوى، اقترب مني الشيخ قائلاً: ما الذي حصل يا عبد الكريم ؟ فقلت: كما ترى يا فضيلة الشيخ. الجهاز أصبح جثة هامدة !! فتبسم الشيخ وقال: خيراً إن شاء الله. أخذت الجهاز لإصلاحه عند محلات إصلاح أجهزة الراديو والمسجلات المنتشرة في مدينة عنيزة، ولكنهم أفادوا أن مثل هذه الأجهزة خاصة، ولا يستطيعون إصلاحها وليس لديهم معرفة بها، استأذنت الشيخ عن ذلك اليوم، وانطلقت إلى الرياض ليلاً، وأذكر أنه في الصباح أحضرتُ جهازاً آخر للتسجيل حيثُ استعرته من الأخ سليمان بن عبد الله اللحيدان – حفظه الله -، وكان يعمل آنذاك في الإذاعة الخارجية مهندساً للصوت، وزودني ببعض اللاقطات وعدت إلى عنيزة، لاستكمال الحلقات حيثُ حضرت إلى منْزل الشيخ، وتم

تسجيل الحلقات المتبقية في المسجل الجديد، ففرح الشيخ ودعا لي بالتوفيق والسداد، واكتشفتُ فيما بعد أن الخطأ في المسجل الأول كان سببه زراً صغيراً لمسته خطأ مني. فرحم الله الشيخ كم تحمَّل مثل هذه المواقف وجدَ واحتسب الأجر من الله في سبيل إيصال العلم وتبليغه للأمة.

☜ ومن المواقف مع سماحته: أنه - رحمه الله - كان مُربِّياً من الطراز الأول، ومعلماً مقتدياً بمنهج الرسول ﷺ. كان يحب المشاورة ويأخذ رأي الآخرين، فكان لا يفرض رأيه على أحد إذا كان في مجموعة. لذلك فقد كان - رحمه الله- حريصاً على دروسه العلمية في المسجد، وعلى طلابه. فذات مرة وصلتُ إلى عنيزة بعد صلاة العشاء، وكنت قد رتبت مع سماحته موعداً لحضوري إلى عنيزة للتسجيل، فدخلت المسجد وكتبتُ ورقة صغيرة للشيخ، مفادها أن مندوب الإذاعة قد وصل ويستأذنكم في التسجيل لبرنامج "**نـــورٌ على الدرب**"، فأرجو الاعتذار من الطلاب إن رأيتم ذلك يا فضيلة الشيخ. فدفعتُها إلى طالب كان أمامي، وطلبتُ منه أن يُعطيها للذي أمامه، حتى تصل إلى الشيخ. وبعد أن وصلت الورقة إلى الشيخ، قرأها ثم قال: يا إخوان هذه ورقة وصلت من مندوب الإذاعة يُفيد بأنه وصل، ويُريد منكم السماح عن بقية الدرس، والاعتذار منكم فما رأيكم ؟ فأبدى الطلاب الموافقة، وقام الشيخ،

فسلَّمتُ عليه وقبَّلتُ رأسه، وذهبنا سوياً بسيارتي إلى منزله القديم، وسجلنا بعض الحلقات لبرنامج "**نورٌ على الدرب**"، حيثُ تناولنا طعام العشاء وواعدني سماحته بعد ذلك بموعد آخر، الساعة التاسعة صباحاً، كما هي العادة.

☜ كانت الحلقات الأولى من برنامج " **نورٌ على الدرب**" وحتى عام ١٤٠٩ هـ تُسجل في منْزل الشيخ القديم، وكان لهذا البيت المبارك معي ذكريات عطرة، حيثُ كنا نُسجل البرنامج وأصوات العصافير وصغارها تغرد، وكأن التسجيل مع سماحته في حديقة غنَّاء أو مزرعة. وفعلاً فقد كُنَّا في حديقة غناء بالعلم والتقوى والمعرفة، فكثيراً ما سألني بعض المستمعين حيثُ يقولون: يا أخ عبد الكريم، نسمع أصوات العصافير وصغارها عند تسجيلك مع الشيخ، فهل هذه مؤثرات من الإذاعة أدخلتْ على التسجيل؟ فأقول: نعم. ولكنها مؤثرات طبيعية في منْزل الشيخ، فكانت أصوات العصافير تزيد التسجيل روعة وجمالاً مع العلم المتدفق الذي يقدمه الشيخ للأمة.

☜ كان الشيخ - رحمه الله -كريماً، جواداً، سخياً، بشوشاً في وجه ضيوفه فكنت أتناول مع سماحته طعام الغداء، وكانت مائدته متنوعة من أصناف النعم والخيرات، ولكنها بعيدة كل البعد عن الإسراف والتبذير، حيثُ كان يُراعي في المائدة التنوع: التمر،

الأرز، المرقوق، السلطة، الفواكه، الحبحب، الشمام، وفي الصيف: اللبن، وغيرها من النِّعَم.

☜ كان الشيخ - رحمه الله - يحرص على طرد الملل عنَّا، ما بين التسجيل والآخر، فكان يدخل السرور علينا من خلال أطراف الحديث الذي نتجاذبه، فيكون الحديث إما عن البرامج الجديدة، أو أحاديث الساعة، أو بعض الرسائل التي كان الشيخ يُشيد بها من بعض المستمعين، حيث كانت بعض الرسائل تحمل أسئلة عَقَدية مهمة، فكان الشيخ يبسط القول والإجابة فيها.

☜ كان الشيخ - رحمه الله - يولي برنامج " **نورٌ على الدرب**" عنايةً فائقة ويقول: هذا البرنامج يا عبد الكريم نفع الله به خلقاً عظيماً . وفعلاً فإنه اسمٌ على مسمى. وكان سماحته - رحمه الله - في الأوقات التي قبل التسجيل تأتيه مهاتفات من بعض مناطق المملكة للسؤال عنه وعن صحته من بعض المشايخ، وطلاب العلم، فكان يسألهم أيام المواسم عن الأمطار في بعض مناطق المملكة وأماكنها، وكان يُسرُّ بسماع هطولها، وكان يُكثر من الحمد والشكر والثناء للمتفضل بها سبحانه وتعالى.

☜ كان للشيخ - رحمه الله - محبوه ومستمعوه من جميع أقطار العالم الإسلامي، فكانت الرسائل تصل موجهة باسمه وكان أصحابها يبدون مشاعرهم تجاه الشيخ وحبهم وتقديرهم له، ولعلمه الواسع الذي نفع الله به. كان طلاب العلم والمستفتون يحرصون على مرافقة سماحته عند ذهابه إلى المسجد ورجوعه من الصلوات ماشياً على قدميه، فكانوا يتبعونه لطرح أسئلتهم عليه، فكان الشيخ عند عودته من المسجد بمَعيتِهِ جمعٌ من الطلاب، هذا يقرأ كتاباً، وهذا يستفسر، وهذا يُريد توجيهاً، فكان سماحته يأخذ أسئلتهم واحداً بعد الآخر. فكان وقته - رحمه الله - علماً وتعليماً وجهاداً وتضحيةً، وكان يُجيب عليهم بعلمه الواسع وسعة صدره، وكنت أصلي في

المسجد القريب من منْزل الشيخ، وبعد صلاة الظهر أنتظره عند باب الملحق الذي نُسجل فيه. وفي ذات مرة أعطاني الشيخ - رحمه الله - مفتاحاً لباب الملحق قائلاً: إذا سبقتني يا عبد الكريم فادخل.. فَرَحِمَهُ الله رحمةً واسعة.

☜ ومن المواقف مع سماحته: أن الشيخ كان لديه محاضرة في الجامع الكبير في بريدة، في عام ١٤٠٨ هـ، وقد طلب مني - رحمه الله - أن نذهب سوياً، وكان موضوعها عن الزكاة. وبعد المحاضرة وأثناء خروج الشيخ من الجامع، تسابق الناس للسلام على الشيخ ومرافقته عند الخروج من المسجد، وإذا بأحد الشباب في سن الخامسة عشرة تقريباً أو السادسة عشرة قد خرج حافي القدمين، وطلب من الشيخ أن يحدثه على انفراد، فاستأذن الشيخ من الطلاب حيثُ سلموا على الشيخ ثم رجعوا، وبقي هذا الشاب يطرح أسئلة على الشيخ حتى وصلنا إلى سيارتي، وركبنا وهو لم ينتهِ بعد، وكان هذا الشاب عنده شيء من الحماس والعجلة، وكان يشكو من والده ويوجه إليه بعض الألفاظ غير اللائقة وكان يستأذن الشيخ ويريد فتوى بأن يخرج من البيت ويهجر والده لأن البيت - كما يقول هذا الشاب - فيه بعض المنكرات، فكان الشيخ - رحمه الله - مطرقاً لحديث الشاب كعادته في معالجته لقضايا الشباب، فكان كالطبيب الذي يداوي مريضه،

حيثُ وجَّه هذا الشاب إلى الصبر والتقوى، وأنه مأجور على صبره واحتسابه لذلك، فعليه أن يدعو لوالده ويتلطف معه، وأن يَبَرَّهُ ويُحْسِنَ إليه ويدعوه إلى نبذِ المنكرات بلطف وهدوء، ووجَّهه ببعض النصائح القيمة والإرشادات النبوية، فكان الشاب يُصغي إلى الشيخ بكل أحاسيسه وكأنه عصفور بلَّله المطر. ثم طلب منه الشيخ أن يزوره في عنيزة بالمسجد، فقبِلَ الشاب وواعد الشيخ. بعد رجوعنا من مدينة بريدة إلى عنيزة ليلاً كنت لا أعرف الطريق، فكان سماحته - رحمه الله - يرشدني إلى الطريق بالإشارة بيده، حتى وصلنا إلى منْزله.

□ □ □

أحكام من القرآن الكريم

كانت بداية هذا البرنامج عام ١٤٠٨هـ، وهو برنامج عُرف من خلال علم الشيخ.. درر ومعانٍ من القرآن الكريم تنحدر من علم الشيخ المفسِّر بأسلوب مُبسط وعلم عميق، وتفسير دقيق مبني على دلالة الكتاب والسنة واللغة وتفسير الصحابة.

فقه القرآن يُنظمه الشيخ في برنامج (من أحكام القرآن الكريم) فوائد ودروس يستنبطها من القرآن العظيم الذي جعله الله هداية للبشرية، وأحكام القرآن الكريم هي ما تتضمنه الآيات الكريمة من الفوائد الدينية والدنيوية والفردية والاجتماعية.

يعيش المستمع لهذا البرنامج جواً إيمانياً مع كتاب الله جل جلاله، مع عالم من علماء الأمة الذين ألقى الله لهم القبول في الأرض ومِمَّن ألان الله لهم العلم، كما ألان الله لداود الحديد. وكم كانت الأمنية أن يكمل الشيخ القرآن كله، ولكن المنيَّة حالت بينه وبين ذلك، فانتهى إلى أوائل سورة آل عمران، وقد كان - رحمه الله- حريصاً على خروجه في كتاب مستقل، فنسأل الله أن يتمم أمنيته وأن يجعله من العلم النافع الذي يدوم به عمله - رحمه الله -.

ففي عام ١٤٠٨هـ، رغب المسؤولون في إذاعة القرآن الكريم أن يكون لسماحته برنامج يومي في التفسير، فعرضتُ على سماحته فكرة الموضوع، فقال – رحمه الله -: أمهلوني لأستخير وأفكر. وبعد فترة أبلغني سماحته بموافقته على أن يكون له برنامج في التفسير، واختار اسماً له هو: (من أحكام القرآن الكريم)، فاتصلت بالمسؤولين في إذاعة القرآن الكريم مهنئاً لهم، ومخبراً بأن الشيخ وافق على برنامجه الثاني في الإذاعة، ففرح المسؤولون كلهم لأن سماحته مكسبٌ كبير للإذاعة، واعتُمد البرنامج في دورة عام ١٤٠٨هـ، وأُدرج البرنامج في الهيكل اليومي، وكان موعده يوم السبت بعد الساعة السادسة والنصف صباحاً.

أخبرتُ سماحته أننا سنبدأ التسجيل للبرنامج الجديد "من أحكام القرآن الكريم"، فسُرَّ الشيخ - رحمه الله - لأنه كان حريصاً على نفع الأمة بعلمه الغزير، حيثُ تم تسجيل الحلقات المطلوبة بعد أن سجلنا برنامج "**نورٌ على الدرب**"، وكان سماحته قد بدأ البرنامج بتفسير سورة الفاتحة، يقف مع كل آية ويستنبط الآيات والفوائد منها، وقد لفت انتباهي أن سماحته قد يستنبط من الآية عشرين فائدة، وهذا يدل على غزارة علمه، وإكرام الله له بالعلم النافع، والعمل الصالح، والتقوى. استمر هذا البرنامج سنوات، كنا نُسجل من خلال

سفرنا للشيخ اثنتي عشرة حلقة، إضافة لبرنامج " نور على الدرب " اثنتا عشرة حلقة، فيكون المجموع أربعاً وعشرين حلقة، حيثُ وضح القبول العظيم للشيخ، فكان المستمعون يحرصون على رصد وقت البرنامج، والاستماع إليه، فكانت الاتصالات لا تتوقف عند بث البرنامج وصار له قبول عند المسلمين، وقد قمت - بفضل من الله ثم باستشارة الشيخ وإذنه - بتفريغ هذا البرنامج ومتابعته وإخراجه بشكل كتاب، حيثُ وافق سماحته، وأخرجنا سورة الفاتحة في كتاب مستقل، بعد إجازة الشيخ للكتاب، ومن ثم إخراج الجزء الأول من سورة البقرة إلى قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾. وقد أكرمنا الله ﷻ بإكمال سورة البقرة كاملة، والكتاب الآن في طريقه للطبع بعد إجازته ومراجعته وأخذ الإذن من أولاد الشيخ حفظهم الله. وقد حصل قبول من القراء على الجزء الأول من أحكام القرآن الكريم، ونفدت طبعته الأولى من الأسواق، حيثُ تولت دار طويق للطباعة والنشر، نشر وتوزيع الكتاب، وكانت موفقة في إخراجه وطباعته. وفور إخراج الجزء الأول من الكتاب اتصل مجموعة من المشايخ وطلاب العلم مباركين وحاثين على مواصلة هذه الخطوة المباركة وعلى إخراج ما تبقى من هذا الكتاب المُفيد، واستمر سماحته

مواصلاً تسجيله للبرنامجين: "نـــورٌ على الدرب"، و "من أحكام القرآن الكريم".

وبعد سنوات من العطاء لهذه البرامج المباركة، رغب المسؤولون في إذاعة القرآن الكريم وبعد القبول العظيم للبرنامج وكثرة طلبات المستمعين، بأن يكون البرنامج يومياً حيثُ عرضنا على فضيلته ذلك، وقد كُلفت للاتصال بسماحته لعرض الفكرة، لكن سماحته - رحمه الله - رأى أن يكون البرنامج حلقتين في الأسبوع، نظراً لكثرة مشاغله وارتباطاته الدعوية، والشيخ - رحمه الله - كان حريصاً على أن يفي بما يعد به، وهذا ما تعودنا عليه من سماحته، فوافق على أن يكون حلقتين في الأسبوع. وبدأت الدورة الإذاعية، وأُدرجت حلقتان للشيخ، حلقة يوم السبت الساعة السادسة والنصف صباحاً، وحلقة يوم الثلاثاء في نفس الموعد. وقد استمر فضيلته في التسجيل حتى بداية الجزء الثالث من سورة آل عمران، فرحمه الله رحمة واسعة كم كان حريصاً على نفع الأمة، وبذل الخير لها!!

سؤال على الهاتف

بدأ هذا البرنامج عام ١٤٠٩هـ، وقد عُرِفَ عن طريق فضيلة الشيخ / محمد بن صالح بن عثيمين - رحمه الله -، فالشيخ - رحمه الله - من أوائل من ابتدأ الإجابة فيه على أسئلة المستمعين بأسلوب محبب إلى النفوس، يردُّ السلام بمثله أو بأحسن منه، يتلطف بالجاهل، ويصبر على جفاء السائلين، وعنت المتعنتين.

فكم من جوابٍ شافٍ شفى غليلاً، وهدى ضالاً، إجابات على معضلات في قضايا متعددة تَرِدُ عليه، فيجد من سأله إجابة شافية ودعوة صادقة.

بحر من العلم لا تكدره الدِّلاء، يرده الحائرون فيصدُرون وقد ارْتَوَوا من علم وهدى، وصبر وحكمة، وفقه ودين، وورع في الفتيا. لطيفٌ بالسائل، بديعٌ في الجواب، علم يتدفق في إجابةٍ تدخل القلوب قبل الآذان. فكم كانت النفوس تشتاق ليوم الاثنين لتُعطر آذانها وقلوبها بسماع تلك الإجابات الفقهية السديدة من عالم مشفق، وأب نصوح، فكم من نصيحة أحسنت حال أسرة، وجمَعتْ بعد فرقة، وردَّتْ بعد ضلالة، فكان "سؤال على الهاتف" بلسماً شافياً،

ونوراً يُنير للأمة مشعل الهداية والتوفيق، وكانت فكرة البرنامج في بدايته، أن أعرض جملة من الأسئلة على سماحته من داخل الأستديو في الرياض عبر الهاتف والشيخ في عنيزة في غرفته حيثُ كانت بدايته في المناسبات كرمضان والحج، ثم جاءت الموافقة في الدورة الإذاعية أن يكون البرنامج أسبوعياً مدته نصف ساعة، استمر هذا البرنامج عدة سنوات بهذه الطريقة، حيثُ رغب الشيخ في تطوير فكرته، وهو أن يفتح المجال للسائلين لطرح أسئلتهم ومحاورة الشيخ عبر الهاتف، أما أسئلة النساء فقد طلب سماحته أن أنقلها له مختصرة وأطرحها بصوتي، حتى تعُمَّ الفائدة، وحتى لا يضيع الوقت، وحتى يكون السؤال مفهوماً لدى الشيخ، ولدى المُستمعين. وقد استجبت لرغبة سماحته، واستمر نجاح البرنامج من دورة إلى أخرى حيثُ وضع القبول لسماحة الشيخ/ محمد - رحمه الله - في الداخل والخارج، وكانت المكالمات تصل منذ الصباح الباكر، يسأل فيها أصحابها عن مهمات الدين، فكان موعد تسجيل البرنامج وعلى مدى سنوات عديدة من التاسعة صباحاً وحتى العاشرة، وكنا نعلن عن موعد البرنامج في بداياته. وكانت صياغة الإعلان كالتالي:

" نود أن نُذكّر الإخوة والأخوات بأن برنامج (**سؤال على الهاتف**) سوف يستقبل أسئلتكم واستفساراتكم يوم الخميس من

الساعة التاسعة وحتى العاشرة، وضيف البرنامج هو فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين. راجين أن تكون الأسئلة واضحة ومختصرة". وشكراً.

كانت هذه الصيغة التي نعلن بها للبرنامج حيثُ كان لإذاعة القرآن الكريم جمهورها العريض، ومحبوها في بلاد الدنيا. ومن محبة المستمعين لسماحته فقد عَلِقَ البرنامج ووقته وموعده في أذهانهم، وأصبحوا يعرفون موعده دون إعلان، فكانوا يتسابقون في صباح كل خميس للاتصال ومسك الخط حيثُ كان هناك أربعة خطوط، تنشغل كلها بالمستمعين الذين يُريدون عرض أسئلتهم على الشيخ، وكنا نأخذها بالترتيب حسب تمكُّن المتصل من مهاتفتنا. فكان سماحته حريصاً على البرنامج محترماً مواعيد المستمعين، فكانت البداية من الساعة التاسعة صباحاً لا تزيد دقيقة ولا تنقص، ففي ذات مرة حضرت كعادتي الساعة الثامنة والنصف وانتظرت مهندس الصوت حتى الساعة التاسعة إلا ربعاً ولم يحضر، فهاتفني المهندس بأنه قد حصل له عارض وأنه في الطريق إلى الأستديو، وخوفاً من التأخر على الشيخ فقد أسرعت للاتصال بسماحته من مكتبي، وذكرتُ له بأن المهندس حصل له ظرف طارئ وقد لا نبدأُ في موعدنا. لأنني أحترم موعد الشيخ وأَعرفُ جيداً مواعيده الدقيقة. فقال سماحته: لا

بأس يا أبا خالد، وسوف نعطيكم دقائق أخرى لأن الغائب حجته معه. وفعلاً جاء المهندس بعد التاسعة بدقائق، وبدأنا التسجيل حتى الساعة العاشرة، حيث كان الشيخ - رحمه الله - يودِّعُنَا بعد ذلك ويقول: جاء وقت برنامج اللقاء المفتوح. ثم يدعو لنا سماحته بالتوفيق والسداد. فكانت دقائقه وساعاته كلها جهاداً ونصيحة وعملاً وتعليماً. كان الشيخ - رحمه الله - إذا سافر قبل تسجيل البرنامج مثلاً يوم الأربعاء خارج عنيزة، هاتفني في مكالمة يذكر فيها أنه بمدينة كذا، وأنه على هاتف كذا. وأذكر أنه حصلت مهاتفةٌ بيني وبينه من عدة مدن في المملكة من مكة، والمدينة النبوية، والرياض حيث ذهب سماحته لإلقاء بعض المحاضرات والدروس هناك، أما عند قدومه للرياض فإنني أذهب للسلام عليه، وتأكيد الموعد.

كان سماحته - رحمه الله - يجيب الدعوة ويُطبق السنة، ويُدخل السرور على من يعرف ومن لم يعرف، وكانت هذه طريقته فيما يستطيعه من بذل الخير للمسلمين، فقد طلبت منه عندما قدم إلى الرياض أن يُشرفني بدخول منْزلي، فاستجاب سماحته - رحمه الله - ، وحدَّد الموعد وتم الاستعداد لهذه الزيارة المباركة من وقت مبكر حيثُ تم توجيه الدعوة لكثير من المشايخ وطلاب العلم، وكانت هذه الدعوة متزامنة مع فصل الشتاء، وقد وضع برنامج مرتب لهذه

الزيارة، روعي فيه الدقة، حيثُ وصل سماحته بعد صلاة العشاء تقريباً بنصف ساعة بعد انتهائه من دروسه في مسجد ذي النورين بحي السلام بالرياض، وصل سماحته إلى منْزلي وكان في استقباله والدي - حفظه الله ورعاه - وإخوتي، ومجموعة كبيرة من المشايخ وطلاب العلم، وأذكر منهم فضيلة الدكتور / ناصر بن عبد الكريم العقل، وفضيلة الشيخ / أحمد بن صالح الطويان، وفضيلة الشيخ / عبد العزيز بن محمد الحامد، وفضيلة الشيخ / عقيل بن عبد الرحمن العقيل، وفضيلة الشيخ / محمد بن علي الصعب، الذي دُعي خصيصاً من القصيم لهذه المناسبة، وقد تكبد مشاق السفر لحضور هذه المناسبة الغالية، وكان الشيخ يعرفه جيداً، وهو من محبي الشيخ، والشيخ من محبيه، وأذكر أنه عندما سلَّم على الشيخ قال له: أنت راعي القصيم؟ ! فتبسم الأخ/ محمد الصعب، وقال: نعم. ومن الذين حضروا المناسبة، الشيخ / خالد بن أمان الله الصاوي، والأستاذ / محمد بن سعيد الصفار، والأستاذ / حمد بن محمد الدريهم، والأستاذ / إسماعيلِ بن محمد البهيجان، وكثيرون لم تحضرني أسماؤهم. وكان عدد المدعوين أكثر من ثلاثين مدعواً من المشايخ وطلاب العلم.

وصل فضيلته وهو يُبارك ويُهلل أثناء دخوله المنْزل. وقد أجريت الاستعدادات لهذه المناسبة في إعداد الأماكن حيثُ فرشت مقدمة المنْزل بالزل، ووضعت خيمة في مدخل المنْزل بجوارها موقد لأدوات الشاي والقهوة، وعند دخول سماحته قال: يا عبد الكريم ما هذا؟ هذا عرس!! فهمستُ في أُذنه قائلاً: يا شيخ محمد، هذا أعظم من العرس. فتبسم الشيخ، وأخذ مكانه بعد أن سلَّم على الحضور، فاقتربتُ من الشيخ قائلاً: بأننا وضعنا برنامجاً للاستفادة من الوقت، فوافق سماحته - رحمه الله - حيثُ بُدأ المجلس بآيات من القرآن الكريم، تلاها الأخ / عبد الله بن عبد الكريم الشايع، ثم كلمة ترحيبية لفضيلة الشيخ / عبد العزيز بن محمد الحامد، ثم تكلم الشيخ / محمد – رحمه الله – حول الآيات التي تُليتْ، وكانت من أول سورة الأنعام، ثم جاء دور الأسئلة، حيثُ أبدى سماحته - رحمه الله - أن تكون الأسئلة التي تُوجَّهُ إليه مكتوبة حرصاً على الوقت، وعدم العشوائية في الطرح وقد تفضل بطرح الأسئلة مكتوبة على سماحته فضيلة الشيخ / أحمد بن صالح الطويان، - أحد طلاب العلم المعروفين والذين لهم جهود دعوية ومشاركات إعلامية في الساحة، والتي منها تحقيق وتأليف وإعداد أكثر من عشرين مؤلفاً، نسأل الله أن ينفع بها -، حيثُ طُرحت مجموعة من الأسئلة من الحضور على

سماحته، وأجاب عليها. وكان بجواره د/ ناصر بن عبد الكريم العقل، الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ومجموعة من المدعوين. وقد حضر بمعية سماحته، أخوه الشيخ / عبد الرحمن بن صالح العثيمين، وابنه الأستاذ / عبد الرحمن بن محمد العثيمين، وبعض المشايخ وطلاب العلم المرافقين معه.

تقدم ابني خالد - وكان في الصف الرابع الابتدائي -، فقبَّل رأس الشيخ. فقال سماحته: هذا خالد؟ فقلت: نعم يا سماحة الشيخ. فدعا له، وقد كان الجو جواً إيمانياً تحفه الملائكة، وتغشاه الرحمة. وقد مضى الوقت سريعاً على الحضور ولم يشعروا به، لِحُبِّهم الشديد للشيخ، وحرصهم على رؤيته. وكان الشيخ بعد إجابته عن الأسئلة وانتهاء البرنامج يسأل ويقول: أين عبد الكريم، نُريد أن نستأذن، فقال له والدي: أبو خالد يا فضيلة الشيخ يرتب مائدة العشاء. حيثُ إننا تأخرنا في تقديم العشاء لظرف طارئ من المطبخ الذي أعدَّ العشاء. قمنا بتجهيز طعام العشاء في صالة منْزلي وقد روعي فيه التنويع والتنظيم، والحمد لله.

ثم دعونا سماحته مع والدي بالتفضل للعشاء، فقام سماحته ذاكراً لله عزَّوجلَّ، ومهنئاً صاحب المنْزل، وجلس في صدر المجلس، وجلس والدي بجانبه، وكان طلاب العلم يتسابقون لنيل شرف القرب

من سماحته، وكان سماحته في غاية الانشراح والانبساط من هذا اللقاء الذي أُعِدَّ له، وكان طلاب العلم يسألون ويطرحون عليه أسئلتهم وهو على المائدة، فكان يُجيب عليهم، والرضا على مُحَيَّاه، وابتسامته المشرقة لا تُفارقه، فكان يُجيب على هذا، ويُحدِّثُ هذا، وكانت ليلة لا تُنسى من ليالي العمر، تسجل بمداد من ذهب وكان والدي يرحب ويدعو، ثم قام سماحته حامداً شاكراً داعياً للمضيف بالخير والبركة والسداد، فأجابه والدي بأن هذه فرصة سعيدة تحققت نرجو أن تتكرر. ثم تناول سماحته فنجان قهوة واستأذن بالانصراف. وأثناء خروجه من المجلس وعند عتبة مقدمة المنْزل لاحظ سماحته أن إحدى عتبات الدرج رفيعة، فطَلَبَ منِّي أن أُضيف درجة أخرى، كي يتوازن الدرج لأنه رفيع، أو معالجة ذلك بالشكل المناسب. فوعدت سماحته بالاستجابة لملحوظاته. ثم خرج سماحته من منْزلي ولسانه لا يفتر عن ذكر الله والدعاء. وودَّعَنا سماحتُهُ أنا ووالدي واخوتي، شاكرين له إجابتُهُ للدعوة، حيثُ كانت الدعوة مساء الأربعاء ليلة الخميس، وفي الصباح الباكر يوم الخميس وقبل تسجيل برنامج سؤال على الهاتف قال سماحته - رحمه الله -: لماذا يا أبا خالد كلفتم أنفسكم أنتم والوالد؟ ليس هذا الشرط الذي بيني وبينك. فقلت: يا سماحة الشيخ، محبتكم في

القلب أعظم، وقدركم أكبر، وجزاك الله خيراً على تشريفك منْزلي وأرجو أن تتكرر هذه الزيارة. فابتسم الشيخ كعادته ابتسامته المشرقة، ودعا لنا بالتوفيق والسداد.

مواقف مؤثرة

☜ في إحدى المرات وبينما كنا نُسجل برنامج "نورٌ على الدرب" ونحنُ في الملحق المُخصص للتسجيل، وعندما سجلنا بعض الحلقات كان هناك صوت عمال يعملون في المنْزل القريب من بيت الشيخ - وهم جيران للشيخ - وكان يبدو أن هناك عامل يُكَسِّر في البُلُك، فدخل صوت التكسير على صوت التسجيل. عندها قام الشيخ ليذهب إليهم لإخبارهم أن يكفوا عن التكسير، فلما وصل باب المجلس رجع قائلاً: يا عبد الكريم من الذي بدأ أولاً؟ قلت: هم يا فضيلة الشيخ. فَمِنْ وَرَعِه وخوفه تَرَكَهُم، وقال: إذاً نؤجِّل التسجيل لبعض الوقت حتى ينتهوا من التكسير. فرحمه الله رحمة واسعة.

☜ في موقف آخر، وأثناء التسجيل ليلاً لبرنامج "نورٌ على الدرب"، أحسَّ الشيخ أن النوم بدأ يأخذ منه، والشيخ - رحمه الله - عنده صبر وجلد وتحمُّل على كل ما فيه نفع الأمة، فكان يدافع النوم، ثم توقف الشيخ عن مواصلة إجاباته، وطلب مني أن أمدَّ لَهُ سلك اللاقطة الميكرفون ليُجيب على الأسئلة وهو واقف، فاستجبت لسماحته وأبدلت لاقطة الصوت القصيرة بأخرى طويلة، وبدأ الشيخ

يُجيب على الأسئلة وهو يمشي في المجلس ذهاباً ورجوعاً لِيَطْرُدَ النوم، حتى أكملنا الحلقات. تلك صفات العلماء الربانيين في حرصهم على نفع الأمة علم وعمل وتطبيق.

☜ وفي موقف آخر في منْزل الشيخ وفي أيام الصيف: كنا نسجل مع سماحته حلقة من برنامج "نورٌ على الدرب"، فلم يكتمل نصاب الحلقات وهي اثنتا عشرة حلقة، حيث بقي ثلاث حلقات، ونظراً لكثرة انشغال الشيخ، وكثرة التزاماته الدعوية ودروسه، قال: سوف نُكمل ما تبقى - إن شاء الله - من الحلقات بعد صلاة العشاء. وفي المساء وبعد صلاة العشاء، كان يُرافقني الشيخ / محمد بن علي الصعب الذي حضر معي لتسجيل الحلقات المتبقية إذ كنت أُقيم عنده ضيفاً أيام إقامتي في بريدة، فكان نعم الرجل الصالح الذي تعرفت عليه من خلال عملي في الإذاعة، وتم تسجيل الحلقات الثلاث المُكَمِّلَة للنِّصاب، وكان الوقت متأخراً بعض الشيء، فاستأذنتُ سماحته بالانصراف والسفر. فقال: لا تُحاول، العشاء قد وضع يا عبد الكريم، ثم السفر. فتناولنا طعام العشاء مع سماحته، ثم قدَّم الحلوى، فناولني الشيخ كريمة بيضاء وقال: يا عبد الكريم كُلْ مِنْ هذا الحَلَى وانتبه أن تأكل أصابعكَ وراءه. . فضحكنا جميعاً. وبعد ذلك ودعنا سماحته في تلك الليلة، وقبَّلنا رأسه وانصرفنا إلى منْزل الشيخ

/ محمد بن علي الصعب، ورُبَّ أخٍ لك لم تلده أمك. فالشيخ / محمد بن علي الصعب، أخٌ لي في الله، يحمل سلامةً في الصدر، ونقاءً في القلب، وطيبةً وأخلاقاً في التعامل، وصدقاً في المشاعر لا يحملها إلا رجلٌ نرجو – إن شاء الله - أن يكون ممن وضع الله لهم القبول والخير في الأرض. تعرفتُ عليه من خلال سفري للتسجيلات مع سماحة الإمام / ابن عثيمين في عنيزة، حيثُ التقيتُ به في مدرسة تحفيظ القرآن الكريم في عنيزة عندما كنت في زيارة لها، وذلك في أوائل عام ١٤٠٩ هـ لتسجيل لقاءات مع الناشئة حفظة كتاب الله في برنامج " ناشئٌ في رحاب القرآن "، وبعد الانتهاء من التسجيل في المدرسة، جاءني الشيخ / محمد بن علي الصعب، فسلَّم عليَّ، وشكر جهودي في الإذاعة، وأخبرني بأنه سعيدٌ بالتعرف عليَّ، وطلب منِّي أن أشَرف منْزله في بريدة. وكرَّرَ دعوته لي، فوافقت، وذهبت معه استجابة للدعوة، حيثُ تناولنا الشاي والقهوة في منْزل والده. وقد أهدى لي بعض الكتيبات والأشرطة التسجيلية، فشكرته على حسن صنيعه. ازدادت علاقتي بالشيخ / محمد بن علي الصعب. أستاذ المواد الشرعية بثانوية تحفيظ القرآن بعنيزة، وزادت علاقتنا الأخوية في الله ﷻ، وكان ساعدي الأيمن عند قدومي إلى القصيم، وذلك في ترتيب اللقاءات البرنامجية في القصيم. ومنذ ذلك الوقت

والشيخ / محمد بن علي الصعب، أخ لي في مدينة بريدة، أجدُ في قربه وفي منْزله الأنس، والراحة، والبشر، والطلاقة، والأخلاق، والتعامل الرفيع. فبادلني الحب والتقدير والشعور وبادلته صدق الأحاسيس، وصدق المشاعر، فكُنَّا أخوين في الله جمعتنا رابطة الأخوة، وهذا أعتبره من فضل الله عليَّ، أن رزقني بمحبة أخ لي في الله، لذلك فقد كنتُ أذهب أنا وأخي محمد بن علي الصعب إلى منْزل سماحة الشيخ ابن عثيمين، في عنيزة، سوياً، حيثُ تعرف على سماحة الشيخ/ محمد بن العثيمين، وكان الأخ / محمد بن علي الصعب، حلقةَ وصْلٍ بيني وبين سماحة الإمام / ابن عثيمين، في ترتيب اللقاءات والمواعيد للبرامج التي أسجلها مع سماحته، وكذلك في بعض الأمور الخاصة التي يطلبها منِّي سماحته: إما للسؤال عن حلقة معينة، أو برنامج. فكان سماحته إذا لم يحدثني هاتفياً، نسَّق مع الشيخ / محمد بن علي الصعب.

☜ وفي ذات مرة وأثناء عودتنا من مسجد الشيخ بعد صلاة العصر، وقد ركب معي سماحته في سيارتي الصغيرة، سألني سماحته: أين الأخ / محمد الصعب؟ فقلت: في منْزله في بريدة. فقال: هذا الرجل يا أبا خالد يملكُ قلباً نقياً طيباً، فهنيئاً لك به. ثم أخبرتُ سماحة الشيخ / ابن عثيمين عن قصة تعرفي على الشيخ /

محمد بن علي الصعب، فتبسَّم الشيخ عندما سمع القصة، وحمد الله على هذه الأخوة الإيمانية، ثم دعا لنا.

سماحة الشيخ واهتمامه بقضايا الشباب

☜ ومن المواقف مع سماحته أن الشيخ - رحمه الله - كان له قبول ومحبة عند كثير من الشباب، فهو محبوب لديهم، يجدون في توجيه سماحته صدق المشاعر والحرص الشديد على توجيههم واستقامتهم على المنهج الرباني، فقد وصلت يوم الاثنين كعادتي الساعة التاسعة صباحاً، وذلك للتسجيل مع سماحته لبرنامج " نورٌ على الدرب "، فسلمتُ عليه وقبَّلْتُ رأسه، ثم قال الشيخ - رحمه الله -: الحمد لله على سلامتك يا أبا خالد، متى الوصول؟ قلت: البارحة. قال: وأين بتَّ؟ فقلت: عند الشيخ محمد بن علي الصعب. ثم أخبرني الشيخ أن التسجيل سيؤجل ساعة نظراً لأن لديه محاضرة في مخيمٍ في البرِّ لطلاب المعاهد العلمية فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. وهذا كان في إجازة نصف العام وأخبرني سماحته أن مندوب المعهد سيصل بعد دقائق، فهل ستذهُب معنا يا أبا خالد ؟ فأنت مُخيَّرٌ: إما أن تذهب معنا كي تستفيد، وإما أن تجلس هنا في الملحق حتى عودتي.

فقلت: بل سأذهب معكم. ركبنا مع سماحته في السيارة وكان يقودها أحد طلاب العلم فقال سماحته: تعرف هذا الأخ؟ فضحك قائد السيارة كأنه لم يعرفني. فقال سماحته: هذا أبو خالد عبد الكريم المقرن، الله ينفع به.. ثم وصلنا إلى مقر المخيم، وقد استقبله مجموعة من الشباب من محبِّي الشيخ، ثم ألقى فضيلته المحاضرة، وكانت عن بعض التوجيهات وبعض القضايا التي تهمُّ الشباب. كما ألقى سماحته محاضرة أخرى في معهد عنيزة العلمي، ألقاها على طلاب المعهد، حيثُ حضر مندوب المعهد إلى منْزل الشيخ، وكنا قد بدأنا التسجيل لبرنامج " نورٌ على الدرب "، فطرق مندوب المعهد الباب، وأشار الشيخ إليَّ أن أتوقف عن التسجيل، وطلب منِّي مرافقتهم للمعهد، فقلت: على الرَّحب والسعة. فذهبتُ مع فضيلته، وكان للشيخ قبول عظيم، فعند مدخل المعهد كان هناك عدد كبير من الشباب، هذا يُسلم عليه، وهذا يُقبل رأسه.. فكان للشيخ هيبة ووقار عند الجميع. ثم بدأت المحاضرة، حيث قدَّم فيها سماحته بعض النصائح والتوجيهات التي كانت لهم زاداً، وضياءً في مسيرة حياتهم، وكان يُناقش الشباب ويُحاورهم، فيقوم هذا ويقعد هذا، وكان النقاش علمياً استفاد منه الجميع، فكانت تلك المحاضرة دليلاً على مدى حرصه على شباب الأمة واستقامتهم. فقد كان - رحمه الله - معلماً،

ومربياً، وموجهاً، وناصحاً للأمة. وبعد انتهاء المحاضرة رجعنا مع سماحته إلى المنْزل حيثُ استأنفنا تسجيل حلقات " نورٌ على الدرب ".

☜ ومن المواقف مع سماحته أنه أثناء التسجيل بعد صلاة العصر، كان يسأل قبل التسجيل: هل تريد ماءً؟ هل تريد شاياً وقهوة؟ ثم يقوم سماحته بتواضعه الجم وخلقه الرفيع، بإحضارها، ثم أقوم أنا بصب الشاي والقهوة.

☜ ومن المواقف مع سماحته، أننا أثناء التسجيل وفي إحدى المرات وفي حوالي العاشرة صباحاً طرق باب المجلس شخصان، ففتح الشيخ لهما، وسلَّما عليه، وقد رأى الشيخ عليهما أثر السفر، فدعاهما للدخول، وأخبرهما الشيخ أننا نسجل للإذاعة، ثم سألهما عن حاجاتهما. فقال أحدهما: جئنا من إحدى مناطق المملكة للسؤال عن موضوع طلاق، حيثُ كان أحدهم قد طلَّق زوجته ويريد إرجاعها، ومعه خطاب من مندوب الدعوة في منطقته موجَّه إلى الشيخ فيه تفاصيل هذه القضية. وبعد أن سأله الشيخ عن بعض التفاصيل الخاصة بموضوع الطلاق، كتب إلى مكتب الدعوة والإرشاد في مدينة هذا الرجل جواباً عن حاله وكان هذا الرجل عليه أثر التقصير، فكان ثوبه طويلاً، وتظهر عليه بعض المخالفات. أما مُرافقه فكان يبدو عليه أثر الطاعة. وذهبتْ ساعة كاملة من وقت

الشيخ في قضاء حاجة هذا الرجل. وبعد انتهاء الشيخ من إفتاء هذا الشخص قام بتوجيهه أن يتعاهد ثوبه، وأن يحرص على أعمال الخير، وأن يتجنب بعض المخالفات. ثم قام سماحته إلى داخل الدار وأحضر الشاي والقهوة والتمر، وجلسنا نتناول الشاي والقهوة، وأثناء حديثنا قام الرجل صاحب الموضوع، وقال: يا فضيلة الشيخ، أنا عندي تقصير كثير في أموري الشرعية، ولكن بعد قيامك معي، وتفريجك كربتي، وعودتي إلى أهلي، أعاهد الله ثم أعاهدك على الاستقامة وفعل الخير، والإقبال على ربي. فسُرَّ الشيخ وتهلَّل وجهه. ثم قام الرجلان وقبَّلا رأس الشيخ، ودَعَوَا له وانصرفا. وفي حوالي الساعة الحادية عشرة والنصف تقريباً، جلسنا لاستئناف التسجيل - وأذكر هذه القصة جيداً - قال سماحته: أرأيتَ يا عبد الكريم ما كسبنا من الأجر عندما عاد هذا الرجل إلى الخير والصلاح؟. ثم تبسم الشيخ وحمد الله، وبعدها واصلنا التسجيل.

☜ ومن المواقف مع سماحته أن الأخ سعد خميس بعد كل تسجيل لبرنامج "سؤال على الهاتف"، ونحنُ داخل الاستديو يقول سعد: جزاك الله خيراً يا شيخ، الله يرحم والديك. فكان الشيخ يقول: آمين يا سعد، وأنا ؟! فيقول سعد: الله يرحم والديك. فيقول الشيخ: آمين، وأنا ؟! فتنبَّه سعد خميس وقال: الله يرحمك، ويرحم

والديك، ويجزيك عنَّا خير الجزاء. فتبسَّم الشيخ وضحك وضحكنا جميعاً، وودعنا الشيخ.

☜ ومن المواقف أنه عندما كان في المدينة النبوية في صيف عام ١٤١٩هـ، اتصل بي هاتفياً وأخبرني بأنه في طيبة الطيبة، وكان ذلك مساء يوم الأربعاء ليلة الخميس، حيثُ قام سماحته بتزويدي برقم الهاتف الذي سيكون عليه صباح الخميس من التاسعة وحتى العاشرة، حتى نتمكن من الاتصال به، لبرنامج سؤال على الهاتف. وأذكر أن الذي رتَّب معي لهذا التسجيل مع سماحته في المدينة النبوية أحد المسئولين هناك.

☜ ومن المواقف أيضاً أن سماحته كان مربياً من الطراز الأول، وكان يحرص على الناشئة الذين نشأوا في طاعة الله، وتوجيههم إلى ما فيه خيرهم في الدنيا والآخرة. حيث أذكر أن شاباً من أهل جدة كان قد قدم إلى عنيزة لملازمة الشيخ وأخذ العلم عنه وهو في سن السادسة عشرة أو السابعة عشرة، وقد التحق بمدارس مدينة عنيزة، ورأيت من الشيخ اهتماماً وحرصاً على هذا الشاب، وكان هذا الشاب يبادل الشيخ نفس الشعور، والمحبة في الله، والاحترام، والتقدير. وأذكر أنه كان يذهب مع الشيخ ويرجع من المسجد، وأثناء تسجيلنا لبرنامج " نورٌ على الدرب " في فترة الإجازة الصيفية، قدم هذا الشاب إلى

منْزل الشيخ، وأخبره أنه عازم على السفر إلى جدة، ولكنه لم يجد حجزاً. وعند فراغنا من التسجيل كان الشيخ - رحمه الله- يتلطف مع هذا الشاب، ويُحادثه عن السفر، فقام الشيخ وقرَّب الهاتف، واتصل بمكتب الحجز بالقصيم، وقدَّم نفسه لموظف الحجز قائلاً: معك ابن عثيمين. فَعَرَفَهُ موظف الحجز على الفور، وسلَّم على الشيخ، وعرضَ تقديم خدماته. فطلب منه الشيخ أن يحجز مقعداً إلى جدة باسم ذلك الشاب في اليوم الفلاني، فحجز له موظف الحجز وأعطى الشيخ رقم الحجز، فشكره الشيخ على حسن صنيعه. وهكذا هو عالم الأمة يحرص على جيل الأمة، ويقضي حاجاتهم. فرحمك الله يا أبا عبد الله. كم تركت من مآثر عظيمة وأخلاقاً حميدة!

☜ ومن المواقف مع سماحته أنني كنت أسجل مع سماحته برنامج "سؤال على الهاتف"، وجاء سؤال من أحد الإخوة يسأل فيه السائل عن صحة حديث. فتوقف سماحته قائلاً للسائل: الله أعلم. وأرجو أن تحيلوا هذا السؤال بخصوص هذا الحديث إلى سماحة الشيخ / عبد العزيز بن عبد الله بن باز. وكان هذا في حياة سماحة الشيخ / ابن باز - رحمه الله -. فانظر أخي القارئ العزيز إلى هذا الموقف العظيم، فهكذا يكون تورع العلماء الربانيين في الفُتيا.

☜ ومن تواضعه - رحمه الله - أن الإخوة كانوا يتسابقون بعد التسجيل للسلام على سماحته، فكان لطيفاً معهم يسأل عنهم، وعن أهلهم، وعن أولادهم، وعن أخبارهم. ومن يتعامل مع الشيخ يأنس بمعاملته الراقية، وأسلوبه الفريد في التعامل مع الآخرين. فكان إذا لقيه شخصٌ لأول مرة، يسأله عن نفسه، وعن أهله وأسرته، كأنه يعرِفُه من سنين عدة. وتلك صفات الكرماء العلماء النبلاء، فمعاملته للآخرين تجتذب القلوب وتأسرها بأسلوب بعيد عن التكلف ببساطة طبيعية بعيداً عن زخرف القول وتنميق العبارات وشقشقة الكلام، مما يزيد التعامل عمقاً في المحبة وصدقاً في المودة، وقد رافقني في إحدى سفراتي للشيخ أحد الزملاء وهو الأخ / عبد الله بن عبد الكريم الشايع، إلى عنيزة للتسجيل مع سماحته، وكان عنده نوع من الرهبة والهيبة من الشيخ، فلما دخلنا إلى منْزله - رحمه الله -، وسلمنا عليه وقبلنا رأسه، حمد الله على سلامتنا ووصولنا، فكان سماحته كعادته هاشاً باشاً لمن يلاقيه. جلسنا في غرفة التسجيل، ثم سألني الشيخ قائلاً: مَن الأخ الفاضل الذي يرافقك يا أبا خالد ؟ فأخبرته أنه أحد أبناء الجيران، وأنه أحد الشباب الذين يؤمونا في رمضان في صلاة التراويح، وقد قدم معي للسلام على فضيلتكم. ففرح به الشيخ وأخذ يسأله عن دراسته وبلدته، يقول الأخ عبد الله :

فزالت الرهبة وزال ذلك الخوف الذي في قلبي. وقد شاهد الأخ عبد الله عن قُرْب كرم الشيخ، وحسن ضيافته، واستقباله لنا في منْزله.

☜ ومن وفاء الشيخ للذين يعملون معه أذكر أن الأستاذ الفاضل / خالد بن محمد الرميح - مقدِّم البرامج الدينية في إذاعة القرآن الكريم والمذيع المعروف في تقديم البرامج الدينية في الإذاعة والتلفاز، والذي عرفه المستمع الكريم من خلال صوته الوقور وهو ينساب من خلال موجات إذاعة القرآن الكريم إلى المستمعين الكرام -كان يقوم بالتسجيل مع سماحته أثناء سفري إلى مكة، وغيابي في إجازة أو ظرف طارئ، فكان الشيخ - رحمه الله - يُبدي ارتياحه للزميل خالد، وذلك بالتسجيل معه، لأدبه الرفيع، وأخلاقه العالية مع العلماء. يحدثني الزميل خالد ويقول: يا أبا خالد الشيخ عنده وفاء عظيم لك، فبعد كل تسجيل معه يسأل عنك: أين عبد الكريم؟ ومتى سيأتي؟ وماذا عن أخباره؟ ومتى سيعود؟ فأسأل الله أن يجعلها محبة في الله خالصة له، وأن يجمعنا به مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

تقدير الشيخ للآخرين:

☜ كان الشيخ - رحمه الله - يحترم ويُقدِّرُ الآخرين الذين يعملون معه، وأذكر أنه في كل تسجيل مع سماحته وبعد الصلاة، وقبل دخولنا إلى الملحق للتسجيل، كان المشايخ وطلاب العلم يأتون للحديث مع سماحته، أو لدعوته لمحاضرة معينة، أو غير ذلك، فكان سماحته يقول لهم: هذا الوقت يا إخوان مخصص للأخ عبد الكريم وبرامجه، انتظروا حتى نفرغ من إكمال الحلقات الخاصة بـ " نورٌ على الدرب ".

☜ كان سماحة الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - دائماً يُثني على برنامج " نورٌ على الدرب "، ويحثُ المسلمين على استماعه ويقول: هذا المنبر منبر خير وتوجيه للمسلمين، وكانت حلقة " نورٌ على الدرب " لفضيلته، تلقى قبولاً عظيماً عند المستمعين، نظراً لعلم الشيخ الغزير، وكم كان يوم الخميس محبوباً لدى كثير من الناس، ولكثير من مستمعي إذاعة القرآن الكريم، حيثُ الإجابات السديدة المبنية على الكتاب والسنة، وكم كانت مدة البرنامج جواباً لسؤال واحد أو سؤالين من بحر متدفق: أدلةٌ واستدلالٌ، وفِقْهٌ في منهج الفتوى، قلَّ أن تجد له نظيراً. لا يسأم من كثرة الأسئلة، بل كلما

كثرت الأسئلة تدفقت الإجابة بأسلوبٍ مميز لا يعرف الكلل ولا الملل. لقد وهب الله الشيخ - رحمه الله - ذكاءً حاداً ، فهو يعرف السائلين ، ويعرف طلبة العلم من الشباب وغيرهم ، ويعرف متميِّزهم عن غيره ، فقد كان يكلمنا شاب في برنامج سؤال على الهاتف محبٌّ للشيخ ، في كل خميس ، وقد عرفنا هذا الشاب وصوته من كثرة اتصالاته ، حيثُ يطرح جملة من الأسئلة ، كنا نشعر من خلالها بترتيب أفكاره وموضوعيته في الطرح ، فكنت أقاطعه عندما يطرح أكثر من ثلاثة أسئلة ، لِيَفْسَحَ المجال للآخرين كي يطرحوا أسئلتهم ، فكان الشيخ يقول : دعه يا عبد الكريم يسأل. فعندما سألت الشيخ وقلت له : يا شيخ طرح أكثر من سؤال؟ ! فقال الشيخ - رحمه الله - : هذه أسئلة جيدة ومرتبة ، وفيها نفع للجميع. فكان الشيخ يحبُّ الأسئلة النافعة والمرتبة ، وكان يُحب - رحمه الله - النقاش الموضوعي ، ويفرح بالسائل الذي يبحث عن الدليل ، فكان يهتم بسؤاله فضلاً عن اهتمامه بباقي الأسئلة ، ولكنه يقول : يعجبني ويسرني السائل عندما يطلب الدليل في مسألة ما. وكثيرٌ ما كانت تردنا أسئلة يقول فيها أصحابها : ما حكم الشرع في المسألة الفلانية؟ فكان الشيخ – رحمه الله – في برنامج " نورٌ على الدرب " يقول في الإجابة : أرجو من الأخ السائل ألا يطرح السؤال بهذه الصيغة : ما حكم

الشرع في المسألة الفلانية، بل يجب أن يُصحِّح سؤاله ويقول: ما حكم الشرع في نظركم في المسألة الفلانية؟ أو: ما رأيكم في المسألة الفلانية؟ لأن العالِم قد يُخطئ، فيُنْسَبُ القول إلى الشرع، والأمر خلاف ذلك. وكان الشيخ - رحمه الله - له محبوه من طلاب العلم، فكان هؤلاء الطلاب إذا استعصتْ عليهم مسألة في قضية من القضايا الشرعية، رجعوا إلى سماحة الإمام ابن عثيمين ليأخذوا الجواب الفصل، ويطمئنوا بالجواب الشرعي. فكان الشيخ - رحمه الله - يتعامل مع المستفتين تعامل العالِم الراسخ الرباني: يصبر على الجاهل، ويُعلمه ويُبصره، ويُجيب على سؤاله، ويتفهم سؤال كبير السنِّ، ويوجهه بأسلوب محبب للنفوس، وعبارات ملؤها المحبة والنقاء وصدق اللهجة ونصح الكلمة. فكان يتصل بنا في "سؤال على الهاتف" أطفال صغار يسألون عن بعض الأسئلة الخاصة، وبعض الأسئلة الأسرية، فكان الشيخ يفرح ويُجيبهم على أسئلتهم، وكان بعض هؤلاء الصغار بجانبهم أولياء أمورهم يملون عليهم الأسئلة، فكان الشيخ - رحمه الله - سعيداً باهتمام هؤلاء الصغار وأولياء أمورهم بأمور الدين.

☜ كان الشيخ – رحمه الله – يحمل قلماً للتوقيعات، وحبره أسود. فمنذ أن بَدأتُ مع الشيخ في برنامج "نورٌ على الدرب" وأنا أراه يحمل هذا القلم، وكان إذا انتهى حبره أضاف إليه حبراً جديداً. وكانت كتابة الشيخ جميلة ومتميزة، وخطه جميل وواضح، عندما يكتب لك شفاعةً، أو إذناً لكتاب تُريد أن تطبعه، أو يُعلقَ على مقالة أو حديث. وكان توقيعه متميزاً ومعروفاً لدى كثير من المسلمين. والشيخ مرتب في كل شيء: في حديثه، في إجابته على الأسئلة، في طريقة تنظيمه للوقت، فكان لا يمر عليه دقيقة إلا ويستفيد منها - رحمه الله -.

☜ كان الشيخ - رحمه الله - عند عودته من صلاة الظهر في حوالي الساعة الواحدة والربع أو الثلث، وعندما توضع مائدة الغداء وقبل جلوسه، يذهب لإحضار هاتف المتصلين، حيثُ خصص لهم رقماً معيناً للاتصال. وما أن يضع سماحته فيش الهاتف في موضعه، إلا ويكون المتصل على الخط، ثم يجلس سماحته ويبدأ بالردِّ على الأسئلة واحداً تلو الآخر، وكان - رحمه الله - إذا كان المتصلُ رجلاً، كلَّمه من مكبر الصوت، وإذا كانت امرأة رفع السماعة إلى أُذنه. وهذا إذا كان مع الشيخ ضيوف، ثم يبدأ سماحته - رحمه الله - بتناول التمر من المائدة، ويأكل وهو يردُّ على الأسئلة، ثم

يتناول ما قسم الله، ومما وضع على مائدة الطعام. فكانت دقائقه وساعاته كلها إفتاءً، وتعليماً. وكان كثير الحمد لله والشكر وهو يتناول الطعام، أخذاً بقوله تعالى: ﴿لئن شكرتم لأزيدنَّكم﴾[1].

☜ سجلت مع سماحته لقاء عبر الهاتف في منْزلي في جهاز خاص، وكان عن علاج الوسواس في ضوء الكتاب والسنة، حيثُ أجاب سماحته على عدد كبير من الأسئلة المتعلقة بهذا الموضوع، ثم استأذنت سماحته في إخراج هذا اللقاء في كتاب مستقل، فأذن لي سماحة الشيخ ـ رحمه الله ـ، حيثُ تبنَّت دار القاسم مشكورة إخراج هذا الكتاب، وهو موجود الآن في الساحة.

☜ أهدى لي سماحته مجسماً للكعبة المشرفة، وقبلتها شاكراً لسماحته هذا الاهتمام وهذا التواضع.

☜ كان للقضاة مجلسٌ خاصٌ بهم يجتمع بهم سماحته في آخر أيام الأسبوع، حيثُ إنني في إحدى المرات، طلبتُ من فضيلته أن نُسجل في آخر الأسبوع، فقال سماحته: هذا موعد لقاء القضاة يا عبد الكريم.

---

(١) سورة إبراهيم، آية: ٧.

☜ كان المستمعون لبرنامج سؤال على الهاتف يُهاتفون الشيخ، وقبل طرح أسئلتهم يخبرون الشيخ بمحبته، وأنهم يحبونه في الله، فيبادلهم الشيخ نفس الشعور، ويقول: أحبكم الله الذي أحببتموني فيه. وهذه المحبة في الله، جعلت الكثير من الناس يلهج بالدعاء له بظهر الغيب، ولو لم يره، تلك محبة العلماء الراسخين التي جعلها الله في قلوب المؤمنين، محبة في الله، لِما يحملونه من علمٍ، وهدى، وإخلاصٍ، وتُقىً، وزهدٍ وورعٍ، عَرَفُوا به العلم، وبه عُرِفُوا، ورفعوا العِلم، وبه ارتفعوا. فكم من صغير وكبير تمنَّى لقاء الشيخ والسلام عليه. فما أحسنه من سمتٍ، وما أعلاه من خُلُق، حين تُسلم عليه، فيتهللُ وجهُه عن ابتسامة فيها الحنان، ودفء المشاعر، وطيب الكلام والفعال.

☜ كان الشيخ - رحمه الله - دقيق الموعد، تأخذ منه الموعد في التاسعة، فَتَجِدُهُ في التاسعة تماماً، لا يزيد دقيقة ولا ينقص. وهذا ما عايشته معه، فالعلماء أوقاتهم نفيسة، لذلك فهم مضرب المثل في حفظ الوقت، واستغلال الثواني والساعات، اغتناماً للحياة لنفع الأمة ونشر العلم والسُّنة. وقد كان سماحة الشيخ العلامة محمد بن عثيمين - رحمه الله - مضرب المثل في ضبط الوقت والاعتناء به، صادق الوعد، حافظ العهد، دقيق الموعد. فلقد كانت حياته جِدًّا،

وجهاداً، وعلماً، وتعليماً، ودعوةً، وإفتاء، وفقهاً. وما هذا العلم المبثوث في الأشرطة والإذاعات والكتب و الرسائل إلا ثمرة استغلال الوقت، والدقة في الانتفاع به. فرحم الله الشيخ كم كان حريصاً على نفع الأمة بوقته وعلمه.

☜ حضرتُ للشيخ خطبةً من خطب يوم الجمعة في مسجده الجامع، فرأيت الشيخ خطيباً مصقعاً، يهزُّ أعواد المنابر بالكلمات الصادقة والخطب الموجهة، صادق العبارة، ناصح الكلمة، سريع الدمعة، يُعالج أحوال المجتمع، ويعيش قضايا الأمة، يذكِّرُ ويعظ، ويُصحِّحُ ويُصَوِّبُ. فكم كانت خطبته توجيهاً لكثير من مشكلات العصر وقضايا الأمة. فرحمك الله يا شيخنا.

☜ لقد لمست من الشيخ - رحمه الله - حرصه على طلاب العلم فقد كان يفرح بالسائل الذي يُناقش ويحاور عن علم وهدى وذلك في برنامج سؤال على الهاتف. لذلك فقد كان لسماحة الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - جمهوره العريض من طلاب العلم المتمكنين. فحياة العلماء مدرسة إيمانية، ودُررٌ وجواهرٌ، يستضيء بها طلاب العلم والدعوة. ولقد قضى الشيخ سنوات عديدة في تبليغ العلم للأمة. فما أجمل حياة الشيخ المليئة بالدروس والعلم والدعوة؟ سنوات مليئة بالجهاد المستمر في تبليغ رسالة الدعوة إلى الله في حكمة وبصيرة. .

☜ كان للشيخ إسهامات إعلامية متميزة في التلفزيون، ومن ذلك مشاركته في برنامج "دين ودنيا": صوتاً دون صورة. وقد شارك - أيضاً - في سنوات ماضية، في برنامج "سؤال على الهاتف": صوتاً دون صورة. وكان للشيخ محاضرات ودروس علمية في جوامع مدينة الرياض. وأذكر أنه كان عند قدومه للرياض يتسابق القائمون على هذه الجوامع للترتيب مع سماحته ودعوته لإلقاء المحاضرات والدروس، فكان سماحته سبَّاقاً إلى الخير وإلى نفع الأمة، وبذل الخير لها. وأذكر أن سماحته - رحمه الله - في المواسم قبل رمضان، وقبل الحج، كانت له دروس يومية في جامع: ذي النورين، بحي السلام في مدينة الرياض.

☜ تميز الشيخ محمد - رحمه الله - بالفتوى الواضحة المُفَصَّلة، والإجابة السديدة، على أسئلة المستفتين، مما أثَّر في نجاح البرنامج، وإقبال المستفتين على سماحته. ومن المواقف التي حصَلتْ مع سماحته - رحمه الله - أن التسجيل أو المكالمة مع فضيلته قد تنقطع لخلل فني، فيصبر علينا الشيخ، ويتحمل ويحتسب الأجر من الله، مع أن الوقت ثمين عند سماحته، وهذه صفات العلماء الربانيين: صبرٌ في تحصيل العلم، وصبرٌ في تبليغه، وصبرٌ في الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فقد كان حريصاً - رحمه الله - على تبليغ العلم

وأداء الأمانة، أمانة العلماء، وفاءً بالعهد والميثاق الذي أخذه الله على العلماء بالبلاغ والبيان وعدم الكتمان. فرحمه الله رحمة واسعة. وصدق القائل: "بالصبر واليقين. تنال الإمامة في الدين". وقد اجتمعتْ في الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله -.

☜ كان سماحته - رحمه الله - حريصاً على لقاء العلماء. فكان يحضر جلسات مجلس هيئة كبار العلماء والتي تعقد جلساتها في الرياض أو الطائف، فكنت إذا قدم الرياض ذهبت للسلام عليه في منْزله - رحمه الله - أو في منْزل أخيه الشيخ / عبد الرحمن العثيمين.

☜ أثناء تسجيلنا لسؤال على الهاتف، وبعد انتهاء التسجيل، كان الإخوة مهندسو الصوت يتسابقون كعادتهم للسلام على الشيخ والاستئناس بحديثه، فكان يُحادثهم ويتلطف معهم، ويُجيب على أسئلتهم الخاصة. وأذكر أنَّ من الذين كانوا معي في هندسة الصوت الزميل المهندس رفيق الدرب في رحلتي الإذاعية، والذي كان له محبة خاصة لدى الشيخ، الأستاذ / أبو عبد العزيز، سعد بن عبد العزيز بن خميس الحجي، الذي ارتبط اسمه سنوات عديدة في شارات البرامج الدينية، ومع أصحاب الفضيلة العلماء لما يحمله الأخ سعد من أخلاق عالية، وأدب رفيع، وتعامل راقٍ مع ضيوف البرنامج. فقد كان له قبولٌ عند كثير من أصحاب الفضيلة العلماء، والمشايخ،

وطلاب العلم. وكان لزملائه الآخرين مهندسي الصوت، والذين أذكر منهم: مهندس الصوت والأخ القدير / عبد الحميد خليل (أبو منصور)، الذي يرافقني منذ سنوات عديدة صباح كل خميس، من التاسعة وحتى العاشرة صباحاً، فكان أنموذجاً فريداً في مواعيده وأخلاقه العالية، وأيضاً المشرف الهندسي الأستاذ / علي برازي، والأخ الفاضل / عبد الله المحيميد، فكان لهؤلاء جميعاً الشَّرف العظيم - في تمام الساعة التاسعة صباحاً من كلِّ خميس - بالسلام على سماحة الشيخ، والاطمئنان عليه. وحقيقةً: إنها أيام لا تُنسى في ذاكرة هؤلاء الزملاء، وهم يتحدثون كل خميس، وقبل التسجيل، مع عالم الأمة. يشاهدون المواقف، ويتأثرون بها، ويسجلون تلك الكلمات، ويَرْوُونها للأجيال المسلمة: كيف كان تعامله معهم، وكيف كان اهتمامه وبذله نفسه للناس. فرحم الله شيخنا رحمة الأبرار، جعله مع البررة الأطهار.

☜ سمعت للشيخ شريطاً، وهو يؤم المسلمين في مكة لصلاة التراويح عام ١٤٠٢هـ، وهو يقرأ القرآن الكريم، فكان له نوراً يُهتدى به، يقرؤه آناء الليل وأطراف النهار، بصوت غير متكلَّف، بترتيل يبعث على الخشوع والتدبر، بعيداً عن التكلّف والتقعُّر، الذي قد يشغل القارئ عن فهم المعاني، وتدبر آيات القرآن الكريم.

☜ ومن المواقف: أنني عندما كنت أذهب إلى مدينة عنيزة، كنت أرى حرص واهتمام طلاب العلم والمشايخ على دروس الشيخ التي يعقدها في الجامع الكبير في مدينة عنيزة. فلقد كان للشيخ - رحمه الله - أسلوبٌ فريد في التدريس والتعليم، امتاز به عن غيره من العلماء، بالتأصيل والتفهيم، فكان مضرب المثل في ذلك. وكان لعلمه الغزير دور في توافد هؤلاء الطلاب من كل مكان للاستفادة من علمه والنهل من مورده الصافي.

☜ ومن المواقف: أنَّ سماحته - رحمه الله - في إحدى السنوات وقبل تسجيلنا للبرنامج، وعندما كنَّا نتناول الشاي والقهوة، أبدى سماحته - رحمه الله - رغبته الأكيدة في الاستمرار معي في البرنامج مادام هو ضيفاً فيه، وأنه يَجِدُ الارتياح التام والثقة معي في تقديمي للبرنامج. فقلتُ له: إنني أبادلك نفس الشعور والمحبة والارتياح يا فضيلة الشيخ. ثم دعا لي بالعون، والسداد، والتوفيق. فشكرتُ الشيخ على هذه الثقة الغالية، وأسررتُ نه أنَّ هذه شهادةٌ غاليةٌ أعتزُّ بها طول عمري. ثم استأنفنا التسجيل في ذلك اليوم.

☜ ومن المواقف الأخرى مع سماحته: أنَّ الشيخ - رحمه الله - يحمل تواضع العلماء الربانيين، فكان في خدمة أهلهِ وبيته. فذات مرة كُنَّا نسجِّلُ مع سماحته برنامج " نورٌ على الدرب " في وقت الضُّحى،

فطرق الباب علينا عامل سباكة، كان الشيخ قد أخذ منه موعداً لإصلاح ماسورة ماء، فأشار لي الشيخ بالتوقف عن التسجيل، وأدْخَلَ عامل السباكة، ثم جاءني مبتسماً وهو يقول: من فضلك يا أبا خالد، نصف ساعة نُريده من وقتك، لإصلاح ماسورة الماء التي في الحوش. فقلت: لا بأس يا فضيلة الشيخ. ثم قام السبَّاك بإصلاح الماسورة، والشيخ يُساعده، ويُمسكُ معه ببعض أغراض السباكة، حتى انتهى العامل من إصلاحها. وكنتُ أنا وقتها بالملحق أراجع بعض الأسئلة التي لم تُعْرَضْ على الشيخ، حرصاً على الاستفادة من الوقت. ثم جاءني الشيخ مبتسماً بعد أن خرج العامل وتمَّ إصلاح الماسورة. وهكذا هم علماء الأمة: عِلْمٌ وعملٌ، وزهدٌ وتواضعٌ، وتطبيقٌ للسُّنَّةِ في كلِّ أمورهم. فقد جاء في الحديث أنَّ الرسول ﷺ كان في خدمة أهله: يُرَقِّعُ ثوبه، ويخْصِفُ نعله، ويكون في خدمة أهله. ثم استأنفنا التسجيل في ذلك اليوم. إنها نماذجُ مضيئةٌ، ومواقفٌ، وكلماتٌ، وحكاياتٌ، وقصصٌ مؤثرةٌ، عن حياة ذلك العالم الجليل، عن تواضعه، وأخلاقه، وجهاده في نشر العلم، وتبليغ الدعوة. فَرَحِمَهُ اللهُ رحمةً واسعةً.

☜ كان من الزملاء الذين يُشرفون معي على برامج سماحة الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله -، الأخ والزميل الفاضل / أبو عبد العزيز حمد بن محمد الوابلي، مهندس الصوت في الإذاعة، الذي عرفه الزملاء

بالسمتِ والوقار والحياء، والحياءُ لا يأتي إلا بخيرٍ، كما قال رسول الله ﷺ. وقد عمل معي الأخ حمد سنوات مباركة، مليئة بالإخلاص والتفاني وحبِّ العمل. فكان أنموذجاً للشباب الذين يتفانون في حبِّ عملهم. وكان ذلك بعد أن كُلِّف الزميل سعد خميس بالعمل في الإشراف الهندسي، فكان الزميل حمد معي في تسجيل ومتابعة ومونتاج برامج سماحة الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله -، حيث لمستُ من خلال تعاونه وعمله معي الخلقَ والتواضع والتفاهم، وكثيراً ما أخبرني بأنه سعيد بالعمل في متابعة برامج الشيخ / محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله - وتسجيلها. فرحم اللهُ الشيخ رحمةً واسعةً.

بلادنا المباركة وتقديرها للعلماء

إن العلماء هم ورثة الأنبياء، يحملون مشعل الهداية والتوجيه. ومن هنا ظهرت مكانتهم في الأمة عامَّةً، وفي بلادنا المباركة خاصة. ففي هذه البلاد، بلاد التوحيد، وبلاد العقيدة، نجد أن للعلماء تقديراً واحتراماً، وإجلالاً ووقاراً، انطلاقاً من منهجها المستمد من كتاب الله، وسنة نبيه ﷺ، مما كان له الأثر البالغ في نفوس المسلمين عموماً، وفي نفوس أهل هذه البلاد المباركة خصوصاً. فقد كان لعالم الأمة سماحة الشيخ / محمد بن عثيمين - رحمه الله - مكانةٌ رفيعةٌ عند ولاة الأمر - حفظهم الله ورعاهم وسدد خطاهم -. فكانت له مكانته الخاصة عندهم، وكان محبوباً لديهم، لِمَا لمسوه من صدقه - رحمه الله -، وغيرته على الدين، وقوله كلمة الحق.

وقد أمر خادم الحرمين الشريفين - حفظه الله ورعاه وسدد خطاه، وجعل ذلك في موازين حسناته - بالصلاة عليه صلاة الغائب في الحرمين الشريفين، وجميع جوامع المملكة بعد صلاة الجمعة، وذلك يوم الجمعة الموافق: ١٤٢١/١٠/١٧هـ، وتوالت الصحف في

ذكر محاسنه ورثائه. فرحمه الله رحمة الأبرار، وجعله من البررة الأطهار، وغفر لنا وله وللمسلمين أجمعين.

الشيخ في أواخر حياته:

أحسَّ الشيخ - قدَّس الله روحه - بالآلام، ولكنه صبر واحتسب، وكان يقاوم الآلام، بصبر وتجلد، ويمارس أعماله العلمية والتعليمية والدعوية..

وقدم الشيخ الرياض في صيف عام ١٤٢١هـ. وأجرى فحوصات لِعَيْنَيْهِ، وأصرَّ الأطباء إلا أن يقوموا بإجراء فحص كامل له، فتبين مرضه - رحمه الله -، فلمَّا علم به، صبر واحتسب، وجدَّ واجتهد في تبليغ العلم، مع ما يُعانيه من الأمراض.

وكان ترتيب التسجيل لبرامجه مستمراً، وقد عرضتُ عليه - رحمه الله - أن نعيد من التسجيل القديم، فرفض، وأصرَّ على التسجيل، حتى وهو يُعاني من الآلام المبرحة، صابراً، محتسباً. واستمر الشيخ - رحمه الله - على عادته في تسجيل برامجه الإذاعية،

حتى سافر الشيخ إلى أمريكا لإجراء بعض الفحوصات. وقد اتصلتُ به في أمريكا، فرحَّب بي على عادته، ودعوتُ له بالصِّحة

والعافية، وأخبرته أن المسلمين يدعون له، فقال: جزاك الله وإياهم خيراً يا أبا خالد. ثم ودَّعتُه - رحمه الله -، فدعا لي بخير.

ثم رجع الشيخ من أمريكا، وهو يحمل همَّ الإسلام والبلاغ لأمة محمد ﷺ، ودخل المستشفى التخصصي، وسجَّل حلقات مِنْ برنامج " سؤال على الهاتف " وهو على سرير المرض، في المستشفى. وكم كانت فرحته حين أخبرتُه باكتمال حلقات شهر رمضان المبارك..

وبعدها انتقل الشيخ إلى مكة كعادته كل سنة، منذ عشرين عاماً، يعقد الدروس العلمية في الحرم المكي. وهناك ألقى دروسه، وهو يعاني من المرض، من داخل الحرم المكي، وحتى آخر ليلة في رمضان.

وبينما كنت في القصيم يوم الأربعاء الخامس عشر من شهر شوال، وقبل المغرب، جاءني خبر وفاة سماحة الإمام العلامة / محمد بن عثيمين، من مكالمة بالهاتف المحمول، فلم أتمالك نفسي من هول الفاجعة الكبرى، ولكنه قضاء الله وقدره، ولا رادَّ لقضاء الله. وبعد ذلك، في نفس اليوم الأربعاء، قفلنا راجعين إلى الرياض، وقد خيم على مَنْ معي من إخواني الحزن والألم في فقد عالم الأمة، وبسبب هذه المصيبة الكبرى. ففقد الشيخ فاجعة كبرى للمسلمين، وثلمة لا تُسَدُّ، فردَّدنا جميعاً: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي

العظيم، وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، وأثناء سيرنا إلى الرياض أخذت هاتفي المحمول مرة ثانية لأستطلع الخبر، وقلبي يعتصر ألماً وحسرة، فاتصلت بالأستاذ / إبراهيم التركي، كونه كان قريباً من الشيخ، فأكدَّ لي الخبر في وفاة الشيخ، وأخبرني بأن هناك طائرةً خاصةً، أمرَ بها ولاة الأمر - حفظهم الله ورعاهم، وسدَّد خطاهم، وجعل ذلك في موازين حسناتهم - لِنَقْلِ العلماء، والمشايخ، وطلاب العلم، وأقرباء الشيخ، إلى مكة مجاناً من المطار إلى جدة، وذلك لحضور الصلاة على الشيخ، وحضور جنازته. وفي يوم الخميس السادس عشر من شهر شوال توافد العلماء، والمشايخ، وطلاب العلم، وأقرباء الشيخ، ومحبيه، إلى المطار، حيثُ أقلَّتهم طائرات خاصة إلى جدة، ثُم كانت الباصات في انتظارهم لنقلهم إلى مكة للصلاة على سماحة الإمام ابن عثيمين - رحمه الله -. وتوجه الجميع إلى بلد الله الحرام براً وجواً، لِيُصَلُّوا على شيخهم وعالمهم، وقد خيم الحزن وألم الفراق على المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها. كيف لا، وهو عالم الأمة؟ إنه لَمَوقفٌ حزين مرَّ على أمة الإسلام، عندما فُجِعَتْ ورُزِئتْ بفقد الإمام ابن عثيمين، وبكى عليه الناس.. بكت أروقة المسجد الحرام.. وبكت المساجد والمنابر.. بكت وسائل الإعلام.. بكتْ مَنْ كان صوتُه شجياً بها في العلم والموعظة والفتيا.. بكته

الكتب والأشرطة.. بكته الدنيا بأكملها: عالِمُها وجاهلُها، صغيرها وكبيرها، ذكورها وإناثها. وحُق لأبي عبد الله أن تبكي عليه البواكي. ألم يكن عالماً مجاهداً، فقيهاً ورعاً، داعياً قانتاً، راكعاً وساجداً؟

ويوم الخميس، وما أدراك ما يوم الخميس؟ كم طاف بالبيت من طائف؟ وكم اعتمر من معتمر؟ وكم قصد مسلمٌ ربه بالدعاء للشيخ بالمغفرة والرضوان والدعاء له بأعلى الجنان؟

توافد الناس إلى البيت الحرام، وامتلأ صحن المطاف، وأروقة المسجد الحرام بالمصلين قبيل أذان العصر، جاءوا ليصلوا على شيخهم، ويحملوه فوق الأعناق، يحملون ذلك الجسد الذي طالما كان مجاهداً في سبيل الله، عالمٌ سُجي بِبُرْدَتِهِ علمٌ وفقهٌ وإخلاصٌ وإيمان، ترى الناس كأنهم قد فقدوا آباءَهم أو أمهاتهم، دموعٌ حارة، وحزنٌ يهزُّ القلوب، ويؤثر في النفوس، فقد حضر الأمراء، والعلماء، والوزراء، والدعاة، والفضلاء، إلى المسجد الحرام، وخيم على جو المسجد الحرام الهيبة والوقار والسكينة، وقُدِّم الشيخ بعد صلاة العصر للصلاة عليه، فَعَلا الحزنُ والبكاء وآهات المُحبين ودموع الصالحين، يدعون بالمغفرة لمن كان معلماً وموجهاً ومُربياً لهم، غرس في قلوبهم العلم، والفقه، والفضائل. يبكون من كان قبل أيام في رمضان يُعلمهم بصوته الخافت المُنهك من أثر المرض.

وحُملت جنازته إلى مقبرة العدل لِيُوَارى جثمانه مع العلماء الأبرار، وليُدفن بجوار أخيه ورفيق دربه سماحة العلامة الشيخ / عبد العزيز بن باز – رحمهم الله جميعاً -.

وقد حمل الناس حبه في قلوبهم قبل أن يحملوا جنازته على أعناقهم، وتسارع الناس ليشهدوا دفنه، وليقفوا على قبره، وازدحمت الطرقات بالمشاة والسيارات، واتجه الناسُ إلى المقبرة، ولم تستطع السيارات أن تمشي من كثرة المشاة، فلم تصل جنازته – رحمه الله – إلا مُتأخرة بسبب الزحام الشديد. ودُفن الشيخ، ودفن معه علمٌ عظيم، وسُكِبَتْ العبرات، وتفرَّق هذا الجمع المبارك وهم يبتهلون إلى الله بطلب المغفرة والرحمة له.

وهكذا طويت صفحةٌ من الجهاد المُبارك.. من العلم والتعليم.. من الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..

طويت صفحات هذا العالم الفذِّ الذي شهدتْ له الدنيا بالعلم والفقه.. طويت صفحات من صحف السلف الصالح في العصر الحديث.

ورحم الله علماء الأمة أحياءً وأمواتاً، وطِبْتَ يا شيخ الأمة حياً وميتاً. نحسبك - والله حسيبك، ولا نُزكي على الله أحداً - عالماً مجاهداً في الله حق جهاده، حتى أتاك اليقين..

فهو نجم أفل، وبدرٌ غاب، وشمسٌ احتجبت. لذلك فإننا جعلنا من الصبر والاحتساب سلاحاً نعتد به في مصائبنا. رحم الله العالم الشيخ ابن عثيمين رحمة واسعة، وغفر لنا وله، وجعل قبره روضة من رياض الجنة. اللهم نَوِّرْ له في قبره، واجْزِه عنَّا وعنْ أمَّة الإسلام خير الجزاء، واجمعنا به مع النبيين والصديقين والشهداء، آمين. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قبل الختام

إذاعة القرآن الكريم، منبرٌ من منابر الخير والإيمان في بلادنا المباركة، فقد كان العالِمان الجليلان: سماحة العلامة الشيخ / عبد العزيز بن عبد الله بن باز، وسماحة الشيخ / محمد بن صالح بن عثيمين - رحمهما الله جميعاً وأموات المسلمين - يَحُثَّان المسلمين على سماع برامجها، وما يُبثُّ فيها من تلاواتٍ مباركةٍ، وأحاديثَ نافعةٍ، وبرامجَ مفيدةٍ. وقد امتدَّ بثُّ إذاعة القرآن الكريم، لِيُصبح أربعاً وعشرين ساعة، بتوجيهات من ولاة أمرنا حفظهم الله ورعاهم، وسدَّد خطاهم. فجزاهم الله خيراً على ما يبذلونه من عناية بالقرآن الكريم وأهله، وعلى ما يقدمونه من نصرة للإسلام والمسلمين، ونسأل الله عز وجل أن يحفظهم بحفظه، وأن ينصرهم ويُسدِّدهم، وأن يجزيهم عنَّا وعن المُسلمين خير الجزاء.

كما نشكر معالي وزير الإعلام الدكتور / فؤاد بن عبد السلام الفارسي وصاحب السمو الملكي الأمير تركي بن سلطان بن عبد العزيز آل سعود مساعد وزير الإعلام – حفظهما الله – على هذه المتابعة الكريمة والدعم المستمر لإذاعة القرآن الكريم، هذه الإذاعة

التي تحظى بتوجيهاتهما حتى أصبح صوتها بفضل من الله ثم بفضل هذه المتابعة منهما يصل إلى كل بلاد الدنيا، فشكر الله لهما هذه العناية، وهذا العطاء المتواصل، فقد كان له أبلغ الأثر في العطاء الملموس الذي يتجدد يوماً بعد يوم ونجاحاً بعد نجاح، والشكر موصولٌ كذلك للمسؤولين كافة الذين كان لهم الأثر البالغ في تشجيع العاملين، وتذليل الصعوبات التي في طريقهم، مما كان له دورٌ كبير – أيضاً – في تطوُّر إذاعة القرآن الكريم ونجاحها، وتواصلها مع المستمع الكريم، فكان هذا العطاء، وهذا التميُّز الذي يلمسه الجميع. كما أشكر كافة الزملاء في إذاعة القرآن الكريم، على تعاونهم، وتسابقهم، وتفانيهم، في خدمة هذه الإذاعة المباركة، التي اهتدى بنورها الكثير من الناس في كل مكان، حيث تعتبر هذه الإذاعة أنموذجاً فريداً للإذاعة النافعة، التي تقوم على كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وعلوم القرآن والسُّنَّة، والموعظة الحسنة، والعلم النافع، وما يهم المسلم في دينه ودنياه.

الخاتمة

وفي الختام لا يسعني إلا أن أدعو لشيخنا بالرحمة والغفران والعتق من النيران، ولوالديَّ، ولجميع موتى المسلمين، وأسأله جل وعلا أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم، راجياً من الله سبحانه وتعالى أن يغفر لي الخطأ والزلل، وأن يتجاوز عن التقصير والخلل، كما لا يسعني إلا أن أشكر أخوي الشيخ، وهما: الدكتور / عبد الله ابن صالح العثيمين، والشيخ / عبد الرحمن بن صالح العثيمين، لجهودهما في إخراج هذا الكتاب، والشكر موصول لأبناء الشيخ وهم: عبد الله، وعبد الرحمن، وإبراهيم، وعبد العزيز، وعبد الرحيم، على تواصلهم معي في التنسيق مع والدهم، وتقديري، وتهيئة الجو المناسب أثناء رحلتي التسجيلية مع والدهم العلامة الشيخ/ محمد بن عثيمين. فقد لمستُ فيهم جميعاً التواضع والخلق الرفيع، والحرص على ما فيه نفع المسلمين. كما لا أنسى الأستاذ الفاضل / إبراهيم بن منصور التركي، الذي لمستُ منه - أيضاً - التعاون وصدق المشاعر في السؤال والاستفسار عما أحتاجه، فشكر الله للجميع وزادنا وإياهم توفيقاً وسداداً، كما أسأله سبحانه وتعالى أن يُثيب كلَّ مَنْ

كان سبباً في نشر هذا الكتاب، وأن يوفقني، ويغفر لي كل خطأ وزلل، وأن يُعين الجميع، ويوفقهم لفعل الخيرات والمساهمة فيها، وأن يجعلنا هداة مهتدين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

فهرس الموضوعات

الموضـــوع **رقم الصفحة**

اللآلىء السَّنِيَّة في أخبار مفتي عام المملكة العربية السعودية أيام لا تُنسى مع العلاَّمة ابن باز – رحمه الله – ٧
مقدمة الناشر..... ٩
المقدمة ١١
دعوة الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله – السلفية ١٥
نور على الدرب وشرح كتاب المنتقى ٢٤
مواقف عامة ٣١
شرح كتاب المنتقى ٣٦
رحيل الشيخ ٤٥
أحد اللقاءات التي سُجِّلتْ مع سماحته..... ٥٠
الخاتمة ٧٢
الدر المكنون في مواقف وذكريات الشيخ العلاَّمة صالح بن علي بن غصون ٧٥

المقدمة ٧٩
سيرة العلامة: صالح بن غصون ٨١
نشاط الشيخ الدَّعَوِي والعلمي ٨٣
منهج الشيخ في الفتوى ٨٥
مواقف وذكريات مع الشيخ ٨٦
تواضع الشيخ ١٠٧
الشيخ في آخر حياته ١٠٧
أحاديث لسماحة الشيخ: ١١٣
الحديث الأول: النهي عن تشبه الرجال بالنساء: ١١٤
الحديث الثاني: الحث على التمسك بالدين: ١١٩
الحديث الثالث: حقوق الجار: ١٢٥
الحديث الرابع: أحكام الصيام وآدابه: ١٣١
الحديث الخامس: الحث على تيسير أمور الزواج: ١٣٧
الحديث السادس: أحكام الحج والعمرة: ١٤٢
الخاتمة ١٤٨
١٤ عاماً مع سماحة العلاَّمة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين ١٥٣
المقدمة ١٥٤
سيرة الشيخ ابن عثيمين: ١٥٨

اسمه ونسبه : ١٥٨
مولده : ١٥٨
نشأته : ١٥٨
شيوخه : ١٥٩
دراسته : ١٦٠
أعماله : ١٦٠
تدريسه : ١٦١
منهج سماحة الشيخ : ١٦١
منهجه في التدريس : ١٦٥
منهجه في الدعوة : ١٦٦
منهجه في الفتوى : ١٦٦
الخطابة والإمامة : ١٦٧
زهده وورعه وأخلاقه : ١٦٧
تلاميذه : ١٦٨
آثاره العلمية : ١٦٨
مؤلفاته : ١٦٨
أولاده : ١٧١
مواقف وذكريات : ١٧٢
أحكام من القرآن الكريم : ١٩٢

سؤال على الهاتف : ١٩٦
مواقف مؤثرة : ٢٠٥
سماحة الشيخ واهتمامه بقضايا الشباب : ٢٠٩
تقدير الشيخ للآخرين : ٢١٧
بلادنا المباركة وتقديرها للعلماء : ٢٣٠
الشيخ في أواخر حياته : ٢٣١
قبل الختام : ٢٣٧
الخاتمة : ٢٣٩
فهرس المحتويات ٢٤١